A
956
H48h

ابراهيم الحلو

حرب ٥ حزيران

كما نراها وكما يراها العالم

B. C. W. LIBRARY
20 NOV 1970
RECEIVED

منشورات
دار الكاتب العربي

« اضربوهم وهم يضحكــون .. اسرقوهم وهم لاهون.. قيدوا أرجلهم وأنتم راكعون.. أدخلوا بيــوتهم واهدموها .. تسللوا الــى قلوبهم ومزقوها .. وعلى أنقاضهم أقيمــوا عرش اسرائيل ! »

(من بروتوكولات حكماء صهيون)

***

« انما الجيــوش تكثــر بالنصر وتقــل بالخــذلان »

(خالد بن الوليد)

مقدّمة

في الثاني عشر من حزيران ١٩٦٧ ، وفي أعقاب وقف اطلاق النار على كافة الجبهات العربية ، أدلى ليفي اشكول ، رئيس حكومة اسرائيل ، بتصريح قال فيه : « اني أمد يدي الى العرب • وأنا ، باسم دولة اسرائيل ، أرحب بالاجتماع بأي زعيم عربي في أي مكان أو زمان لاقامة سلم دائم بين اسرائيل والدول العربية » • وخص اشكول الرئيس عبد الناصر والملك حسين بهذه الدعوة !

واستغرب المراقبون هذه الدعوة تصدر عن رئيس حكومة اسرائيل الذي يدعي لجيشه « الانتصار الساحق على أربع دول عربية » ، ذلك ان المتعارف عليه هو أن يتوجه المهزوم ، لا المنتصر ، بالدعوة الى الهدنة والصلح ••

غير ان الذين عجبوا للمبادرة الاسرائيلية برهنوا عن جهل بطبيعة هذه الدولة وأساليبها في التظاهر بالمسالمة في الوقت الذي تعد فيه عدتها للعدوان ، أو بعد أن تكون قد نفضت يديها الملطختين بالدم من ضحاياها ••

وليس للعرب أن ينخدعوا أبدا بجلد الحمل الذي يحب الذئب الصهيوني ارتداءه كلما لاح له ان المسألة أجدى وأنفع لتحقيق أغراضه ، فتاريخ اسرائيل ، تاريخ الصهيونية العالمية ، حافل بمثل هذه المحاولات الخداعة التي انطلت ، مرارا بكل أسف ، على العالم ، وعلى العرب

بصورة خاصة . والخداع الصهيوني سفر طويل ، لأن تاريخ الصهيونية ، منذ كانت الصهيونية ، سلسلة متماسكة الحلقات من الغدر والخداع والوقيعة .

* * *

منذ خمسين عاما تعمل الصهيونية على اقامة دولتها بالقوة على كافة الاراضي الفلسطينية (فضلا عن أجزاء من أراضي سوريا ولبنان والاردن ومصر) ولكنها حرصت دائما على اخفاء نياتها الحقيقية لئلا تصدم الرأي العام العالمي فيثور عليها ويحبط مساعيها ، ولذا فانها تحرص دائما على الظهور بمظهر المسالم ولا تكف عن التعبير عن نياتها السلمية نحو العرب مع ان النيات الحقيقية للصهيونية انكشفت منذ عام ١٩١٩ عندما ذكرت لجنة « كينغ ــ كراين » ، وهي أول لجنة دولية زارت الاراضي المقدسة لدراسة المشكلة الفلسطينية ، ذكرت في تقريرها المؤرخ في ٢٨ آب ١٩١٩ ، ان هدف الصهيونية « اقامة دولة يهودية في فلسطين كلها » وان الصهاينة « يعدون العدة لانتزاع الارض من مالكيها الحاليين بمختلف الاساليب » .

وبعد شهر واحد من انكشاف نيات الصهيونية ، أي في ٢١ أيلول ١٩١٩ ، أطلق حاييم وايزمن في لندن تصريحه الشهير : « الدولة اليهودية آتية .. وهدفنا أن نجعل فلسطين يهودية كما هي بريطانيا بريطانية وأميركا أميركية » .

الا ان المشرفين على المخطط الصهيوني استهولوا هذا التصريح العاري ، فبادروا الى دعوة المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في كارلسباد عام ١٩٢١ وأصدر تصريحا رسميا أكد فيه « تصميم الشعب اليهودي على العيش مع الشعب العربي في سلام وصداقة متبادلين بغية تحقيق التطور السلمي لكل من الشعبين » .

في هذا الوقت كان اليهود في فلسطين لا يتجاوزون ١٠ بالمئة من سكانها ولذلك خافوا مغبة تصريح وايزمن ، غير انهم عندما أصبحوا حوالي ٤٠ بالمئة عام ١٩٤٨ ، أعلن المجلس الصهيوني العام ان يهود فلسطين سيقاتلون لاقامة دولتهم العتيدة ، ولكن هذا البيان بالذات لم يتخل عن أسلوب الخداع التقليدي فأضاف : « في هذه الساعة حيث يفرض علينا سفح دمائنا في القتال ، نتوجه الى العرب في الدولة اليهودية ، والى جيراننا في الدول المتاخمة ، بدعوة الى الاخوة والسلام ، نحن شعب مسالم ، ونحن هنا لاقامة السلام » (كذا) .

وفي اليوم التالي هاجمت منظمتا شتيرن وايرغون الارهابيتان قرية « نصرودين » في منطقة طبريا بالرشاشات والقنابل اليدوية ، فلم ينج من سكان القرية غير عدد قليل من النساء والاطفال .

وفي ٢ أيلول ١٩٥٣ أعلن ابا ايبان في هيئة الامم المتحدة : « حكومتي مستمرة في رسم صورة للشرق الاوسط المسالم ، حيث تتعاون جهود الشعبين لمسح جراح كل عمل عدواني » .

وفي ١٤ تشرين الاول من العام نفسه هاجمت وحدة عسكرية اسرائيلية قرية « قبية » الاردنية فدمرت منازلها وذبحت رجالها ونساءها وأطفالها .. وقد شجب العالم المتمدن هذا العمل الوحشي في حينه وأصدر مجلس الامن قرارا بادانة اسرائيل .

وفي تموز ١٩٥٦ أعلنت غولدا ماير ، وزيرة خارجية اسرائيل في ذلك الحين ، أمام نادي الصحافة في القدس : « سياستنا الخارجية تقوم أول كل شيء على السلام . السلام حيوي لكل بلد ولكنه ، بالنسبة لاسرائيل ، في منتهى الحيوية ، ولذا كانت سياستنا مسالمة دائما » !

وفي ٢٩ تشرين الاول من العام نفسه شنت اسرائيل هجومها الواسع على مصر بمساعدة فرنسا وانكلترا بعد أن كانت قد أغارت على مدن أردنية كثيرة قبل ذلك وبخاصة مدينة قلقيلية .

هذا نزر يسير من الخبث الصهيوني الذي يعتمد عليه التكتيك اليهودي من أجل تحقيق أغراضه الى جانب وسائل كثيرة أخرى لا تقل عنه خبثا وخديعة واستغفالا للناس ، وسخرية بعقل العالم وضميره •

أولم يوصهم حكماء صهيون في البروتوكولات الشهيرة هذه الوصية « الثمينة » : « ان معظم الناس جماعة من الاطفال والسذج فلا ينبغي التورع عن معاملتهم على هذا الاساس » •

* * *

في هذا الوقت ، وبعد المحنة التي نزلت بنا ، ينبغي لنا اكثر من أي وقت آخر ، أن نعرف عدونا ، أن نعرفه على حقيقته ، لا كما يحب زعماؤنا وحكوماتنا أن يصوروه لنا ، فقد أثبتت الاحداث الدامية ان كل ما كنا نعرفه عن هذا العدو خطأ فادح ، وان كل ما كان هذا العدو يعرفه عنا صحيح مائة بالمائة ••

لقد عشنا في وهم كبير ، « وهم المائة مليون » !

وثبت ، بما لا يقبل نقاشا ، ان اسرائيل « الدويلة » المؤلفة من مليونين ونصف المليون ، قد ساقت الى ساحات القتال حوالي ٣٠٠ ألف مقاتل • بينما لم تستطع الدول العربية فعل ذلك •

حقائق كثيرة كشفتها حرب الايام الستة ربما حان الوقت لنشر بعضها ، فالجرح ما يزال داميا ، والشعوب العربية لم تثب بعد تماما الى رشدها من جراء الصدمة ، ومع ذلك فقد يصبح الكلام المباح واجبا وطنيا قبل كل واجب وفوق كل واجب ••

* * *

واحدة من هذه الحقائق الكبرى هي اننا لم نتعلم ، الا القليل القليل ، من نكبتنا الاولى عام ١٩٤٨ ، فالخلافات العربية كانت ما تزال قائمة ، بل قل انها استفحلت خلال السنوات العشرين الفائتة ، واذا كانت، عام ١٩٤٨ ، خفية مغلفة بقشرة من البروتوكول والمجاملة ، فقد تعرت في

الخمسينيات والستينيات حتى غدت عنصرا أساسيا في صلب السياسة العربية • وكلنا يذكر انه ، الى ما قبل أيام من انفجار الموقف ، كانت الخلافات العربية على أشدها ، ولم تهدأ الا عندما نشب القتال وتكلم المدفع • فسكتت الاذاعات وهدأت المهاترات •

ومن الحقائق المؤسية أيضا ، الفوضى الاعلامية التي شهدناها ، وشهدها العالم معنا ، فاستهجنها جميع الناس ، ولكن المشرفين على أجهزة اعلامنا متمسكون بها ، فهي في نظرهم ، غاية الغايات ومنتهى الابداع والعبقرية !

لقد سمعنا الكثير عن الدعاية الصهيونية التي غمرت العالم غمرا في أيام المعركة واستطاعت أن تجرف الرأي العام العالمي لما اتصفت به من تنظيم مدروس وبعد عن الفوضى والارتجال •

أما نحن فلن نربح القضية اذا لم نكشف أخطاءنا بشجاعة ونعترف بها بجرأة وتتعلم دروسها بوعي وجدية •

وهذا ما سنحاوله في هذا الكتاب •

المؤلف

الفصل الاول
الأحداث تتلاحق

اسرائيل دولة غاصبة تعيش على العدوان ، وتلك من بدهيات السياسة في منطقتنا منذ عشرين عاما . ومع اتصاف اسرائيل بالاغتصاب والعدوان فهي ترفض بكل ما أوتيت من قوة أن تعترف للعرب بفلسطين ، أصحاب الارض التي غصبتها واستباحت حماها وانتهبت خيراتها وشردت أصحابها الاصليين ، أن يطالبوا ، عمليا ، باسترجاع حقوقهم ، فتسمي هذه المطالبة العملية « تسللا وارهابا وتهديما » وتطلق على أصحاب الحق الذين يريدون استرجاعه : متسللين ومخربين وارهابيين وهدامين .

وهي لا يروعها شيء كأعمال هؤلاء — ونحن نسميهم التسمية التي يستحقونها : فدائيين — تروعها أعمالهم لانها تعلم علم اليقين انهم يقاتلونها باستماتة صاحب الحق الغصيب والارض السليب ، وانهم قادرون على قض مضجعها ، والاثخان بها ، وحرمانها لذة التمتع بالمال الذي سلبته ..

وخلال السنوات العشرين التي انقضت على قيام اسرائيل شهدت البلاد العربية حساسية اسرائيلية شديدة حيال أعمال الفدائيين العرب ، فكانت لا تتردد في الرد والانتقام وأحيانا في اشعال نزاع واسع ، كما حدث عام ١٩٥٦ ، للقضاء على التسلل العربي الى الاراضي المحتلة .

وفي الآونة التي سبقت ٥ حزيران ١٩٦٧ نشطت الاعمال الفدائية

داخل اسرائيل ، وكانت الحدود السورية هي منطلق الفدائيين بشكل خاص ، فتحركت اسرائيل ، وقامت بعدوانها الكبير على الاراضي السورية في ٧ نيسان ١٩٦٧ ، ذلك العدوان الذي فاق في ضخامته كل ما سبقه من أعمال انتقامية ماضية .

ومع ان الردع السوري لم يكن بالضئيل ولا الضعيف ، فقد كان بوسع السلطة الصهيونية أن تتبجح بأنها « قضت » على مراكز المقاومة السورية ، و « دمرت » المدفعية التي قصفت المستعمرات المتاخمة للحدود ، و « أسقطت » جميع الطائرات السورية التي تصدت لطائراتها ، بل انها لاحقت بعض هذه الطائرات الى سماء دمشق بالذات وأسقطتها هناك .

وخيل للدولة الصهيونية انها تستطيع أن تعمل طليقة اليدين ضد أي قطر عربي تهب الريح من حدوده على « أرضها » بعد أن تصورت نفسها سيدة الموقف العسكري في المنطقة وذلك للاسباب التالية :

١ ـ بعد العدوان الثلاثي على مصر واقامة البوليس الدولي على طول الحدود المصرية ـ الاسرائيلية بما فيها قطاع غزة ، حررت اسرائيل احدى يديها ، وسحبت قواتها العسكرية من الجنوب والغرب ، لتركزها جميعا في الشمال والشرق ، مطمئنة الى حماية « ذوي القبعات الزرقاء » لجبهتها الجنوبية مع أكبر دولة عربية .

٢ ـ دخلت الخلافات العربية التي استمرت منذ عشر سنوات تقريبا تفرق الصف العربي وتمزق وحدة كلمة العرب ، دخلت هذه الخلافات عنصرا أساسيا في الاستراتيجية الاسرائيلية وبخاصة بالنسبة للجبهة الاردنية الممتدة على مئات الكيلومترات بحيث يصعب جدا على جيش صغير نسبيا كالجيش الاردني ، ومهما كان باسلا وشجاعا ومدربا وحسن التسليح ، كما هي حال الجيش الاردني أيضا ، أن يقوم بالحماية الكاملة لهذه الحدود الطويلة . والخلافات العربية المشتدة كانت تحول دائما دون

سماح أي قطر عربي لجيوش قطر آخر بالدخول اليه للاشتراك مع جيشه في حماية حدوده ، وهذا ما جعل اسرائيل تطمئن ، نسبيا ، الى الوضع على الحدود الاردنية واللبنانية حيث كانت تكتفي ، بين فترة وأخرى ، بالقيام بعدوان أو أكثر دون أن تخشى أبدا أن تتحول هذه الاعتداءات الى حرب شاملة أو نزاع واسع .

٣ ـ ظلت الحدود السورية من بين سائر الحدود العربية المتاخمة لاسرائيل هي الوحيدة التي تشكل منطقة قابلة للتفجر فعلا ، فهي محدودة نسبيا (يبلغ طول الجبهة السورية ١٠٠ كلم) والجيش السوري كبير بحيث يستطيع تغطيتها بسهولة . أضف الى ذلك ان السوريين ، في مختلف العهود وفي ظل سائر الانظمة ، لا يتهاونون بالنسبة لفلسطين ولا يسكتون أبدا عن رد الصاع صاعين لكل عدوان اسرائيلي . من هنا قامت لدى الدولة اليهودية ضرورة كبح جماح الجبهة السورية وكسر شوكتها لكي تكف عن أن تكون مبعث قلق مستمر لها فتتساوى ، من هذه الناحية ، مع الجبهات العربية الاخرى التي يخيل لاسرائيل انها سيدة الموقف فيها الى حد ما .

٤ ـ تصورت اسرائيل انه بوسعها حشد أكبر عدد من قواتها المسلحة على الجبهة السورية دون أن تخشى خطرا جديا على الجبهات الاخرى ففعلت . وحسبت انه بوسعها أن تنزل ضربة قاصمة بهذه الجبهة دون أن تخشى احتمال اسراع أي جيش عربي لنجدتها ، فأطلق رئيس حكومتها ليفي اشكول تهديده الشهير القائل بأنه « اذا لم توقف سوريا نهائيا تسلل الفدائيين من حدودها فان اسرائيل سوف تقدم على مهاجمتها وربما احتلال دمشق لاسقاط النظام القائم فيها » .

واتضح فيما بعد تماما ان اشكول عندما أطلق تهديده هذا لم يكن يقدر ما قد ينجم عنه ، بل حسب ان هذا التهديد سوف يجد صداه المتوقع لدى السوريين فيخافون ويكفون عن تسهيل تسلل الفدائيين ، وبخاصة

ان التهديد قد جاء بعد فترة غير بعيدة عن العدوان الاخير الذي وقع في ٧ نيسان ١٩٦٧ • أما الدول العربية الاخرى فلا شك في ان اشكول لم يتوقع منها أكثر من بعض التصريحات والشجب وبعض التعليقات المعادية كما عودته من قبل •

أطلقت اسرائيل تهديدها وأرفقته بخطوة أخرى هي ما أعلنته من اعتزامها اجراء العرض العسكري ، لمناسبة ذكرى تأسيسها ، يوم ١٥ أيار ١٩٦٧ ، في القسم المحتل من مدينة القدس • وعلى الرغم من المعارضة التي لاقتها هذه الخطوة من دول كثيرة ومن يوثانت الامين العام للامم المتحدة ، بشكل خاص ، فقد نفذت اسرائيل عزمها وعرضت قواتها في القدس معتبرة اياها « عاصمة اسرائيل » خلافا لقرارات الامم المتحدة ، فكان عملها هذا تحديا للعرب بخاصة ولهيئة الامم بعامة •

وفي الوقت الذي ارتفعت الاصوات احتجاجا على هذه الخطوة الاسرائيلية المتحدية لم يعل أي صوت من الدول في شجب التهديدات الموجهة الى سوريا والتي تشكل تدخلا مفضوحا في الشؤون الداخلية لدولة عضو في هيئة الامم المتحدة لانها تنطوي على التهديد بتبديل نظام قائم في هذه الدولة •

وقد فسر المراقبون سكوت الاوساط الدولية عن ذلك بأحد أمرين :

١ ـ اما ان التوتر على الحدود السورية ـ الاسرائيلية لا يشغل أذهان الدوائر السياسية جديا فلا يرون فيه خطرا ماثلا •

٢ ـ أو ان الغاية من هذا التوتر الوصول بالاوضاع في المنطقة الى حالة من التفجر تسمح للقوى الدولية بالتدخل لاعادة النظر في قضايا كثيرة معلقة منها تدويل القدس والاماكن المقدسة مقابل فرض مراقبة دولية على الحدود بين سوريا واسرائيل شبيهة بتلك المفروضة بين مصر واسرائيل •

وثمة اعتقاد قائم هو ان الهدف الابعد (والذي تم شبه اتفاق عليه

بين الدول الكبرى) هو ترك الحالة تتردى لدرجة تجعل من الممكن طرح قضية الصلح بين العرب واسرائيل ، وهذا ما أثبتته الاحداث •

وفي حسبان اسرائيل أيضا ان سوريا لن تكون المبادرة بمهاجمة الارض المحتلة على الرغم من التهديد الصريح ، وذلك استنادا من اشكول الى التاريخ القريب حيث لم تقم أي دولة عربية بأي عدوان على اسرائيل خلال ١٨ عاما ، بل العكس هو الصحيح ، فاسرائيل هي التي كانت المعتدية دائما •

الا ان هذا التاريخ القريب يثبت أيضا ان الدولة الصهيونية لم تقدم على عدوان واسع (ولن تقدم) الا بعد أن تصبح واثقة من دعم خارجي تظفر به بعد تفجير الموقف ، كما كان الامر عام ١٩٥٦ •

وهنا يكمن الخطر الحقيقي في الموقف كله •

الا ان الوضع يبدو مختلفا عما كان عليه عام ١٩٥٦ • فبينما احتفظت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يومها بدوريهما كحكمين في المعركة، تجدهما هذه المرة مزجوجتين في القضية رأسا ، لتصبحا طرفين فيها لانها تقع ضمن مسؤوليتهما معا • وكان المعتقد ان بوسع واشنطن وموسكو دائما وقف هذه الرعونة الاسرائيلية وكبح مطامح الصهيونية سواء بخطوات حاسمة تتخذ ضمن اطار مجلس الامن أو بالاساليب الدبلوماسية المعتادة •

ولكن دلت التجارب الماضية ـ كما أشرنا ـ الى ان دويلة اليهود لا تقدم أبدا على خطوة من شأنها ادخال بعض التعديلات على حدودها القائمة ان لم تستوثق مسبقا بدعم خارجي يؤازرها في خطوتها •

وفي الازمة التي نحن بصددها بدا ان هدف حملة اسرائيل هو اغلاق الجبهة السورية في وجه عمليات الفدائيين ، غير ان حكومة اشكول تورطت في ما هو أبعد من ذلك عندما هددت بدخول سوريا واحتلال دمشق واسقاط النظام القائم فيها • وقد كشفت القاهرة (وأكدت) ان

الخطة الاسرائيلية ترمي فعلا الى تحقيق مثل هذا الهدف ، على أن تنسحب في ما بعد من الاراضي السورية بعد أن تحقق أغراضها ، وتجني بعض المكاسب الشبيهة بتلك التي جنتها من جراء دخولها الاراضي المصرية في العدوان الثلاثي وعدم انسحابها الا بعد وضع القوات الدولية على الحدود وفتح خليج العقبة أمام ملاحتها في البحر الاحمر .

والخطة الحالية شبيهة ، الى حد ما ، بخطة العدوان الثلاثي ، فالحجة (وهي الفدائيون) واحدة ، الغرض في النهاية ، متشابه .

فقد خرجت اسرائيل بكسب مادي لا يستهان به . ولكن اسرائيل رفضت ، يومها ، قبول وجود القوات الدولية في أراضيها ، وأصرت على عدم التعاون مع قيادة هذه القوات التي اضطرت الى التمركز ضمن الاراضي المصرية حيث أقامت ١١ عاما دون أي احتكاك بين الطرفين ، وهي تحمي الملاحة الاسرائيلية من شرم الشيخ .

* * *

غير ان جميع هذه المخططات التي وضعتها حكومة اشكول ، وكل الفرضيات التي حسبت حسابها بدقة ، انقلبت رأسا على عقب بين ليلة وضحاها ، وبشكل لم تكن تتوقعه تل أبيب أبدا .

فقد أمرت مصر قواتها بالتوجه الى سيناء عندما بلغ التأزم على الجبهة الشمالية أوجه . وتحركت القوات المصرية في الحال . وفي اليوم التالي لتحرك القوات المصرية جاءت الخطوة الثانية الحاسمة من القاهرة وهي طلب انسحاب البوليس الدولي والتجمع في قطاع غزة لتحل القوات المصرية محله وجها لوجه أمام القوات الاسرائيلية حيث لا توجد منطقة منزوعة السلاح ولا رقابة دولية ولا لجنة هدنة منذ ١٩٥٦ كما هي الحال

على الحدود العربية الاخرى . وتلت هذه الخطوة خطوة ثالثة أكثر منها حسما للموقف ألا وهي طلب القاهرة الرسمي الى يوثانت سحب القوات الدولية كليا من الاراضي المصرية .

هذا القرار نقل ، بضربة واحدة ، المبادرة الى يد القاهرة ، أي الى يد العرب .

فالواقع ان تصرف حكومة اشكول قد أثار موجة عارمة من الاستنكار والاستهجان لدى جميع الشعوب والحكومات العربية بقطع النظر عن رأي هذه الحكومات ، أو عواطفها نحو النظام السوري الحالي. وقد غاب عن بال اشكول وحكومته ان العرب قد يختلفون في كل شيء ، وعلى كل شيء ، الا على قضيتهم الاولى التي يعتبرونها بحق مقدسة وفوق كل خلاف وكل نزاع . وغاب أيضا عن بال اشكول وحكومته ان تصرفه ، وتهديداته ، ذكرت العالم بالاساليب النازية البائدة ، عندما كان هتلر يعطي لنفسه الحق في تغيير أنظمة الدول المجاورة ، وهو طامع فيها يريد ضم أراضيها الى امبراطوريته ، فيمارس عليها ضغطا سياسيا وعسكريا يبلغ أحيانا كثيرة حد التدخل المسلح لتبديل تلك الاوضاع كما كان الشأن مع النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا فيما بعد .

وعلى الرغم من كل ذلك يدعي اشكول انه يعمل في ظل حماية الاسطول الاميركي السادس ، وان الولايات المتحدة لا تتخلى عن حمايتها لدولته .. وتقر واشنطن فعلا هذا الاسلوب الفاشستي الصريح الذي ينتهجه اشكول .

* * *

لا نقاش في ان طلب مصر (وقبول يوثانت) سحب البوليس الدولي (وانسحابه فعلا) كان أخطر حدث وقع خلال الازمة العربية ـ الاسرائيلية

الاخيرة وذلك لما أسفر عنه من قلب كامل لميزان القوى بين الدول العربية والعدو ، ولما يترتب عليه من اشعال الفتيل الذي كان من المقرر فعلا أن يشعل في الوقت المناسب .

جاءت قوات الامم المتحدة ، أصلا ، في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ومهمتها الرسمية « مراقبة تنفيذ مقررات الامم المتحدة المتعلقة بانسحاب القوات الفرنسية — الانكليزية — الاسرائيلية المعتدية ، من الاراضي المصرية » كما ذكر قرار الامم المتحدة في حينه .

وكان بن غوريون في ذلك الحين يرفض سحب قواته محتجا بأن « ذيول أية حرب من الحروب لا تصفى الا بمعاهدة صلح » ، كما قال في احدى رسائله الى همرشولد الامين العام السابق للمنظمة الدولية ، وكان رئيس حكومة اسرائيل يطمح الى انتهاز السانحة لتحقيق أمل اسرائيل العسير المنال : الصلح مع العرب .

الا ان المنظمة الدولية رفضت هذه الحجة وأجابته بأن تسوية ذيول الحروب ، في عصرنا ، مهمة من مهمات هيئة الامم . وكان على رأس الولايات المتحدة رجل كبير عادل هو الرئيس الاسبق ايزنهاور الذي أعلن دون موارية ولا مجاملة « ان العدوان لا ينبغي أن يجد مكافأة بانتظاره » .

وكانت الدول العربية تطالب بعودة الامور الى نصابها ، والحدود الى مثل ما كانت عليه ، وكانت اسرائيل تصر على البقاء في غزة وسيناء . وأخيرا ، عثر على الحل الوسط فكان البوليس الدولي الذي ضمن عودة الحدود الى ما كانت عليه وفي الوقت نفسه أمّن لاسرائيل منافع هامة كما رأينا .

ويومها أرضت النتيجة الطرفين : فالعرب لم يضطروا الى الدخول في مفاوضات صلح ثمنا لجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضي المصرية ، واسرائيل اطمأنت الى حرية ملاحتها من ايلات عبر خليج العقبة الى البحر

الاحمر فافريقيا حيث استطاعت ، خلال السنوات العشر الماضية ، أن تقيم علاقات كثيرة وتجني فوائد اقتصادية عديدة ، كما اطمأنت الى حماية حدودها الجنوبية وتفرغها لمشاكل الحدود الشرقية والشمالية .

والجدير بالذكر ان نجاح هذا الحل حدا بليستر بيرسون ، رئيس وزراء كندا ، صاحب فكرة انشاء البوليس الدولي أصلا ، بعد أشهر قليلة من وصوله الى الحدود المصرية — الاسرائيلية ، الى مطالبة الامم المتحدة بتعميمه على كافة حدود الهدنة « بموافقة الدول ذات العلاقة طبعا » كما قال الرئيس الكندي يومها .

غير ان هذه الموافقة لم تحصل أبدا . وبعد اعلان موافقة الامين العام على الطلب المصري العادل راح اشكول يلتمس رفض الطلب المصري والابقاء على القوات الدولية في مواقعها ، واذا باسرائيل تتوجه بهذا الطلب وهي التي رفضت عام ١٩٥٧ قبول ذوي القبعات الزرقاء في أراضيها أو حتى الاعتراف بهم على حدودها مع مصر .

وبدأت تحركات عسكرية واسعة بين الجبهة الشمالية حيث كانت كثافة الحشد الاسرائيلي ، والجبهة الجنوبية التي كانت شبه فارغة ، وذلك لمواجهة احتمالات هجوم مصري بعد رحيل القبعات الزرقاء .

ان قرار القاهرة بسحب القوات الدولية أجبر تل ابيب على اعادة النظر في مجمل موقفها الاستراتيجي الذي استمرت تبنيه ، وتبني عليه ، لعشر سنوات خلت . فقد رجعت الامور الى مثل ما كانت عليه قبل ١٩٥٦ ولم يكن أحد يتوقع ان بوسع واشنطن ، مع تعهدها بحماية سلامة اسرائيل ، أن تضرب صفحا عن جميع ما يربطها بالعالم العربي فتتنكر له دفعة واحدة وتقطع شعرة معاوية معه .

ان زمام المبادرة قد انتقل الى يد العرب في الازمة بعد أن ظل في أيامها الاولى بيد اسرائيل ، وذلك للاسباب التالية :

١ — قرار مصر بسحب قوات البوليس الدولي وحلول قواتها في

مواقع البوليس على طول حدود سيناء مع النقب وحتى شرم الشيخ على مضائق تيران والمسيطر على الملاحة في خليج العقبة • وكذلك حلول قوات التحرير الفلسطينية في مواقع البوليس الدولي المنسحب من قطاع غزة •

٢ ـ التضامن الشامل الذي أبدته جميع الدول العربية مع سوريا المعرضة للخطر أولا ثم معها ومع مصر بعد قرارها بسحب القوات الدولية• وقد شمل هذا التضامن ، كما هو معروف ، خطوات عملية تعدت التصريحات المعتادة • فعمان استنفرت جيشها واتخذت جميع التدابير لوقوفه على أهبة الاستعداد لدخول المعركة فورا • وبغداد بادرت بارسال بعثة الى دمشق لتنسيق التعاون العسكري مع سوريا وأبدت استعدادها لارسال قواتها البرية والجوية في الحال لتأخذ مواقعها الى جانب القوات السورية • وكذلك فعلت بالنسبة لمصر حيث عقد مجلس القيادة السياسية جلسات طارئة لتنسيق التعاون في جميع المجالات • ومن لندن أصدر الملك فيصل أوامره الى نائبه في الرياض بوجوب وضع الجيش السعودي في حالة التأهب للتجاوب الفوري والعملي مع أي تحركات عربية يستوجبها الموقف أو تستدعيها عوامل التحسب للمفاجآت •

ولبنان بادر بارسال بعثتين عسكريتين الى دمشق والقاهرة لتنسيق الخطط مع الدولتين الشقيقتين • أما الجزائر فقد أعلنت استعدادها لارسال قوات تشترك عمليا في القتال • ومثل هذه الرغبة عبر عنها السودان والكويت والمغرب وغيرها •••

وبكلمة بلغ التضامن العربي الفعلي خلال هذه الازمة مبلغا لم تعرفه الدول العربية من قبل الا في أثناء أزمة السويس ، بل يمكن القول ان هذه المرة كان أكثر عملية وأقرب الى التنفيذ بحيث بات مؤكدا ان جميع الجيوش العربية سوف تدخل المعركة في الحال اذا ما أقدمت اسرائيل على

تنفيذ تهديداتها أو اذا ما وقع أي احتكاك خطير على احدى الجبهات مع العدو •

* * *

قوات الامم المتحدة بدأت انسحابها بعد أن سلمت مواقعها الى الجيش المصري وجيش التحرير الفلسطيني • والجيوش العربية على سائر الحدود مع العدو أخذت مواقعها وهي على أتم الاهبة للدخول في عمليات حربية واسعة • والامدادات ما تزال تتدفق من داخل البلدان العربية المتاخمة للارض المحتلة ، والتعزيزات مستمرة ليل نهار ، والاستعدادات في المدن للدفاع المدني على قدم وساق ، ففي مصر أعلنت تعبئة الاحتياطي وسوريا دعت الى التطوع في الجيش الشعبي فضلا عن دعوة احتياطيها ، والاردن يحشد قواته على طول جبهته الطويلة ••• وسائر الدول العربية الاخرى بدأت في التأهب والاستعداد •

ومع ذلك فلا العرب ، ولا اسرائيل ، يدعون بأنهم يزمعون اتخاذ الخطوة الحاسمة أي الهجوم • واذا كان اللواء حافظ أسد ، وزير الدفاع السوري ، قد طالب علنا « بخوض معركة تحرير فلسطين » لان الوقت قد حان لها ولان القوات السورية أصبحت جاهزة ومستعدة « ليس فقط لرد العدوان الاسرائيلي وانما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من الوطن العربي » ، فان الجانب المصري أبدى ضبطا للنفس أكثر ، وقد صرح قائد الجبهة الجنوبية الفريق أول مرتجي ان « طلقة واحدة لن تكون كافية لاشعال نار الحرب » كما ردد أكثر من مسؤول مصري ان الحشود المصرية على الحدود « أصبحت مستعدة لدخول العمليات اذا ما تعرضت احدى الجبهات العربية لهجوم اسرائيلي » • أما العدو فقد نفى أكثر من مرة انه ينوي

الاعتداء على أحد وان العرب هم الذين يريدون الاعتداء عليه (كذا) .

الا ان هذا كله لا ينفي حقيقة ماثلة نشأت عن التطورات الاخيرة للموقف ، وهي التي يعتبرها المراقبون النقطة المحتملة لكل انفجار يقع في أي لحظة ، وهي الاشراف المصري على الملاحة في خليج العقبة بعد أن عادت قوات مصر الى احتلال موقع شرم الشيخ . فالواقع ان مصر لم يعد بوسعها ، في أي حال ، أن تغض الطرف عن الملاحة الاسرائيلية عبر مضائق تيران وخليج العقبة بعد أن أصبحت المسيطرة فعليا على الممر . وفي الوقت نفسه يجد المراقبون صعوبة شديدة في تخيل اسرائيل وقد تنازلت قسرا عن هذه الميزة الكبرى التي كسبتها من حملة سيناء والتي عادت عليها بمنافع حيوية لا تحصى ، اذ ان هذا هو المنفذ الوحيد لاسرائيل على البحر الاحمر وافريقيا نظرا لاغلاق قناة السويس الدائم في وجه ملاحتها .

وكان السؤال : اذا كانت اسرائيل قد تراجعت ، أمام الحشود العربية ، عن تنفيذ تهديداتها ضد سوريا ، فهل تراها تسكت أمام هذا الخطر الجديد الذي بات يهدد مصالحها الحيوية ؟

هذا ما تولت الايام التالية الاجابة عليه .

الفصل الثاني

اسرائيل تبيت العدوان

في شهر كانون الاول ١٩٦٦ نشرت مجلة « رياليتيه » الباريسية تحقيقا أجراه مراسلها في تل أبيب مع وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان ، ومن الهام الاطلاع على رأي اسرائيل الرسمي قبل سبعة أشهر من بدء القتال . وهذا نص الحديث كما نشرته « رياليتيه » ـ عدد ٢٥١ ، كانون الاول ١٩٦٦ ـ :

* سؤال : هل يتطور الوضع في الشرق الاوسط حاليا نحو السلم أو نحو الحرب ؟

ـ جواب : لا نحو السلم ولا نحو الحرب ، بل نحو حالة بين الاثنين لا ينطبق عليها تعريف معروف . الى ناحية السلم ، أنا متأكد من وجود حالة نفسية أكثر واقعية وأكثر اعتدالا في العالم العربي وتتمثل بتيار فكري جديد يقبل وجود دولة اسرائيل كواقع يخالف بالتأكيد رغبات وارادة جيراننا ، لكنه واقع يشعرون انه لا بد من القبول به .

ففي الحياة الدولية ، كما في الحياة الخاصة ، يجب علينا كلنا في بعض الظروف ابتلاع أشياء يصعب علينا هضمها . وهذا ما يحدث للعرب بالنسبة لاسرائيل . وبالاختصار فان من حولنا يقدرون بأن ما حدث في منتصف ليل ١٤ ايار ١٩٤٨ ـ تاريخ ولادة اسرائيل ـ قد أصبح أمرا

مقضيا . (واستشهد على ذلك بتصريحات الرئيس بورقيبة أثناء زيارته للشرق الاوسط التي زاد عليها في حديثه لمجلة رياليتيه) . ومن جهة ثانية فاني أعرف ان كثيرا من السياسيين والكتاب والمفكرين في العالم العربي قد اقتنعوا اليوم بوجهة النظر هذه . وبعض الوقائع لا تخدع . فحتى هذه الايام الاخيرة لم تحصل قلاقل خطيرة الا على حدودنا مع سوريا . أما حدودنا مع لبنان والاردن ومصر فقد كنا نلاحظ جهودا لاشاعة الهدوء وكانت الحكومات تحاول أن تمنع عناصر ارهابية من ممارسة فعالياتها . ومع ذلك فان الرغبة بالعنف بقيت على المستوى العاطفي . ففي الاماكن العامة يتابع الخطباء العرب حكمهم « بالقاء اسرائيل في البحر » . لذلك فلا يتعلق الامر في الوقت الحاضر بسلم حقيقي بل بمجرد تعايش سلمي .

* سؤال : هل يمكن أن يدوم هذا السلام ؟

— جواب : نعم ، اذا استمرت في السنوات القادمة ثلاثة شروط أحدها توازن القوى . فيجب أن تحصل اسرائيل على الاسلحة اللازمة لتمارس تأثيرا يقنع جيرانها بعدم اللجوء الى القوة . وقد تحسنت الحالة من هذه الناحية اذ بدلا من أن تسلمنا الولايات المتحدة سلاحا بواسطة ألمانيا فقد قررت أن تتحمل مسؤولياتها ، وهي تزودنا الان علنا بصواريخ (هوك) ضد الطيارات وبالمصفحات والطائرات . ان الاسلحة الاميركية تعزز دفاعنا دون أن تضعف علاقاتنا مع مصدر تسليحنا التقليدي الذي هو فرنسا . ان سباق التسلح هذا مؤسف — فنحن من جهتنا نتخلى عنه بفرح لو كان ذلك ممكنا — لكن الحالة الحاضرة تفرضه علينا فرضا . وبفضل رفع الحظر الاميركي ، وبمقدار ما نستطيع تحمل العبء المالي للتسلح ، نجد أنفسنا قادرين على الدفاع .

الشرط الثاني هو أن تستعمل الدول الكبرى نفوذها لضمان استمرار الاوضاع الراهنة . ان هذه الارادة واضحة بالنسبة للغرب . أما الاتحاد السوفياتي فلا أعتقد انه يريد تغييرا لوضع الشرق الاوسط عن طريق

العنف . ومن المؤكد ان عمله يتجه الى ناحية واحدة هي تسليح العرب ، في حين ان الولايات المتحدة تسلح المعسكرين المتنافسين ، وتؤازر القضايا العربية في مداخلاتها العلنية .

وأخيرا فان العنصر الثالث هو تطور « العائلة العربية » التي لم تمر بوقت تمزقت فيه كالوقت الحاضر . فهناك اصرار في كل الاقطار على سلطات الدولة ، وعلى الخصائص الاقليمية ، واختلاف المصالح . انه درع يرفع في وجه الهيمنة المصرية سواء فرضت من الخارج أو بواسطة حركات ناصرية داخلية . ففي الجزيرة العربية تتحارب قوات عبد الناصر وفيصل دون نهاية على أرض اليمن . وفي أقصى العالم العربي نرى بلاد المغرب تفعل كل ما تستطيعه حتى لا تشترك بمنازعات الشرق الاوسط . كل هذا يفرحني جدا ، لان هذه التجزئة أفيد بكثير لاستقرار اسرائيل من فكرة جمع العالم العربي من المحيط الى الخليج .

* سؤال : يعتقد البعض مع ذلك ان حل المشكلة يمر أولا باتحاد البلاد العربية ، يتبعه اتفاق بينها وبين اسرائيل لتفادي المزايدات الحربية بين القاهرة ودمشق وعمان وبغداد والرياض الخ ... لو تصرفت كل عاصمة بمفردها .

— جواب : ان هذا تخيل فكري مجرد . واذا ظهر معقولا من جهة منطقية فانه لا يتفق مع الحقيقة . اذ ما من شيء سبب القلاقل في الشرق الاوسط كالارادة المستمرة منذ عشر سنوات او اكثر بفرض أوامر القاهرة على هذه المنطقة . ما من شيء قسم العالم العربي أكثر من الجهود المبذولة لتوحيده . وقد رأينا الازمات تنفجر متتابعة في سوريا ولبنان والعراق والاردن والسودان والسعودية والآن في اليمن .

ان التيار العصري في أيامنا على المسرح الدولي هو نحو التنوع والتعدد والابتعاد عن المركزية بدليل ما يحدث في العالم الشيوعي وفي افريقيا . ولا أعتقد ان العالم العربي الذي تتباين جدا عناصر تركيبه

يستطيع أن يقبــل سيطرة مركزية . وبكل الاحــوال فان قضية اسرائيل لا تكفي لاقامة الوحدة ، وهذه الوحدة ـ أو سياسة التوحيد ـ كــانت عنصر حرب لا عنصر سلام .

من جهــة أخرى ، فان التنـــوع في الشرق الاوسط أكثر ملاءمة لاسرائيل من التوحيد . فاذا استطاعت كل دولة في هذه المنطقة ، حيــث نجد عددا من غير العرب مساويا لعدد العرب ، أن تتابع بسلام مؤهلاتها الخاصة بروح التسامح المتبادل ، عندئذ لا يقلق أحــد من وجودنا . فضمن فسيفساء (من الدول) نستطيع أن نندمج دون صعوبة ، بينمــا نشكل شوكة في جسم كتلة متجانسة .

* سؤال : توازن القوى الذي تذكره ألا يتعرض للخلل بدخــول الاسلحة النووية ؟

ـ جواب : اننا نعيش في الشرق الاوسط حاليا في عصر الاسلحــة التقليدية . وصدقني ان هذه الاسلحة بالنسبة لبلد صغير كاسرائيل تمثل تهديدا خطيرا كافيا . فاذا نشبت حرب فانهــا تسبب لنا دمارا كبيــرا وخسارة فادحة بالارواح . وستكون الحرب سريعــة جدا لاني مقتنع بأن حربا كهذه ستكون قصيرة ـ وبنهايتها لن يقتصر الخراب الذي تحدثــه حركات الجيوش على جانب واحد .

وليس من السخف أن تتصور بأن الزعماء العرب سيطلبون « الرجوع الى حدود ١٩٦٦ و ١٩٦٧ » كما يطلبون الان الرجوع الى حدود ١٩٤٧ بعد أن حاولوا تعديلها بالقوة .

وكما قلت لك ، اننا في عصر الاسلحة التقليدية ، لهذا لم نعد نخشى أن يتجاوزونا في سباق التسلح ما دامت منابع الوصول الى الاعتــدة الحديثة مفتوحة لنا .

* سؤال : انكم تتحدثون عـــن دوركم الانساني فماذا تفكرون بحالة اللاجئيــن الفلسطينيين ؟ ان الرئيس عبد الناصر

في حديثه لمجلة « رياليتيه » أوحى بأنه يعترف بوجــود اسرائيل اذا قبلتـــم بقرارات الامم المتحدة وعــودة اللاجئيـــن .

ـ جواب : بمعنى آخر : اذا قبلنا بتدمير اسرائيل . هذا بالضبط ما يعنيه رجوع هؤلاء اللاجئين الذين يجب أن نعترف لهم بصفة حسنة هي الصراحة . فزعماؤهم لا يملون من التصريح بأنهم اذا ما رجعوا يوما الى بلادنا فسيكون ذلك للقضاء على الدولة التي بنيناها .

أما عبد الناصر فـلا يقول الحقيقة عنــدما يتكلم عن قرارات الامم المتحدة وحق اللاجئين بالعودة . ان القرار الوحيد هو الذي يتضمن اتفاقا على الصلح . وفي هذا الاطار فقط يذكر القرار عودة اللاجئين بثلاثـة شروط : أن يكون ذلك ممكنا ، وأن تسمح به اسرائيل ، وأن يتفــق مجموع اللاجئين ، أولئك الذين يرغبون بالعودة والذين لا يرغبــون ، على الشروط . لكن عبد الناصر يعزل بندا من القرارات ويتمسك بــه . وأضيف ان قرارات الامم المتحدة مضى عليها ثمانية عشر عاما وتشكــل عصر ما قبل التاريخ بالنسبة للوضع الحاضر .

ان لاسرائيل بعض الخبرة في قضية اللاجئين لاننا استقبلنا نصف مليون لاجىء يهودي من البلاد العربية . أما ما يبدو غريبا وفريدا فــي هذه القضية فهو موقف جيراننا العرب الــذين رفضوا دمج اخوانهــم بالجنس والثقافة والدين .

الفصل الثالث

عشية الحرب

كتبت مجلة « ويكلي تريبيون » الاميركيـــة عشية الحرب ، أي بتاريخ ٤ حزيران ، « قصة التوتر في الشرق الاوسط » •• بقلم مراسلها جورج ديسانو ، قالت :

من الواضح ان ضجيج العناوين الكبرى والمثيرة التي امتلأت بهـا أعمدة الصفحات الاولى من صحف العالم هذا الاسبوع ، كانت تتناقض تناقضا كبيرا مع الهـدوء وراء الكواليس •

فمن واشنطن والامم المتحدة وموسكو كانت العبارة التي أجمعت على ترديدها مختلف المصادر المطلعة هي : ليس هناك جو مـــن الدمار والخطـــر •

وقد ذكر أحد كبار المسؤولين الاميركيين ان السوفيات أبلغـــوا الرئيس جونسون سرا انهم يعتزمون تهـــدئة الامور والحيلولـة دون انفجـارها •

وقالت مصادر موثوقة أخرى لصحيفـــة « ويكلي تريبيون » ان البيت الابيض نصح اسرائيل بأن تكون البادئة باختبار الحصار الـــذي فرضه الرئيس عبد الناصر على خليج العقبة • كما انه قال لزعماء اسرائيل : « دعوا دولة بحرية كبرى تختبر الحصار » •

وكانت أكثر التقارير تفاؤلا تقرير يقول ان يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة عاد من القاهرة وهو يأمل بعقد اتفاق مع عبد الناصر على الاسس التالية :

تحافظ مصر على حقها في ملكية الخليج ، ولكن السفن الاسرائيلية ستمر فيه بموجب ترتيب يصون ماء الوجه سيتم اعداده فيما بعد – ربما بواسطة سفن ترفع أعلاما أخرى .

ولكن المشكلة هي ان الوقت الان بدأ يعمل لمصلحة عمل عبد الناصر غير المشروع .

ومع كل يوم يمر على عمل عبد الناصر دون تحد ، يصبح الحصار حقيقة أكثر وأقل تعرضا للتحدي .

ويعترف المسؤولون الاسرائيليون بهذه الحقيقة ، ولذلك يتكهنون بمرارة ان الضغوط الدولية ستوجه من الان فصاعدا ضدهم للقبول بالتفاهم والحلول الوسط لمصلحة السلام .

أما الرئيس جونسون ، فان اعادة تأكيد التعهدات والالتزامات الاميركية لاسرائيل ، زادت من متاعبه في الداخل .

ولكن على عكس فيتنام ، فان أحدا لم يجادل في صحة موقفه ، باستثناء عدد قليل من مناصري العرب .

غير ان السناتور فولبرايت والسناتور سيمنفتون قالا انه لا يجوز للولايات المتحدة أن تلعب دور بوليس العالم .

وقد أقرهما السناتور ستينيس على تحليلهما للمشكلة ، ولكنه دعا الى حل مختلف تماما . فقد قال ان الولايات المتحدة يجب أن تحشد قواها بشكل أكبر لمواجهة جميع الطوارىء ، بدلا من التراجع والانسحاب سواء من فيتنام أو الشرق الاوسط .

ولعل ما أزعج الرئيس جونسون أكثر من ذلك هو امكانية اضطراره لاعلان حالة الطوارىء الوطني ، الامر الذي قد يؤدي الى

استدعاء الاحتياطي ، اذا اضطرت الولايات المتحدة الى التدخل عسكريا في الشرق الاوسط .

وخلال الشهور الاخيرة أصبحت هذه الامكانية اكثر احتمالا مع اتساع الحرب في فيتنام .

وعلى الرغم من ذلك كان جونسون قد استبعد هذه الخطوة وقاومها بكل قواه .

ولكن أزمة الشرق الاوسط قد توهن مقاومته .

* * *

وكتب جيرالد ل. شبيل تحت عنوان « المغزى » يصف الوضع :

ان كل شخص يعلم ماذا كان عبد الناصر يريد عندما بدأ الازمة .

لقد كان يريد أن يصبح حامي العالم العربي عندما يترك البريطانيون آخر قواعدهم القوية في عدن خلال العام القادم .

ولكن قلائل فقط هم الذين أدركوا هدف السوفيات بقيامهم بتحريك الخيوط من وراء الستار .

ان الصورة الكاملة للوضع تتعدى اسرائيل وتتعدى حتى العالم العربي .

فخلال السنة والنصف الماضية كان الاتحاد السوفياتي يسلح أصدقاءه في جميع أنحاء شمال وأواسط افريقيا .

فليس عبد الناصر وحده هو الذي تسلم ما تزيد قيمته على بليون دولار من الاسلحة السوفياتية فحسب ، ولكن الجزائر والصومال أيضا تلقيا مساعدات سوفياتية عسكرية ولكن على نطاق أصغر .

أما الدول التي وضعها السوفيات في خط النار مباشرة فهي الدول

الصديقة لاميركا مثل تونس ، والمغرب ، وليبيا ، والحبشة .

وقد ذكرت بعض التقارير التي وصلت الى واشنطن ان الصوماليين بدأوا يلعبون مع الحبشة نفس الدور الذي يلعبه الفيتكونغ .

وهذا يعني ان مجمل وضع الشرق الاوسط وافريقيا أجمع مهيأ لحرب باردة بين الشرق والغرب .

ان هذا يعني ان حلم خروشوف القديم بتمكين النفوذ السوفياتي في العالم الثالث ، أخذ شكلا أكثر حيوية ونشاطا من أي وقت .

وعلى عكس خروشوف ، فان كوسيغين وبريجنيف لا يتكلمان كثيرا ، ولكنهما عندما يخططان ، فانهما مثلا يخططان شيئا كبيرا وضخما .

ان السؤال الحقيقي هو : ما هي الدروس التي تعلمتها الولايات المتحدة حول الصراع ، لا بالنسبة للازمة الحالية فحسب ، بل كذلك للازمات القادمة أيضا .

ان الجواب على ذلك هو انها تعلمت الكثير ، ولكن ما زال ينبغي عليها أن تقطع شوطا بعيدا . ومن الامثلة على ذلك ما يلي :

١ ــ ان مجرد القول بأننا نعمل في سبيل السلام ليس قاعدة كافية لسياسة دولة كبرى . وباختصار ان « الرأي العام العالمي » المحبذ لنا ، لم يؤخذ بهذا الكلام كثيرا ، فان الزعماء العالميين ساروا معنا ليس لهذا السبب بل خوفا من عدوان عبد الناصر والتصميم السوفياتي .

ان العامل الاساسي الى جانب الولايات المتحدة هو قوتها ، كما يعرب عنها الاسطول السادس ، بالاضافة الى تصميم الولايات المتحدة على وقف أي عدوان ، كما أثبتنا في فيتنام .

ان هذين العنصرين هما اللذان سيقرران ما اذا كانت اسرائيل

ستبقى أو ستقع أمام العدوان العربي في المدى الطويل الاجل .

٢ ــ ان « التفاهم » الاميركي مع الاتحاد السوفياتي في أوروبا ليس ضمانا ضد التوتر الذي تلهبه موسكو في أماكن أخرى من العالم .

والواقع ان هذا التفاهم في أوروبا قد يساعد مطامح السوفيات وأطماعهم في أماكن أخرى .

٣ ــ لقد أصبح واضحا ان عبد الناصر قد ربح . انه واثق من مقدرته على الفوز ولو بجزء من المغنم في أية تسوية نهائية .

لقد استطاع عبد الناصر أن يفوز بضربته الاولى في تحطيم القانون الدولي عندما أغلق قناة السويس في وجه بعض السفن ، كما فاز بضربتين ثانيتين في اخراج قوات الطوارىء الدولية وفرض الحصار على خليج العقبة .

وهناك أشخاص آخرون سيحذون حذو عبد الناصر وينسجون على منواله في مسارح الحرب الباردة بالمستقبل . وقد سبق لهؤلاء أن تكلموا بنفس اللهجة النارية لعبد الناصر . وهؤلاء جميعا سيلقون التشجيع من الاتحاد السوفياتي للعمل ساعة تشعر موسكو ان الوقت قد حان لذلك .

الفصل الرابع

الشرارة تنطلق

في صباح الخامس من حزيران ، وعند الساعة السابعة والنصف ، انطلقت الشرارة الاولى في حرب الشرق الاوسط العربية ـ الاسرائيلية التي يسميها العرب والدول الشيوعية « العدوان الاسرائيلي » ـ ومنهم من يسميها « العدوان الصهيوني ـ الامبريالي » ـ وتسميها اسرائيل والدول الغربية « حرب الايام الستة » ، وقبل الدخول في تفاصيل العمليات الحربية كما وردت في كتابات كبريات الصحف العالمية ومشاهير المعلقين العسكريين ، يجمل بنا أن نقرأ تحليلات « البنتاغون » للموقف العسكري في يومه الاول ، وقد وردت هذه التحليلات في مقال لصحيفة « هيرالد تريبيون » الدولية ـ طبعة باريس بتاريخ ٦ حزيران ١٩٦٧ ـ قالت الصحيفة تحت عنوان « تحليلات البنتاغون تتوقع أن تنتصر اسرائيل في حرب قصيرة » :

على الرغم من ان المحللين العسكريين الاميركيين يعترفون بأن الوضع العسكري في الشرق الاوسط لا يزال مشوشا ، فانهم يعتقدون ان الحرب قد تكون قصيرة الامد وان اسرائيل ستخرج منتصرة منها .

وتقول تحليلات البنتاغون ان الجيش المصري أقوى كثيرا مما كان عليه في عام ١٩٥٦ عندما اجتاح الجيش الاسرائيلي صحراء سيناء ،

ومع ذلك لا يزال يعتقد ان اسرائيل تملك جيشا أحسن تدريبا وأفضل الضباط وأحسن تسليحا .

ويعتقد عدد من الخبراء العسكريين انه سيكون باستطاعة الجيش الاسرائيلي أن يشق طريقه عبر القوات المصرية في اتجاه أو اتجاهين الى سيناء في خلال فترة تتراوح بين أسبوع واحد وعشرة أيام .

وكانت اسرائيل قد استطاعت في عام ١٩٥٦ ، أن تقضي على المقاومة المصرية في سيناء في ١٠٠ ساعة . ولكن في ذلك العام كانت مصر تقاتل على جبهتين ، احداهما الجبهة ضد القوات البريطانية ــ الفرنسية المشتركة في منطقة قناة السويس .

وبالطبع لا يعرف أحد بالضبط مدى التقدم الذي حققه الجيش المصري خلال هذه الفترة كما قال أحد الجنرالات ، ولكننا لا نعتقد ان هذه المدة كانت كافية لجعل المصريين يبنون جيشا من الدرجة الاولى .

ويتكهن المحللون بأن اسرائيل قد تحارب حربا دفاعية على طول حدودها مع سوريا في الشمال والاردن في الشرق ، أما ضربتها الهجومية فانها ستوجهها ضد مصر في الجنوب .

وقال هؤلاء بأن اسرائيل قد تتحرك جنوبا لاحتلال حزام عريض من الاراضي على طول خليج العقبة ، أو باتجاه جنوبي غربي على طول السهل الساحلي لسيناء الى ضفاف قناة السويس .

واذا استطاعت اسرائيل أن تحقق هدفها ، فانها ستصبح في وضع يمكنها من الترحيب بعقد هدنة ، تؤدي الى وضع قوات الطوارىء الدولية بين القوات المصرية والاسرائيلية .

وقد ذكر أحد الخبراء ان اسرائيل لن تقبل بعد ذلك بالطبع أن تخلي صحراء سيناء ، كما فعلت في عام ١٩٥٦ ، بحجة ان عملا كهذا سيمكن

عبد الناصر من اعادة فرض الحصار على العقبة في أي وقت يراه مناسبا.

وأضاف قائلا : ومن المحتمل أن تصر اسرائيل على السيطرة على منافذ ميناء ايلات . واذا تبين عند ذلك ان اسرائيل وجهت ضربة قاصمة للقوات المصرية ، وانها أصبحت في وضع يمكنها من أن تضمن بنفسها المرور الى الخليج ، فيحتمل عندئذ أن تكون راغبة في قبول وساطة الحكومة الاميركية لوضع حد للاعمال العدوانية .

وقد يكون عبد الناصر راغبا في قبول مثل هذه الخطوة ، اذا وجد ان عدم قبوله بها سيؤدي الى سيطرة اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة.

أما اذا استطاعت الجمهورية العربية المتحدة وحلفاؤها وقف التقدم الاسرائيلي فأي من الجانبين سيستطيع الاستمرار في حرب طويلة الامد .

ويعتقد ان اسرائيل والمتحدة والاردن تملك أعتدة حربية تكفيها لثلاثين يوما دون ما حاجة الى تعويضها من الخارج . وستكون مشكلة التموين الرئيسية في اسرائيل هي مشكلة النفط والغاز لطائراتها ودباباتها اذا استطاعت الطائرات العربية أن تحرق جزءا كبيرا من مستودعاتها النفطية .

أما مشكلة مصر الرئيسية فستكون قطع الغيار اللازمة لدباباتها وشاحناتها .

ويعتقد ان جميع الفرقاء يملكون كميات كبيرة من الذخائر .

* * *

جزم المراقبون ، بعد تحليلهم لاحداث اليوم الاول للقتال الذي نشب في الشرق الاوسط ، بأن اسرائيل هي التي بدأت .

ويسند المراقبون اقتناعهم على الاحداث التالية :

١ ــ لم تنطلق صفارات الانذار الا بعد نصف ساعة من الغارات الجوية الاسرائيلية الاولى على القاهرة وضواحيها .

٢ ــ أكدت القيادة الاسرائيلية انها أخرجت من المعركة عددا كبيرا من الطائرات المصرية ، وهذا ما يعني ان هذه الطائرات قد دمرت على الارض قبل أن تجد الوقت للتحليق في الهواء •

٣ ــ منذ بدء المعارك في سيناء وفي قطاع غزة بدأت القوات الاسرائيلية بالتوغل في نقاط عديدة داخل الارض المصرية في الوقت الذي ظلت فيه قوات ج• ع• م• في مواقعها •

٤ ــ لم تدخل القوات الاردنية والسورية القتال الا بعد مدة عدة ساعات من نشوبه •

٥ ــ لم يبد أي تجمع متأهبا عند الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين •

٦ ــ كان نائب الرئيس المصري زكريا محيي الدين يستعد للسفر يوم الاربعاء الى واشنطن وهذا ما يعني ، كما يقدر المراقبون ، ان مرحلة دبلوماسية جديدة كانت على أهبة الابتداء •

٧ ــ ان نائب رئيس حكومة بغداد وقادة الجيش العراقي كانوا ما يزالون موجودين في القاهرة يوم الاثنين بعد أن كانت مباحثاتهم قد انتهت • وكان هؤلاء الشخصيات يستعدون ، في الوقت الذي بدأت فيه أولى المعارك ، لزيارة القوات المصرية في سيناء • وقد وجدوا أنفسهم ، وهم بصحبة نائب الرئيس المصري حسين الشافعي ، محاصرين في منطقة قناة السويس ، في القاعدة الجوية التي قصفت في تلك الساعة •

٧ ــ كان الرئيس ناصر قد اجتمع ألى هؤلاء الشخصيات مساء الاحد ثم أعطاهم موعدا يوم الاثنين في نفس الساعة التي بدأ فيها القتال •

بعد ٤٨ ساعة (١)

اسرائيل تنتصر • كانت ٤٨ ساعة كافية لها لكي تربح أكثر مما ربحته خلال أسبوع في خريف ١٩٥٦ ، وهي هذه المرة تقاتل ثلاثة بلدان ودون عون من أحد • مساء الثلاثاء وصل الاسرائيليون الى قناة السويس ونهر الاردن (فقد سقطت أريحا) وشرم الشيخ المركز المصري المسيطر على مدخل خليج العقبة الذي كان اغلاقه من قبل المصريين علة النزاع الحالي والذي أصبح الآن مفتوحا عمليا • وهذه النجاحات الصاعقة جاءت لترسم النهاية لمساء يوم حقق فيه ابن داوود انتصارا نفسيا عندما أخذ مدينة أورشليم كلها •

١ ــ في شبه جزيرة سيناء : تقدم الاسرائيليون على محاور أربعة :

آ ــ المحور الساحلي الذي فتح منذ الاستيلاء على العريش • والاسرائيليون يبخلون دائما بالمعلومات المفصلة • ولذا فانهم لم يعلنوا الا بعد الظهر احتلال رمانا الواقعة على بعد ٥٠ كيلومترا عن بور سعيد وحوالي ٤٠ كيلومترا عن قناة السويس • وفي العشية أعلن الجنرال رابين القائد العام بنفسه الوصول الى شواطىء القنال دون أن يحدد المكان •

ب ــ محور بئر السبع ــ الاسماعيلية ، حيث أعلنوا احتلال جبل لبني البعيد ١٠٠ كيلومتر عن القناة •

ج ــ وأبعد الى الجنوب ، حيث تقل أهمية الطريق المؤدي الى السويس في أرض جبلية عبر ممر ميتلا (١٠٠٠ م) وهذا الممر تم احتلاله من قبل المظليين عند بدء القتال • وكذلك سقطت القاعدة الجوية المصرية في بير جفجافة •

أما المصريون المتقهقرون أمام عنف الهجوم ، فقد اعترفوا انه توجب

---

(١) « غازيت دي لوزان » السويسرية (٨ ــ ٦ ــ ١٩٦٧) •

عليهم التجمع على ما أسموه « خط الدفاع الثاني » ، والظاهر ان هـذا الخط هو الضفة الغربية لقناة السويس التي عبرتهـا يوم الثلاثاء سفينتان فرنسيتـان .

٢ ـ في الاردن ، تم الانسحاب أيضا الى « خط الدفاع الثـاني » الذي تحدث عنه الملك حسين . وفي الشمال استولى الاسرائيليون على مدينـة نابلس التي يسيطر مرتفعها على الحدود . وكانوا قـد طهروا أورشليم واحتفلوا عـلى أصوات الابواق بالاستيلاء على حائط المبكى ، ولكنهم تعهدوا باحترام الاماكن المقدسة بما فيها جامع الصخرة (المسمى أيضا جامع عمر) . وكانوا قد استولوا أيضا على بيت لحم ثم اندفعـوا حتى سهل الاردن هذا المنخفض الذي يزيد على الالف متر والذي كـان يفصلهم عن الاردن . أما الاستيلاء على أريحا فقـد أعلنوا عنه فـي المسـاء . « ان القسم الاكبر من الضفة الغربية للاردن » أصبـح فـي يد الاسرائيليين .

٣ ـ على الجبهة السورية : لم يبد الاسرائيليون أي جهد ظاهر انهم كانوا عرضة لهجمات يؤكد أعداؤهم انها عنيفة ، كما يقولون انهم يتقدمون شمالي بحيرة طبريا ولكن دون أن يسجلوا احتلال أي موقع هام .

٤ ـ حصيلة المعركة : أعلنت الاركان العامة الاسرائيلية عن تدمير ٤٤٠ طائرة عربية ، منها أكثر من ٤٠٠ يوم الاثنين . وقد قال القائـد الاعلى للطيران الاسرائيلي ان الغارات الجوية الاولى يوم الاثنين انطلقت ضد ٢٥ مطارا في البلدان الاربعة وأدت الى وضع ٣٥٠ طائرة مصريـة خارج المعركة خلال أقل من ثلاث ساعات .

ويتساءل مختلف المراقبين : لماذا لم توزع هذه الطائرات ولماذا لم يتدخل الطيران المصري المطارد في المعركـة ؟ ويتساءل أيضا عـن أمر الصواريخ المصرية المزعومة وعن بحرية هذه البلاد التي لم تتدخل فـي الظاهر الا أمس عندما هاجمت غزة . ويؤكد الاسرائيليون ان المصريين

يفرون في حالة من الذعر كما كان شأنهم عام ١٩٥٦ تاركين أحذيتهم في الصحـراء . ويؤكد الجنرال رابين انـه هزم الفيلق العربي (الجيش الاردني) في الاردن كما هزم أيضا وحدة عراقية وصلت لنجدته .

الطيران مفتاح انتصار اسرائيل (١)

أصبح واضحا الآن ان مفتاح انتصار اسرائيل الصاعق فـي حرب الشرق الاوسط كان استعمالها الجريء والمفاجىء لقوة الطيران .

يقول جيدفري كيمب من مؤسسة الدراسات الستراتيجية الموثوقة : « يبدو ان اسرائيل ربحت أبرز معركة جوية في التاريخ » . وهذا ما حدث :

في هجوم واحد فائق التنسيق عـلى المطارات المصرية في الفجر ، دمر الطيران الاسرائيلي أو عطل عن العمل أكثر من نصف قـوة الطيران المصري .

وقد كان الهجوم الاسرائيلي مفاجأة تامـة للمصريين رغم ان أزمة حربية كانت تتضاعف منذ أسبوعين . وقد عجزت المطاردات المصرية عن الانطلاق الى الجو بأعداد كافية لتتحدى المهاجمين الاسرائيليين .

فشل الصواريخ : وكـان لدى مصر ، بطارية مـن الصواريخ السوفياتية س ٣٠١ ، من الارض الى الجو ، لكنها لم تستعملها . وتقول مصادر مطلعـة ان هذه الصواريخ لم تكـن بحالة تأهب لما ضربت اسرائيل ضربتها . والعجيب ان الطيران المصري رغـم الازمة المستمرة ، كان قد أنقص حالة التأهب .

ويقول موظف غربي مطلع : « ان تفسير نجـاح اسرائيل المنقطع

(١) جيد فري كيمب من مؤسسة الدراسات الستراتيجية ـ يو اس نيوز اند وورلد ديبورت (١٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٧) .

النظير في التغلب على القوة الجوية المصرية يعود الى تقلب طباع العرب ، فقد عجزوا عن البقاء في حالة تأهب عسكري فعال حتى لمدة بضعة أيام » .

وتقول المصادر الغربية الرسمية ان ادعاء اسرائيل بتدمير ٢٨٦ طيارة مصرية في اليوم الاول من الحرب كلام صحيح . ويشكل هذا الرقم أكثر من نصف الخمسماية مطاردة والقاذفة السوفياتية التي تشكل قوة الطيران المصرية .

وفي اليوم نفسه ادعت اسرائيل انها دمرت ثلث الطيران السوري الذي يبلغ ١٥٠ طيارة روسية ، وأكثر من نصف الطيارات الخمسين الاردنية ، كما دمرت بعض الطيارات العراقية .

مجمل الخسارة العربية بالطيارات في اليوم الاول حسب ادعاء اسرائيل ٤١٠ طيارات . وتقول مصادر الاستخبارات الغربية ان هذه الارقام صحيحة الى درجة كبيرة . وقد دمرت معظم هذه الطائرات وهي على الارض .

ان قوة الطيران الاسرائيلية التي تبلغ ٣٥٠ طيارة كانت أقل كثيرا بالعدد من الطيران المصري الذي يعد ٥٠٠ طيارة روسية . وكان مجموع عدد الطيارات لدى الدول العربية تحت القيادة المصرية يزيد عن ٩٠٠ طيارة ، أي بنسبة ٣ طيارات عربية لكل طيارة اسرائيلية واحدة . وكان هذا التباين في عدد الطيارات يشكل الخطر الاكبر على اسرائيل قبل الحرب .

وكان كثير من الرجال العسكريين يعتقدون ان اسرائيل تعتبر محظوظة اذا استطاعت أن تحمي نفسها من العرب ، ليس فقط بسبب الطيارات التي جهزت روسيا العرب بها ، بل بسبب تدريب السوفيات للطيارين العرب ونظرا للصواريخ السوفياتية التي تحمي المطارات المصرية .

لكن النجاح الفائق للهجوم الاسرائيلي في الفجر محا هذه الميزات العربية في الجو ومهد للانتصارات العسكرية في البر .

الحرب الصاعقة (١)

كانت حرب الشرق الاوسط التي انفجرت فجأة عنيفة وقصيرة . ورجحت الجرأة والمهارة الاسرائيلية كفة القتال . وكانت المعركة في الجو وعلى الارض بالنسبة لرجال الحرب أمثولة تدرس . وفي الصفحات التالية نورد قصة هذه الحرب الكاملة .

انفجرت في الشرق الاوسط يوم ٥ حزيران نيران الحرب التي طال تأججها . وانتهى الجزء الرئيسي من القتال يوم ٨ حزيران . ثلاثة أيام من الهجوم الصاعق كان كل ما لزم لتوجيه ضربة الموت الى مصر في صحراء سيناء . وجاء وقف اطلاق النار الرسمي بأقل من ٨٤ ساعة .

لقد كان نصرا عسكريا ملحوظا لاسرائيل . فقد خاضت بلد يقل عددها عن ٢،٥ مليون حربا ضد عدة ملايين اكثر منها ، وضد أحدث الاسلحة الروسية ، ونجحت بسرعة . وكانت الحرب أمثولة في فن القتال ونجحت بسبب المهارة والستراتيجية الجريئة .

وكان القرار الذي اتخذته اسرائيل أن تقاتل بكل امكانياتها وبكل الوسائل . وقد نجح عنصر المفاجأة الى أقصى درجاته ضد عدو يفترض فيه انه كان على تمام الاهبة العسكرية .

وحين ايقاف اطلاق النار كان الاسرائيليون يسيطرون على مساحات شاسعة من الاراضي العربية من قنال السويس والبحر الاحمر الى ضفة نهر الاردن الغربية . وسقطت القدس بكاملها في أيدي الاسرائيليين ورفع الحصار عن خليج العقبة .

وأذلت مصر والاردن وسوريا والعراق في المعركة . أما الدول العربية الثمانية الباقية التي أعلنت عزمها على القتال فلم تتح لها الفرصة .

ان الرجال العسكريين يستمدون من هذه المعركة دروسا تنطبق على

(١) « يو اس نيوز اند وورلد ريبورت » – ١٩ – ٦ – ١٩٦٧

الستراتيجية الاميركية في فيتنام • قال ضابط أميركي كبير : « ان ما عملته اسرائيل كان برهانا على الستراتيجية العسكرية الوحيدة الصحيحة وهي انه عندما تقرر بلاد ما أن تشن الحرب فيجب أن تدخلها بكل قوتها – وبقصد أن تنتصر » •

ان الاستعمال الجريء لقوة الطيران – الذي أنقص من قيمته المخططون المدنيون في البنتاغون فيالسنين الاخيرة – أظهر الاسرائيليون كامل مميزاته الفعالة • ففي البداية جعل الاسرائيليون العسكريون العرب في حيرة مذهلة من جراء الهجمات المنسقة على نحو ٢٥ مطارا • وبعد أ نحاز الاسرائيليون على السيطرة الجوية لم يخففوا اطلاقا من هجماتهم •

قدم الملك حسين هذا التقييم بعد الانكسار :

« ان المعركة ضدنا كانت بمعظمها وتقريبا بكاملها من الجو بقوة متفوقة ، وتتابعت بهجمات جوية مركزة على كل وحدة عسكرية وعلى كل تجمع لقواتنا في النهار والليل » •

وفيما يلي القصة الكاملة لحرب الثلاثة الايام الصاعقة :

اليوم الاول – ٥ حزيران

ان الوضع عندما بدأت الحرب الساعة التاسعة محليا كان كما يلي :

كانت الجيوش المصرية – ماية ألف من أفضل جنود مصر – منتشرة في صحراء النقب على طول الحدود مع اسرائيل البالغة ١١٧ ميلا ، عدا الذين في غزة • كما كان للمصريين ٩٠٠ دبابة في صحراء سيناء من أصل الالف والمايتين التي يملكونها •

كان الجيش الاسرائيلي الذي يعد ثلاثماية ألف ويملك ٨٠٠ دبابة

يتمركز داخل اسرائيل بمواجهة المصريين الى الغرب ، والجبهة الاردنية الى الشرق ، والجبهة السورية الى الشمال •

وكان الجيش الاردني الذي يعد سبعين ألفا متحصنا تحصينا جيدا • وبدأ ماية ألف جندي في الجيش السوري يتجمعون على حدود اسرائيل قبل ثلاثة أسابيع ، بالاضافة الى ذلك فان وحدات من الجيش العراقي (٧٠،٠٠٠ جندي) بدأت مسيرتها نحو الحدود الاردنية – الاسرائيلية •

وقد أفهم كل فريق الآخر بأنه أشعل فتيل الحرب لكن الحقيقة ربما لا تعرف أبدا •

قصفت الطيارات الاسرائيلية بسرعة وبدقة المطارات في مصر والاردن وسوريا ودمرت الطيارات والصواريخ المصرية على الارض بواسطة قنابل شديدة الانفجار • وبمدة بضع ساعات دمرت نحو ٤٠٠ طائرة وقضي على الطيران العربي •

وكانت الستراتيجية الاسرائيلية واضحة : كسب السيطرة الجوية وبعد ذلك اعادة لما جرى سنة ١٩٥٦ • وذلك يعني هجوما صاعقا في سيناء ذا ثلاثة شعب موجهة غربا نحو قنال السويس التي تبعد ١٢٥ ميلا ، وهجوما آخر نحو شرم الشيخ الذي يبعد ١٥٠ ميلا ، مع اتخاذ خطة دفاعية تجاه سوريا ، وفتح جبهة ثانية في مدينة القدس ، وازالة النتوء الاردني الذي تشكله الضفة الغربية داخل اسرائيل •

وكانت المناورة الاسرائيلية تتمثل بما يلي : يتوجب على الحرب الصاعقة الاسرائيلية أن تنجح في فترة ٧٢ ساعة • فاذا استطاع المصريون أن يصدوهم مدة أطول من ذلك تتحول الحرب لمصلحة العرب •

وقد حارب العرب ما استطاعوا بالقوات الجوية التي بقيت لديهم • قاموا بهجوم كبير على حيفا لم يصب مصفاة النفط ، لكنهم نجحوا

بقصف المطارات في شمال اسرائيل بواسطة الطيارات السورية والاردنية والعراقية • لكنه لم تظهر أية طائرة مصرية فوق اسرائيل •

واندفعت الدبابات الاسرائيلية والمشاة المنقولون في السيارات للاشتباك بالدبابات المصرية في سيناء • كما تقدمت قوات اسرائيلية أخرى في قطاع غزة • وكان القتال في سيناء وغزة عنيفا وقاسيا ، وكانت الاصابات كثيرة • وتساوت معركة الدبابات بمعركة العلمين الشهيرة • وكانت هذه الاصطدامات الاولية ذات اثر كبير حيث ابتدأ المصريون يتراجعون ببطء في أول الامر •

على الجبهة الاردنية شنت اسرائيل ثلاث هجمات تصدى لها الجيش الاردني ، وقامت مبارزات بالمدفعية هزت القدس ودكت ضواحي تل أبيب •

أما في الشمال فقد تريثت سوريا واقتصر الامر على مناوشات صغيرة •

في نهاية اليوم الاول :

* تدمرت القوى الجوية العربية •
* حاصرت القوات الاسرائيلية تجمعات عربية مهمة في قطاع غزة ، ثم قضت عليها فمهدت الطريق لاختراق عميق في سيناء •
* تقدمت الدبابات الاسرائيلية ثلاثين ميلا في سيناء وأسرت آلاف من المصريين واستولت على كميات كبيرة من الاسلحة والدبابات •

اليوم الثاني ـ ٦ حزيران

لما تحقق التفوق الجوي الكاسح واندفع السلاح الاسرائيلي بسرعة في سيناء ، اندفع رأس سهم الى أبو عجيلة على بعد ٣٠ ميلا الى جنوب العريش التي سقطت في اليوم السابق مما وفر لمجموعة الدبابات الرئيسية جبهة عرضها ثلاثون ميلا للزحف غربا • وتقع أبو عجيلة على الطريق

الرئيسي الذي يخترق سيناء الى الاسماعيلية على بعد ٨٠ ميلا • وكان هذا الطريق هو نفسه الذي سلكته القوات الاسرائيلية في معركة المائة ساعة التي احتلت بنتيجتها سيناء سنة ١٩٥٦ •

اندفعت القوات الاسرائيلية الى الامام بسرعة فائقة بحيث شكلت ازدحاما بالسير في الطرق الصحراوية • وفي احدى النقاط كان يمكن مشاهدة خط من الكميونات الاسرائيلية يمتد الى الافق •

كان التراجع المصري في بدايته منظما ، ثم بدأ يتفكك • وبدا ان المصريين لم يتقنوا تكنيك الحرب المدرعة في الصحراء •

وفي الجبهة الاردنية بدأت القوات الاسرائيلية حركة كماشة حول الجزء العربي من القدس • وقابلتهم مقاومة عنيفة فغيروا أسلوبهم وبدأوا يهاجمون قلب المدينة يحاربون من شارع الى شارع ومن بيت الى آخر• وارتفعت الاعلام الاسرائيلية على البنايات الساعة الثانية صباحا لكنه بقيت جيوب مقاومة كثيرة واستمر القتال طوال اليوم •

وفي منتصف النهار قسم الاسرائيليون قواتهم ، فذهب فريق الى الجنوب للاشتباك بالقوات الاردنية في بيت لحم والخليل ، واستدار فريق آخر الى شمال القدس ، واندفع فريق ثالث بعتاد مصفح ثقيل للاستيلاء على جنين واللطرون المحصنة شمال القدس مقابل وسط اسرائيل الضيق •

ولما أمسى المساء كانت اشتباكات عنيفة تجري في بيت لحم •

وفي الشمال ، بعد أن كانت ساكنة على طول الحدود الممتدة ٤٧ ميلا ، بدأت سوريا تقصف المستعمرات الاسرائيلية بشدة وأعلنت ان ذلك توطئة لهجوم ضخم على اسرائيل ، لكن ذلك الهجوم لم يتحقق واستمرت الامور على أساس تبادل اطلاق المدفعية ومناوشات صغيرة •

* * *

في نهاية اليوم الثاني :

✱ دمرت القوات الاسرائيلية ٢٠٠ دبابة مصرية على أقل تقدير واجتازت نصف صحراء سيناء ، لا تتوقف الا للاشتباك مع المصريين أو للتزود بالمحروقات ، أو للقضاء على القوات المصرية المنسحبة •

✱ وقعت أجزاء كبيرة من الاردن في أيدي الاسرائيليين وأصبح الجيش الاردني على وشك الانهيار •

✱ استدار العرب نحو الحرب الدبلوماسية ، فأغلقوا قنال السويس ، وأوقفوا شحن النفط لاوروبا الغربية ، وقطعوا العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا •

اليوم الثالث ـ ٧ حزيران

مع حلول الظلام في اليوم الثالث كانت ثلاث مجموعات من المدرعات والمشاة الاسرائيليين قد اخترقت صحراء سيناء لمسافات بعيدة وأصبحت على مرمى البصر من قناة السويس ، ووصلت مجموعة أخرى في الشمال على الطريق الساحلي الى مسافة ١٨ ميلا من القناة • وصادفت مجموعة ثالثة في الوسط مقاومة مصرية شديدة بالدبابات لكنها تغلبت عليها أخيرا واتجهت نحو الاسماعيلية •

واخترقت مجموعة جنوبية ممر ميتلا الذي يقع على بعد عشرين ميلا شرق السويس في القسم الجنوبي من القناة •

وكان المصريون يحاولون اعادة تجميع قواتهم ليتفادوا نكبة أفدح بكثير من هزيمتهم عام ١٩٥٦ • لكنهم خسروا ماية دبابة أخرى • ويقول شهود عيان في أعقاب التقدم الاسرائيلي انهم شاهدوا القتلى المصريين بالمئات على أرض الصحراء •

وفي أقصى الجنوب نزل المظليون الاسرائيليون على مرتفعات شرم الشيخ التي تسيطر مدافعها على مضيق تيران • وفي الوقت ذاته وصلت زوارق الطوربيد الاسرائيلية الى شرم الشيخ من مرفأ ايلات ورفعت

عليه العلم الاسرائيلي • وقد هربت القوات المصرية دون قتال بموجب أوامر صدرت اليها بالتراجع الى قناة السويس •

على الضفة الاردنية تم احتلال القدس ظهرا وأصبحت الضفة الغربية بكاملها تقريبا بأيدي الاسرائيليين • وقد أسر أو انسحب معظم الجيش الاردني والوحدات العراقية المساندة له واستغرقت عملية اخراج الاردن من الحرب ستين ساعة •

✱ ✱ ✱

في نهاية اليوم الثالث :

✱ تمت وانتهت عمليات الحرب الصاعقة • فالمدرعات والمشاة الاسرائيليون أخرجوا المصريين عمليا من سيناء ووضعوهم في موقف يحتم عليهم أن يقرروا فيما اذا كانوا سيحاربون في خط دفاع أخير وظهورهم الى قناة السويس •

✱ أنهت اسرائيل حصار خليج العقبة الذي كان السبب المباشر والرئيسي للحرب •

✱ أعلنت مصر انها ستتابع القتال ، لكن الاردن انسحب من الحرب وتوقف اطلاق النار على تلك الجبهة • وفي الشمال تابعت سوريا القتال برخاوة •

بعد الحرب

في عمليات تنظيف الجيوب في بداية اليوم الرابع هاجم المصريون بشدة في محاولة يائسة ليفتحوا ممرا لانقاذ جيوشهم المحصورة في سيناء عبر قناة السويس • لكن هذا الهجوم المعاكس فشل ودمرت المدرعات والطيارات الاسرائيلية مائة وخمسين دبابة مصرية أخرى في خمس معارك منفصلة وأغلق الاسرائيليون طرق النجاة • وفي غضون ساعات قبلت مصر وقف اطلاق النار بواسطة الامم المتحدة •

وفي ٩ حزيران ــ اليوم الخامس للحرب ــ تجدد القتال فجأة على الحدود السورية ــ الاسرائيلية بعد أن اتهم كل فريق الآخر بأنه خالف قرار وقف اطلاق النار • وقد رد الاسرائيليون على قصف المدافع السورية الشديد بهجوم شديد في البر والجو في اتجاه دمشق • وحلقت الطيارات الاسرائيلية في سماء دمشق • وأعلن مراقب غربي ان ازدراء اسرائيل البالغ بالقوة العسكرية السورية جعلها تتركها لآخر جولة •

وأخيرا استسلمت سوريا أيضا •

ان حساب الارباح والخسائر يظهر انتصارا للسلاح يفوق انتصار ١٩٥٦ بالسرعة والحجم • فقد قاتل الاسرائيليون الجيش المصري الذي كان يقال عنه انه أفضل بكثير من جيش عام ١٩٥٦ بالتدريب والتجهيز •

وقاتلت اسرائيل هذه المرة وحدها مجموعة من الجيوش العربية في حين ان حرب ١٩٥٦ كانت مصر وحدها التي كانت مشغولة أيضا بقتال الانكليز والفرنسيين •

ماذا حدث ؟ يقول بعض الخبراء ان انتصار اسرائيل كان في أحد نواحيه انتصارا على التكنيك السوفياتي الدفاعي (الذي اتبعه الجيش المصري) •

فالفكر العسكري الاسرائيلي مركز على ان الطريقة الوحيدة للدفاع ضد هجوم مدرع هو الهجوم الذي يستعمل المفاجأة والسرعة والحركة الفائقة • وقد تقدمت الدبابات الاسرائيلية ، ومعها عربات نصف جنزير تحمل المشاة ، ومدافع تتحرك آليا ، ومهندسو الجيش ، في مجموعات متوازية ، هدفهم الاحاطة بجوانب العدو وتوزيع قواته الى جيوب مطوقة، واجباره على التسليم •

أما المصريون فقد تعلموا العقيدة العسكرية السوفياتية التي تدعو الى اقامة ثلاث خطوط دفاعية في العمق ، يتألف الخط الاول من الدبابات والمدافع الآلية ، والخط الثاني من المدافع المضادة للدبابات ، ويتألف

الخط الثالث من حزام من العراقيل ضد الدبابات ومن حقول ألغام •

هذا النوع من الدفاع الجامد تغلب عليه الاسرائيليون بسهولة •

وقد راقب ضباط أميركيون تطورات المعركة عن كثب• وقال أحدهم وهو برتبة جنرال :

« لقد حقق الاسرائيليون انتصارهم الساحق باتباع خطتهم العسكرية لعام ١٩٥٦ مع تحسينها بمرور السنين • وكانت خطة جيدة في البداية• وقد برهن المصريون انهم لم يتعلموا شيئا خلال السنوات العشر الماضية عن القتال في الحرب » •

ويقول العسكريون الاميركيون انه توجد فروق كبيرة بين نوعية المقاتلين الاسرائيليين والعرب • « فالاسرائيليون مدربون تدريبا حسنا ، ومنضبطون جيدا ، وأصحاب عقيدة ، يقودهم ضباط ممتهنون • أما العرب فعاطفيون وسريعو التهيج ، لا يميلون الى التدريب أو الانضباط ، ولا يحرصون على أسلحتهم وأجهزتهم ، ولم يكونوا قط جنودا فعالين » •

ان جميع هذه العناصر مجتمعة تفسر كيف استطاعت اسرائيل وحدها أن تذل القوات المقاتلة للعالم العربي في ثلاثة أيام •

الفصل الخامس

الجنرال بوفر يحلل الموقف العسكري

كلفت « باري ماتش » الجنرال الفرنسي بوفر ، الذي قاد الجيش الفرنسي في عمليات السويس عام ١٩٥٦ ، بالذهاب الى ميدان المعركة لمقابلة دايان والتحقيق مع رابين للكشف عن سر الاستراتيجية الاسرائيلية العجيبة .

تابع الرأي العام باهتمام كبير الازمة العنيفة التي اجتاحت الشرق الاوسط . ثم كانت الحرب الخاطفة التي تبعت ذلك والتي أطلع الرأي العام على خطوطها العريضة . ومع ذلك فقد بقي سؤال بلا جواب : ما هي أسباب مثل هذا النصر السريع والكامل بهذه الصورة ؟ وفي محاولة للرؤية الواضحة سافرت الى اسرائيل وتوجهت بأسئلتي الى الجنرال دايان وزير الدفاع كما فعلت مع الجنرال رابين رئيس الاركان العامة وهو الذي خطط العملية ونفذها ، وكذلك حققت مع غيرهما من الضباط والقادة ، وحلقت فوق جزء من ساحات القتال ، وبفضل

(١) « باري ماتش » - ٢٤ - ٦ - ١٩٦٧ ، العدد ٩٥٠ .

الاستقبال الحار الذي لقيته صار بامكاني تقديم دراسة أولى شاملة لمجمل هذا الانتصار العسكري •

معركة سيناء (٥ ـ ٧ حزيران)

أخذت اسرائيل بتعبئة قواتها تدريجيا مع ازدياد الحشود المصرية في سيناء ، غير انه لم يكن بوسعها تجميع كل امكاناتها ضد مصر كما كانت الحال عام ١٩٥٦ ، ذلك انه ينبغي لها مجابهة الاردن في الشرق وسوريا في الشمال ، كما يجب الاحتفاظ باحتياطي مركزي • ومع ذلك فلم يكن بوسعها استخدام أكثر من ثلاث فرق ولوائين ضد مصر التي تعتبر العدو الرئيسي •

الا ان مصر حشدت سبع فرق مشاة في الشمال كما تحصنت أربع فرق مشاة مزودة بالدبابات بسخاء على أسلوب سوفياتي غريب مؤلف من خطوط دفاعية متلاحقة ولكنها غير متصلة أبدا • وفي الجنوب ، وعلى عمق ، تمركزت الوحدات المدرعة المتجهة نحو النقب • وكان مجموع هذه القوات المصرية يزيد كثيرا على مائة ألف رجل • وقد تحولت حياة هذه الوحدات ممكنة في الصحراء بفضل تجهيزات هامة ثابتة كمستودعات المؤن وأنابيب المياه العذبة وغيرها •

أما مشكلة الاسرائيليين فصعبة : فهم يريدون مباغتة العدو بقواتهم التي تقل عن قواته • لكن هل يجدون الوقت ؟ وكان عليهم في الوقت نفسه أن يتوقعوا معركة دفاعية ضد دبابات العدو واعداد معركة هجومية عليه • وكانت أيام اختلط فيها القلق بنفاد الصبر • ولقد حدثني بذلك مطولا الجنرال دايان الذي أسند اليه منصب وزير الدفاع قبل الحرب بيومين فقط • ولكن ناصر ، الغارق في لجة انتصاره السياسي ، لم يكن متعجلا لانهاء استعداداته • ويوم ٤ حزيران مساء كان الاسرائيليون على أتم أهبة • وكانوا هم الذين سددوا الضربة الاولى •

ابتدأ الهجوم المباغت بعمليات جوية هدفت الى تدمير ١٩ قاعدة جوية مصرية ، وفي الساعة السادسة صباحا بدأت موجات متلاحقة من الطائرات تنطلق على ارتفاع قليل • وبعد ثلاث ساعات كان الطيران المصري قد أصبح غير ذي موضوع ، كما كانت المدرجات في المطارات قد دمرت والطائرات قد أحرقت وهي جاثمة على الارض • وقد قمت بزيارة لاحدى هذه القواعد في سيناء : كانت طائرات الميغ موزعة على أبعاد كبيرة ولكن أية منها لم تكن مخبأة تحت الارض • والعمل كان ، على الرغم من مدفعية مضادة قوية ، سهلا نسبيا • ومنذئذ صار بوسع الطيران الاسرائيلي أن ينصرف بكليته تقريبا لدعم المعركة البرية •

وهذه المعركة بدأت عند انتهاء الليل بهجوم شنته ثلاث فرق هدفت اختراق الجبهة المصرية في الشمال بتحطيم فرقتين مصريتين • وفي هذه اللحظة كان الطيران كله مشغولا بالمعركة الجوية ولم يكن يقدم أي دعم ، عمليا ، للمعركة البرية • غير ان المناورة الاسرائيلية سعت قدر الامكان الى تجنب الاشتباك الجبهي • وفي قطاع الفرقة الشمالية المكلفة باحتلال رفح والعريش ما يزال الرمل يحمل الى الآن آثار حركات تجاوز خطوط الخنادق المصرية على مسافات عريضة غير محروسة • وبذلك أمكن مهاجمة الخطوط الدفاعية من الجوانب وتدمير المدرعات المصرية • وقد قامت الفرقة الجنوبية المكلفة باحتلال أبو عجيلة بالمناورة نفسها بالاضافة الى انزال المظليين على مواقع المدفعية للاستعاضة بذلك عن الدعم الجوي الذي كان ضعيفا جدا في تلك الساعة • أما الفرقة الوسطى فقد تسربت بكاملها بين الفرقتين المصريتين في منطقة واسعة من الكثبان الرملية فيها ، لحسن الحظ ، مجرى للسيول الشتوية أتاح للمهاجمين اقترابا ليليا شديدا أفضى بهم الى مؤخرة الفرقتين المصريتين اللتين دافعتا بشجاعة وهما وراء استحكاماتهما التي توجب على المهاجمين تنظيفهما بالتدريج والدقة • ومع نهاية اليوم الاول ، ٥ حزيران ، كانت رفح

والعريش قد سقطتا كما كانت القوات الاسرائيلية قد وصلت الى أبو عجيلة • وهكذا تم الاختراق •

وفي هذه الاثناء ، وابتداء من الظهر ، لم يكن الطيران قد تفرغ لدعم هذه العمليات وحسب ، بل كان قد هاجم تجمعات الاحتياطي من القوات المدرعة المصرية في سيناء والتي تسمرت بالارض • وعندئذ بدأت عملية استغلال النجاح عمقا ، ذلك انه لا ينبغي للعدو أن يتاح له التقاط أنفاسه • واندفعت الفرقة الشمالية طوال الليل دون أن تصادف أي مقاومة حتى بلغت قناة السويس بعض وحداتها عند القنطرة في الساعة الرابعة والنصف من صباح السادس من حزيران • ولكن هذه العملية لم تكن سوى اختراق ، ذلك ان القسم الاكبر من القوة التحق بالفرقة الوسطى لتصفية عمليتها مع الفرقة المصرية الثالثة التي كانت تسيطر على جبل لبني • وهنا دارت معارك مدرعات جدية للغاية • وفي ٦ حزيران مساء كان مفترق طرق جبل لبني قد سقط • وفي ٧ حزيران عادت كل فرقة الى اتجاهها ، الفرقة الشمالية الى الاسماعيلية فتضرب في طريقها جناح الفرقة الرابعة المدرعة المصرية وتحتل بير جفجافة • وتندفع الفرقة الوسطى باتجاه مدينة السويس فتمد يدها الى المظليين الذين هبطوا على « ممر متلا » كما فعلوا عام ١٩٥٦ ، وفي طريقها دمرت العناصر الجنوبية للفرقة الرابعة المدرعة المصرية • وبلغت الفرقة الجنوبية نخل حيث قطعت خط التراجع على الفرقة السادسة المصرية ودفعت أمامها المجموعة المدرعة المصرية المنقطعة شرقي بير حسنا • ولم تلبث هذه المجموعة المتراجعة أن اصطدمت بالقوات الاسرائيلية التي تسد « ممر متلا » التي دمرتها عن بكرة أبيها تاركة على الارض صفا طويلا من الدبابات •

ومثل هذه الكارثة وقع للفرقة المصرية السادسة عند مدخل نخل •

وهكذا تمكنت القوات الاسرائيلية ، مساء اليوم السابع من حزيران ، أي اليوم الثالث لنشوب القتال ، من تدمير مجموع القوات المصرية

وابادتها ، كما كانت قد بلغت قناة السويس في الشمال •

وفي هذه الاثناء كانت غزة قد سقطت بيد اللواء الشمالي الذي هاجمها جانبيا كما احتل الاسرائيليون شرم الشيخ بلا قتال بعد أن أخلاه المصريون يوم ٨ حزيران • بعد تنظيف مقابر الدبابات والشاحنات تابعت القوات المهاجمة اندفاعها نحو الغرب • وعند هبوط الليل كان الاسرائيليون على ضفاف قناة السويس وعلى خليج السويس من القنطرة حتى رأس سودار •

وكان انتصار عجيب ، لا يصدق ، من شأنه أن يقلب الاوضاع السياسية كلها في الشرق الاوسط • لقد جرت معارك قاسية ولكنها قصيرة تنتهي دائما بالتفوق الاسرائيلي ، أما الخسائر فخفيفة : ٢٥٠ قتيلا و ٨٠٠ جريح ، أي ما يعادل أكثر قليلا من نسبة ١ ٪ ، ولكن هذه الخسائر كانت ثقيلة جدا من الضباط وذوي الرتب الذين دفعوا الثمن من أرواحهم عندما كانوا يتقدمون على رؤوس قطعاتهم • أما المصريون فقد فوجئوا بهذا الهجوم المباغت الذي تمكن ، خلال ٢٤ ساعة ، من شل كل قدرة لهم على المناورة ، كما جمدهم الطيران على الارض ، وقضى على كل حركة لهم بسرعة التقدم الاسرائيلي ، فلم يتمكنوا من ابداء أي شيء غير المقاومة الضئيلة التي لا تلبث أن يقضى عليها • وهكذا تم كسب الحرب •

معركة الاردن (٦ ـ ٨ حزيران)

وفي الوقت نفسه كان ثمة جبهات أخرى • وكان الاسرائيليون يأملون على الاقل أن يظل الاردن ملازما حياده بحيث يتمكنون من تركيز جميع قوتهم ضد مصر ، مع ان حدود هدنة ١٩٤٨ (التي تبعد ١٥ كيلومترا عن تل ابيب) كانت مزعجة لهم جدا • ولكن ناصر حصل على موافقة أردنية بارسال جنرال مصري الى عمان يقوم بقيادة الجيش هناك ،

وفتح هذا القائد حدود الاردن أمام القوات العراقية ، وساق جميع الوحدات الاردنية الى الجبهة مع اسرائيل ، وأمر جميع بطاريات المدفعية بقصف المدن الاسرائيلية فورا • وردت اسرائيل في الحال بتدمير الطيران الاردني في قواعده ، ولكنها كانت ما تزال تأمل في تحديد النزاع • ومع ذلك فقد أصابت المدفعية الاردنية تل أبيب وعدة قواعد جوية اسرائيلية ، وكذلك الجزء الاسرائيلي من القدس حيث يوجد المقر العام لهيئة الامم المتحدة ، فاشتعلت فيه النيران • ولما اخترقت الجبهة المصرية مساء ٥ حزيران أصبحت وحدات الاحتياط قادرة على التحرك ، وعندئذ قررت القيادة الاسرائيلية القيام بهجوم مضاد على الجبهة الاردنية •

كان الاردنيون قد نشروا تسعة ألوية منها لواءان مدرعان • أما الاسرائيليون فكان تحت تصرفهم حوالي عشرة ألوية بعد تفرغ الاحتياطي • وفي ٦ حزيران تمكنوا من اقتحام الجبهة شرقي تل ابيب ، وطوقوا القدس واحتلوا جنين في الشمال • ويوم ٧ حزيران اتبعوا الخط الساحلي العريض الذي يفصل البحر عن وادي الاردن العميق حتى توصلوا ، بفضل سلسلة من العمليات المتلاحقة ، الى تطويق وتدمير الالوية الاردنية الستة الاكثر تقدما • وحول القدس دارت معركة ضارية جدا ، ذلك ان الفيلق العربي (الجيش الاردني) يجيد القتال ، ومن جهة ثانية أريد تجنب استخدام الطيران والمدفعية حول الاماكن المقدسة • ونجم عن ذلك معركة شوارع صعبة جدا كان هدفها احتلال البلدة القديمة • وفي اليوم التالي ، ٨ حزيران ، اندفع الاسرائيليون حتى بلغوا نهر الاردن •

ان معركة اليومين الاثنين هذه كانت غير متوقعة • ومع ذلك فلم تكن أقل نصرا • والخسائر هنا أيضا كانت خفيفة : مئتا قتيل وبين ٦٠٠ و ٧٠٠ جريح ، وهو ما يعادل أيضا نسبة ١ ٪ ، ولكن معظمهم من الضباط وذوي الرتب وانسحبت ثلاثة ألوية أردنية شرقا لتغطية عمان

وحمايتها • لقد حققت اسرائيل ، دون ارادة منها ، حلمها في أورشليم وحدودها على نهر الاردن •

معركة سوريا (٩ ـ ١٠ حزيران)

وعلى العكس من ذلك كان ما يزال أمام اسرائيل تصفية حسابها مع سوريا ، فهذه الاخيرة لم تكن علة الازمة كلها وحسب ، بل كانت قد قصفت جميع القرى التعاونية الواقعة على الحدود قصفا متتابعا مدروسا • وقد لحقت أضرار وخسائر بخمس وثلاثين من تلك القرى ، كما تعرضت طبريا لغارات جوية ، كذلك نشبت معركتان أرضيتان صغيرتان في الشمال ولكنهما صدتا بسهولة • وعلى الرغم من قرار وقف اطلاق النار الذي صدر عن الامم المتحدة ، لم يكن بوسع اسرائيل الاقلاع عن فقء هذا الدمل الاخير •

الا ان المشكلة العسكرية هنا كانت غاية في الصعوبة • فقد حشد السوريون خمسة ألوية مشاة على الحدود حيث تحصنوا ، على الطريقة السوفياتية ، في خطوط متتابعة ، تحميها استحكامات ويدعمها لواءان مصفحان • أضف الى ذلك ان المواقع السورية كانت مشرفة تماما على وادي طبريا • وأخيرا كان لا بد من احضار الامدادات من الجبهات الاخرى •

بدأت العمليات الاسرائيلية في ٩ حزيران بأن ألقت القيادة بلواءين أو ثلاثة شمالي بحيرة طبريا لجس المقاومة على الجبهة العريضة ، وللبحث عن ممرات تعد ليلا لمرور المصفحات • ويوم ١٠ حزيران كان الاختراق قد تم بعد معارك ضارية خاضها المشاة في الشمال باتجاه القنيطرة مرورا بمسعدة ، وفي جنوب البحيرة أنجز المهمة لواءان جاءا من الجبهة الوسطى وتوجها الى بوتانيا • وما أن تحقق الاختراق حتى بدأ استغلاله تبعا للاسلوب عينه الذي اتبع في الجبهة الوسطى وبواسطة اندفاعات سريعة

تجتاح جميع مواقع العدو وتأخذها من جوانبها . سقطت القنيطرة ليس دون عناء ، فانطبق الفك الشمالي للكماشة على بوتانيا ليلتقي بالفك الجنوبي وينطبقان على العليقة . ومساء اليوم العاشر من حزيران كانت الالوية السورية الخمسة المتحصنة قد دمرت كما ألحق الطيران خسائر باهظة باللواءين المصفحين . وأصبح طريق دمشق التي لا تبعد أكثر من ٦٠ كيلومترا مفتوحا ، وراح السوريون يسلحون الشعب في العاصمة ويستعدون لمعركة شوارع . ولكن الاسرائيليون توقفوا ومراقبو الامم المتحدة وصلوا . لقد انتهت الحملة .

وكانت خسارة الاسرائيليين بالارواح أكبر نسبيا مما لحق بهم في أماكن أخرى (١٥٠ قتيلا و ٦٠٠ جريح) ، كما انهم أكبروا المقاومة التي أبداها خصومهم . وصحيح ان المباغتة ، في هذه المعركة الاخيرة ، لم تستطع لعب دورها ، وصحيح أيضا ان الاسرائيليين لم يتمكنوا من اللجوء الى مناورتهم المفضلة — وهي التطويق — الا بعد التحام جبهي أول الامر . ان المواقع التي احتلوها على مرتفعات القنيطرة حققت الحماية التامة لقراهم التعاونية القائمة في السهل من قنابل المدفعية السورية ، وكان هذا هو الهدف الذي حددوه لانفسهم .

الاسلحة السرية لهذه الحرب الصاعقة

في هذه المعارك الثلاث أثبتت القوات المسلحة الاسرائيلية كفاءة عالية سواء على مستوى الرتب العالية أو الدنيا . فان مثل هذه النجاحات المتلاحقة تنفي كل فكرة تقول بأن الحظ قد واتاهم . سيناء ثلاثة أيام ، الاردن يومان ، سوريا يومان ، انها حقا الحرب الصاعقة المدروسة . أما « الوصفات » التي طبقت فمعروفة كلها : المباغتة ، التصميم والسرعة ، التفوق الجوي ، لامركزية واسعة للقيادة ، وحدات قوية قد تخلصت من مركبات العمل الجامد المحدود الذي ما زال مسيطرا على الكثير من

الجيوش الاوروبية في الغالب ، وحتى في الجيش الاميركي ، وعقيدة « لوجيستيك » مبسطة للغاية . وهكذا تصبح المناورة الصرف ممكنة .

ان مثل هذه النتيجة لا يمكن الحصول عليها تلقائيا . ان الجيش الاسرائيلي جيش مواطنين — حتى ليكاد يمكن القول انه جيش شعبي — جيش تدرب باخلاص وكفاءة . في مناورات ألويته في صحراء النقب التي تهيىء له أفضل ساحة للمناورة في العالم ، وفي هذه الصحراء كان جنود الاحتياط يندمجون في وحداتهم المحاربة .

وهذا الجيش تدعمه ارادة ضارية للوطن كله ، وهو مزود بأحدث الاسلحة وأفضلها ، يقوده قادة مجربون وحازمون ، ولذا كان جديرا بكل عمل جريء . وعندئذ تصبح الانتصارات أمرا سهلا .

صحيح ان الجيش المصري لا يتمتع بسمعة عسكرية طيبة ، ولكن الفيلق العربي (الجيش الاردني) قد قاتل قتالا جيدا ، كما ظهر السوريون شديدي البأس . من الممكن أن لا يلاقي الاسرائيليون مثل هذا النجاح لو ان عدوهم غير هذا العدو ، الا ان فضلهم كان في انهم استطاعوا أن يقودوا عملياتهم بشكل قضى على تكتيك الخصم .

ربما كان المغلوبون الحقيقيون في هذه الحرب هم السوفيات الذين لم يغرقوا العرب بأسلحة ومعدات لم تنفعهم بل أثقلتهم وعاقت حركتهم وحسب ، بل علموهم تكتيكا دفاعيا جامدا أثبتت التجربة عقمه . وأخيرا تبين ان حشود ناصر الهجومية في سيناء كانت غلطة استراتيجية رئيسية لم يستطع العنصر السياسي تغطيتها — وهو عنصر مؤقت — كما انه لم يستطع تعويض ما ألحقته بناصر من أضرار .

ولكن الغلطة الحاسمة ربما كانت تلك التي وقعت بالسماح للعدو بالمباغتة في الهجوم الجوي . ولقد كان تصرف اسرائيل كاملا ، الا ان الطائرات المصرية كانت مكشوفة ، كما يبدو ان ردة فعل الانذار والتأهب جاءت بطيئة . وهكذا تبين ان السيطرة الجوية توفر ، في هذا النوع

من الحروب وفي مثل هذه الاراضي المكشوفة ، تفوقا لا يقاوم .

كل هذا شيء كان معروفا . ولكن أحدا ربما لم ير من قبل تنفيذا أقرب الى الكمال ، ولا نصرا أسرع وأكمل . لقد قابلت جميع هؤلاء الرجال الذين أحرزوا هذا الانتصار الذي لا يصدق . تحدثوا الي بتواضع فوجدتهم مدهوشين هم أنفسهم من ان حساباتهم ، وترددهم ، وسهرهم ، قد أعطت نتائج عجائبية بهذا الشكل . وجدتهم متعبين بشكل هائل ولم أجدهم معتزين بانتصارهم . لقد كانوا بالدرجة الاولى قلقين على ما سيتبقى من انتصارهم في المرحلة الدبلوماسية التي بدأت مؤخرا .

الفصل السادس

العمليات البحرية [1]

بدأت التفاصيل الاولى لاحد أسرار العمليات البحرية التي قام بها الرجال الضفادع الاسرائيليون ضد الاسطول المصري تتسرب من دوائر الاستخبارات الاسرائيلية . وقد استخدم الرجال الضفادع القنابل في واحدة من أجرأ العمليات التي جرت خلال الحرب ومنعوا مصر من استخدام صواريخها التي تطلق من البحر الى الارض سواء ضد القوات الاسرائيلية أو ضد المدنيين .

ولقد شن الفدائيون الاسرائيليون هجومهم بقيادة يوشاي بن نون القائد العام السابق للاسطول الاسرائيلي ، في الساعات الاولى من صباح يوم ٥ حزيران . وكان هدفهم الرئيسي منطقة رأس التين المنيعة في الاسكندرية ، ولكنهم هاجموا أيضا مؤسسات وانشاءات بحرية مصرية أخرى على طول ساحل مصر الشمالي حتى بور سعيد ، وأغاروا كذلك على بور توفيق جنوب السويس .

ولقد اشتركت في هذه العمليات وحدات مشتركة من الرجال الضفادع والمظليين المدربين على الحرب البحرية ، وكانت العمليات التي قاموا بها من الفعالية لدرجة انهم استطاعوا توجيه ضربات قوية الى أقوى

(١) « الصنداي تايمس » ٢٥ – ٦ – ١٩٦٧ .

أسطول في الشرق الاوسط ، لا تقل قسوة وسرعة عن الضربات التي وجهها زملاؤهم في سلاح الطيران الاسرائيلي الى الطائرات المصرية .

وتقول بعض التقارير ان الغارة التي شنت على الاسكندرية وجهت من حيفا ، وانها في الواقع حدثت مساء يوم الاحد ٤ حزيران ، أي عشية الحرب .

ونتيجة لذلك شلت جميع الغواصات المصرية باستثناء اثنتين منها .

ولكن لعل ما هو أهم من ذلك ان الاسرائيليين تمكنوا من تدمير القوارب المصرية السريعة الحركة التي تحمل قذائف موجهة . ويبدو ان الضربة كانت من القوة بحيث لم يستطع أي من هذه القوارب القيام بحركة واحدة طوال الحرب .

وفي اليوم الرابع من حزيران كانت مصر تملك على الاقل عشرة قوارب دورية سوفياتية الصنع من طراز « كومار » جهز كل منها بصاروخين يطلقان من البحر الى الارض ويقطعان مسافة ١٥ ميلا ، واربع سفن من طراز « أوسا » ، مجهزة بالصواريخ أيضا ، واكثر من ٤٠ قارب طوربيد . وكان بامكان هذه القوارب والسفن أن تلعب دورا تكتيكيا حاسما في معركة سيناء بالعريش وغيرها من الاماكن .

وقد استطاعت الغارة التي قام بها الفدائيون الاسرائيليون تخليص القوات البرية من أحد المصادر الرئيسية للقلق ، وبالنظر الى طول ساحل اسرائيل من جهة وضيق رقعتها من جهة أخرى ، فانها كانت مكشوفة للهجوم الصاروخي . وكانت السفن المصرية صغيرة وخفيفة الحركة وقادرة على المناورة لدرجة ان الهجمات الجوية ضدها كانت صعبة وغير موثوقة النتائج .

والواقع ان الحالة كانت مماثلة تماما لتلك التي كانت قائمة في الجو . فلم تكن هناك وسيلة فعالة للدفاع سواء عن الحركات التكتيكية للجيش أو المدنيين باستثناء ما يعرف في التعبيرات العسكرية باسم

« ضربة أولى مفاجئة » . وكما قال أحد الضباط البحريين الاسرائيليين الذين تلقوا تدريبهم في بريطانيا : كان مفروضا علينا أن نضربهم قبل أن يضربونا .

وكان يوشاي بن نون مسؤولا عن القوات البحرية السرية منذ أن تخلى عن منصبه كقائد للاسطول الاسرائيلي الى شلومو اريل في شهر كانون الثاني ١٩٦٦ . ومنذ ذلك الحين أصبح منصبه الرسمي هو المدير العام لوكالة الآثار في تل سكيمونا قرب حيفا ، ولكن لم يكن هناك انسان واحد يؤمن بأن هذا الرجل العسكري الذائع الصيت ، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد موشي دايان من حيث شهرته العسكرية ، منصرف فعلا الى الابحاث الاكاديمية .

والواقع ان بن نون كان منصرفا خلال هذه الفترة ، وفي جو من السرية التامة ، الى اجراء تجارب على نوع جديد من عمليات الكوماندوس البحرية التي تجمع بين استخدام المظليين والرجال الضفادع ، واستخدام القوارب والغواصات في عمليات الانزال . ومن بين التمرينات التي أجريت خلال ذلك التمرين على السباحة الطويلة ، وفي مناسبات عديدة كان بن نون نفسه يقود قوات الكوماندوس في عملية سباحة طويلة عبر الاميال التي تفصل حيفا عن عكا .

وعندما كان بن نون قائدا للاسطول الاسرائيلي قال بأن اسرائيل لا تستطيع أن تنافس الاسطول المصري الاكبر عددا والاقوى تجهيزا ، اذا هي اكتفت باللجوء الى الاساليب التقليدية .

ويبدو ان الاستخبارات المصرية لم تكن من الذكاء بحيث تفهم المقصود من هذا التلميح ، اذ يبدو انه على الرغم من ان القواعد البحرية المصرية كانت مجهزة بوسائل الدفاع الكافية ضد الهجمات الجوية ، فان أحدا في مصر لم يفكر باتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية هذه القواعد من هجمات الرجال الضفادع .

ان الموضوع كله لا يزال محاطا بسياج كثيف من السرية والكتمان ، بحيث لم يعلم بعد ماذا حدث للمدمرات المصرية الست ، وكانت أربع منها سفنا سوفياتية سابقة ، أما المدمرتان الباقيتان فهما مدمرتان بريطانيتان سابقتان من طراز « زد » . ولكن من الثابت على أي حال ان هذه المدمرات لم تلعب دورا هاما في الصراع ، كما ان الاسطول المصري لم يشاهد سوى ثلاث غواصات مصرية بعد اليوم الخامس من حزيران .

ووفقا للخطة الرئيسية كان من المقرر أن ينطلق الكوماندوس من الغواصات والقوارب للعمل بعد أن تقوم قوارب الطوربيد بعملياتها ، غير انه ليس هناك معلومات حول مدى النجاح الذي أصابه هذا الجزء من العملية ، أو عدد الاصابات التي تكبدها الاسرائيليون . وكانت هناك اشاعات في اسرائيل في الاسبوع الماضي تقول بأن بن نون أسير في مصر ، ولكن لو كان هذا صحيحا لكانت مصر قد أعلنته بكل سرور وافتخار .

ومن المعروف عن القائد السابق للاسطول الاسرائيلي انه اعتاد العودة الى قاعدته كل مرة دون أن يصاب بخدش ، وذلك من جميع العمليات الانتحارية التي قام بها . وخلال الانتداب البريطاني على فلسطين قاد رجال العصابات في هجوم على انشاءات الرادار البريطانية في حيفا . كما ان بن نون منح وسام بطل اسرائيل بسبب قيادته عملية غير عادية خلال حرب عام ١٩٤٨ .

فعلى الرغم من ان البحرية المصرية كانت متفوقة على البحرية الاسرائيلية في ذلك العام ، فان الاسرائيليين هاجموا المدمرة « الملك فاروق » التي كانت تعتبر مفخرة الاسطول المصري . وقد استخدموا قوارب سريعة ملأوها بالمتفجرات السريعة الاشتعال . وكانت خطة بن نون ، التي نجحت بالفعل ، تقضي بالابحار بالقارب بسرعة باتجاه

المدمرة والاصطدام بها ، والقفز من القارب قبل أن يقع الاصطدام الرهيب .

وقد شلت المدمرة « الملك فاروق » نتيجة لذلك ، واستطاع قارب مساعد سريع الحركة التقاط رجال بن نون من البحر واعادتهم سالمين الى اسرائيل على الرغم من النيران الكثيفة التي وجهتها اليهم سفينة مصرية أخرى . ومع ان الكثير من تفاصيل هذا العمل كانت معروفة في اسرائيل ، فان التفاصيل الكاملة لم تعرف الا في منتصف عام ١٩٥٠ . ويبدو ان اسرائيل ستنتظر مدة طويلة كهذه قبل أن تذيع التفاصيل الكاملة للعمليات الاخيرة التي قام بها بن نون .

الفصل السابع

دور الطيران في المعركة

في رأي الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الاهرام » ان ما وقع للطيران المصري صباح ٥ حزيران هو نفسه حادث القدر الـذي شل المقدرة العربية وأبطل مفعول كل الحسابات التي كانت معتمـدة لسير المعركة « وان هذا الحادث الخطير سوف يبقى لزمن طويل موضوعا للبحث والدرس وللتساؤلات الحيرى المعذبة » .

والواقع ان هذا « الحادث » ظل مدار الدهشة والذهول ـ لئلا نقول عدم التصديق ـ منذ اليوم الثاني للمعركة وحتى الان ، والى أمد غير محدود وزمن طويل ، ليس في المعسكر العربي وحسب بل فـي الجانب الاسرائيلي والعالمي أيضا .

صحيح ان هناك أوجه شبه بين هجوم اسرائيل على المطارات المصرية فجر الخامس من حزيران وبين الهجوم الجوي الياباني على الاسطـول الاميركي الراسي في بيرل هاربور ، والذي كانت بوارجه « نائمة كبط البحيرة في خليج الميناء الجميل » صبيحة يوم ٧ كانون الاول ١٩٤١ . فالهجومان كانا حاسمين وقد قررا مصير المعركة الى أجل غير مسمى .. على الرغم من الفرق في امكانات التعويض بين الولايات المتحدة ومصر ، وذلك ما شدد عليه الاستاذ هيكل في مقاله .

الا ان الفرق الرئيسي الهام بين « الحادثين » ــ على حد تعبير هيكل ــ هو ان الهجوم الياباني على ميناء اللؤلؤ لم يكن متوقعا على الاطلاق ، اذ لم يكن في الجو ما يوحي بأن اليابان تنوي خوض الحرب ضد الحلفاء ، كما ان الولايات المتحدة لم تكن طرفا بعد في الحرب . وكذلك لم يكن ثمة أزمة في العلاقات بين البلدين .

ولعل هذه النقطة بالذات هي ما أشار اليها رئيس تحرير « الاهرام» أكثر من مرة في مقالاته فوصفها بأنها « قصور غير عادي منجانبنا » لان الهجوم كان متوقعا وتوقيته كان معروفا على وجه التقريب ، كما أشار الى ذلك الرئيس عبد الناصر بنفسه في خطاب ٢٦ تموز ١٩٦٧ .

وفي رأي الاستاذ هيكل ان تدمير الطيران المصري كان « المدخل الى الهزيمة » ، وهذا تعبير موفق ، لانه بالفعل كان مدخلا ، ولكنه لم يكن الهزيمة كلها . فللهزيمة أسباب أخرى كثيرة ، وحولها أسرار ما تزال خفية محاطة بكتمان غيور .. وقد تمضي شهور بل سنوات قبل أن تكتشف جميع دقائقها للعيان .

في الحروب ، كما في جميع خلافات البشر ، يجمل بالباحث عن الحقيقة ــ بل يجب عليه ــ الاستماع الى طرفي النزاع ، فالحقيقة تكمن دائما وراء متناقضات ما يقوله الاخصام بعضهم في البعض الآخر . وفي هذا يقول ونستون تشرشل في مذكراته : « كنت أحب أن آخذ بلاغات هتلر بعد كل معركة لاقارنها ببلاغاتنا فأتلمس الحقيقة عن خسائرنا ومكاسبنا قبل أن تصل الي بالطرق الرسمية البطيئة حتى في حالة الحرب » .

ولعل من الهام والمثير في وقتواحد أن نعرف رأي العدو الاسرائيلي في « حادث » تدمير الطيران المصري صباح ٥ حزيران ومدى أهمية

ذلك في سير المعركة وتطور القتال .

وهناك كتاب هام من ثلاثمائة صفحة ظهر أخيرا عن صحيفة « معاريف » الاسرائيلية عنوانه « الغطاء الاحمر » . مؤلف الكتاب يدعى صموئيل سيغيف ، ولست أدري أهمية هذا الكاتب ومدى اطلاعه على الشؤون العسكرية في بلده ، غير ان مجرد صدور الكتاب في هذه الفترة الدقيقة من حياة اسرائيل بالذات ، والسماح بنشره ، وتبني صحيفة كبرى مقربة من الاوساط الرسمية مثل « معاريف » له ، دليل شبه قاطع على ان معلوماته مستقاة من المراجع العليا في الدولة الصهيونية ، وانها تمثل ، الى حد ما ، الرأي الاسرائيلي العسكري الرسمي في حكاية هجوم ٥ حزيران الذي كثرت حوله الاقوال والاستنتاجات والاجتهادات.

يضاف الى كل ذلك انه من الاهمية بمكان أن نداب على اطلاع الرأي العام العربي ، كلما سنحت الفرصة ، على آراء العدو ، ووجهات نظره ، بالنسبة للقضايا الحساسة والهامة ، فليس أقتل للامم من جهل أعدائها ، وفي الحديث الشريف : « اذا شئتم أن تغلبوا أمة فتعلموا لغتها » ... ونحن نعيش الآن عصر الترجمة ، فما علينا الا أن نتعلم .. القراءة !

يبدأ صموئيل سيغيف باللقاء الذي تم ، قبل نشوب القتال ، بين الجنرال ديغول ووزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان ، فظهر ان وجهتي نظرهما مختلفتان كل الاختلاف . واذا كان اغلاق مضائق تيران في نظر المسؤول الاسرائيلي « عملا عدوانيا » ، فهو غير ذلك في رأي الرئيس الفرنسي الذي كان يعتقد ــ وما زال ــ ان لقاء بين الاربعة الكبار كفيل وحده بأن يسفر عن حل للازمة المستحكمة . وأما ايبان فقد قال لديغول : « نحن نعتبر ان « الكولونيل » ناصر قد أطلق الرصاصة الاولى في الحرب عندما

أعلن الحصار على المضائق » . ويعترف المؤلف بأن اسرائيل كانت « مستعدة للانتظار عدة أيام أخرى لعل محاولة التدخل من قبل الدول البحرية تنجح في فك الحصار ولكنها ــ أي اسرائيل ــ عادت فقررت التصرف بمفردها في نهاية هذه الفترة » . ولا يوضح المؤلف سبب هذا القرار وان كان من المعروف انه جاء بمثابة انتصار لرأي الفريق المتطرف من أعضاء الحكومة الاسرائيلية أمثال دايان وألون وبيغن ...

أما القسم الاهم من الكتاب فمخصص لسير العمليات العسكرية وهو ينطوي على معلومات جديدة ــ بالنسبة للقارىء العربي على الاقل ــ منها :

* ان سلاح الطيران الاسرائيلي كان يقوم ، في كل يوم من أيام الحرب ، بألف غارة على مختلف الاهداف العربية في الدول الاربع المشتركة في القتال .

* ان الرؤساء العسكريين امتنعوا عن تصديق التقارير التي كان يقدمها اليهم قادة الاسراب عن نتائج تلك الغارات المتلاحقة لانها كانت « فوق تقديراتهم بكثير » .

* انه كان بوسع الجنرال مردخاي هود ــ قائد سلاح الجو الاسرائيلي ــ أن يتصل هاتفيا بالجنرال رابين ــ رئيس الاركان ــ عند الدقيقة الرابعة والعشرين من بدء العمليات ليقول له : « لقد تم تنظيف سيناء » .

* وفي الدقيقة المائة والعشرين حصل بين القائدين اتصال ثان قال فيه هود لرابين : « جميع الاهداف تحققت تقريبا » . وفي الدقيقة المائة والسبعين قال هود : « لم يبق ما نخافه ، فالطيران المصري انتهى كسلاح حربي ولم يعد له وجود البتة ! » .

* بفضل طائرة الميغ ــ ٢١ التي جاء بها هارب عراقي الى اسرائيل قبل حوالي السنة ، كان جميع الطيارين الاسرائيليين يعرفون تماما كل شيء عن السلاح الذي يستخدمه أعداؤهم المصريون .

وأهم من كل هذا « تصحيح » المؤلف سيغيف للخطأ الذي انتشر انتشارا واسعا في أعقاب الحرب والذي أسند للطيران دورا حاسما في المعارك البرية . وهو يؤكد ان « سبعين الى ثمانين بالمائة من الدبابات المصرية قد دمرت أو أخرجت من المعركة من قبل الدبابات الاسرائيلية » . ويعطي المؤلف الارقام التالية : « ٤٠٠ دبابة دمرت تدميرا كاملا ، ٣٠٠ دبابة تم الاستيلاء عليها سالمة أو مصابة بأضرار قابلة للاصلاح » .

ويقول سيغيف انها كانت هذه هي المرة الاولى التي تتصدى فيها دبابات « باتون م ــ ٤٨ » (الاميركية الصنع) لدبابات « ستالين ــ ٣ » (الروسية) ، ويزعم انه في اشتباك بين عشر دبابات باتون وسبع عشرة دبابة ستالين أخرجت جميع دبابات ستالين من المعركة دون أن تصاب أية باتون بأذى .

ويدافع المؤلف بحرارة عن السلاح المدرع ودوره في المعارك ، مؤكدا ان دور الطيران كان حاسما بالنسبة للمعارك الجوية ولكنه لم يكن كذلك في معارك الصحراء التي لعبت فيها المدرعات الدور الاولي .

وينهي سيغيف دراسته « بتصنيف جيوش الاعداء من حيث كفاءتهم العسكرية » فيضع الجيش الاردني في المقدمة يليه الجيش السوري فالمصري !

* * *

اذا صدق صموئيل سيغيف يكون « قصورنا غير العادي » غير مقتصر على سلاح الطيران ، وتلك هي الطامة الكبرى ، وان لم يصدق يكون مجرد تفوق العدو في ناحية واحدة كافيا لتحقيق ذلك الانتصار الساحق له وتلك الهزيمة الساحقة لنا ... وتكون المصيبة أعظم ... والعاقل من اتعظ !

الفصل الثامن

الموقف السياسي

فلسطين وفيتنام على مائدة واحدة

الدوائر العربية التي « عتبت » على الاتحاد السوفياتي لموقفه الفاتر في أثناء اشتداد الازمة وعند نشوب القتال ، لم تفعل ذلك بالطبع لانها كانت تتوقع من موسكو المبادرة بارسال الجيش الاحمر والاسطول السوفياتي للمقاتلة بجانب العرب ، ولا لان موسكو لم تبادر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع واشنطن بعد أن أعلن العرب عن اشتراك طائرات اميركية في القتال الى جانب اسرائيل ..

الدوائر العربية انما عتبت على موسكو ـ ومنها ما لا يزال عاتبا ـ لان ألكسي كوسيغين لم يفعل مثل الذي فعله سلفه خروشوف عام ١٩٥٦ عندما وجه انذارات صريحة الى الغرب وهدده بالصواريخ العابرة للقارات علنا ان لم يرفع يده عن مصر .. فمثل هذه الانذارات والتهديدات هي ما كانت تتوقعه الدوائر العربية من الكرملين بعد أن أعلنت العواصم العربية المحاربة عن اكتشاف أمر دعم الطيران الاميركي والبريطاني لاسرائيل .

والسؤال : لماذا لم يتخذ الاتحاد السوفياتي ، وهو صديق العرب الصدوق ، مثل تلك الخطوة فخيب آمال أصدقائه به في ساعة الشدة ؟

* * *

قد يكون من الخفة الاجابة على هذا السؤال الخطير والدقيق بتسرع

ودون امعان نظر ، فالواقع ان العلاقات الدولية في هذه الفترة من تاريخ العالم قد اختلفت اختلافا كبيرا عما كانت عليه في الخمسينيات . فالعدوان الثلاثي على مصر وقع والحرب الباردة بين المعسكرين على أشدها ، وعلى رأس الحكم في موسكو رجل انفعالي سريع الغضب هو خروشوف ، وثورة المجر التي أشعلها الغرب في صميم المعسكر الاشتراكي في أوجها .. أضف الى كل ذلك ان الصين كانت ما تزال تحت جناح موسكو ودائرة في فلكها .

ثم — وهذه نقطة في غاية الاهمية — كان نظام عبد الناصر ما يزال جديدا نسبيا في مصر ، وكان قد باشر باتخاذ خطوات اشتراكية علق عليها الاتحاد السوفياتي آمالا عريضة على انها خطوات أولى في طريق الشيوعية . وكذلك كان الحال في سوريا آنذاك وهي في ظل حكم ديمقراطي ضعيف عرف باسم « التجمع الوطني » ، وقد عرف الشيوعيون والاشتراكيون المتطرفون كيف يتسلطون عليه .

اذن كان للاتحاد السوفياتي يومذاك مصلحة كبرى في القاء كل ثقله الى جانب مصر — والعرب — في معركتهم السافرة ضد الحليفتين الغربيتين الكبيرتين للولايات المتحدة . فقد كانت حرب السويس الفرصة الذهبية التي أتاحت لموسكو رد التحية الغربية في المجر بأحسن منها ..

* * *

أما اليوم فجميع هذه المعطيات السياسية قد اختلفت بل قل انها انعكست تماما : الحرب الباردة انتهت . الصين شقت عصا الطاعة على موسكو وتحولت من حليف قوي الى عدو مرهوب . خروشوف تنحى ليحل محله زعماء أكثر اتزانا وتعقلا وهدوء أعصاب . موسكو قطعت أملها منذ أمد طويل من تحول نظام عبد الناصر الى نظام شيوعي . سوريا تعاني عدم الاستقرار السياسي المزمن ..

ثم هناك نقطة في غاية الاهمية هي حرب فيتنام وموقف الاتحاد

السوفياتي المحرج منها . فهو عاجز عن التدخل عسكريا لحسم الحرب وحفظ ماء وجهه تجاه الشعوب الشيوعية ، وهو كذلك عاجز عن الوقوف مكتوف اليدين بينما تشن الولايات المتحدة حربا مكشوفة على دولة شيوعية ...

وجل ما يتمناه سادة الكرملين ، والحالة هذه ، التوصل الى « سلم شريف » في فيتنام يتيح لهم العودة الى المسرح في جنوبي شرقي آسيا بدور المنقذ بعد أن أفلست جميع الوسائل الاخرى ، وبخاصة تلك التي استخدمتها الصين الشعبية لانتزاع الدور الاولي من الاتحاد السوفياتي أمام الدول الشيوعية في المنطقة .

* * *

ومما لا شك فيه ان موسكو حريصة — الى حد معين — على صداقة الدول العربية ، هذه الصداقة التي أتاحت لها خلال السنوات العشر الماضية ، أن تصل فعلا الى المياه الدافئة وأن تركز نفوذا لها في المنطقة ظل يتعاظم مع مرور الايام حتى بدا وكأنه الوريث الوحيد للنفوذ الغربي فيها .

غير ان هذا الحرص السوفياتي على صداقة العرب يقف عند « نقطة خطرة » هي المجابهة المكشوفة مع الولايات المتحدة ، هذه المجابهة التي تجنبتها موسكو في مواقف كثيرة سابقة : برلين ، كوبا ، فيتنام ... ذلك ان الاتحاد السوفياتي يعلم علم اليقين بأن أعظم الخطر يكمن في مثل هذه المجابهة : خطر الحرب الذرية . وموسكو ، كما أعلنت مرارا وتكرارا ، محبة للسلام ، داعية للتعايش السلمي ، مناهضة لفكرة الحرب أصلا ..

* * *

كتبت جريدة « تريبيون دي لوزان » السويسرية مقالا تحليليا بتاريخ ٢٥ أيار — وكانت أزمة الشرق الاوسط في أوجها ولم يكن القتال

قد نشب بعد ـ بقلم معلق الجريدة جان جاك شوبيه ، جاء فيه : « لو ان الولايات المتحدة ساعدت اسرائيل عـلى خرق حصار خليج العقبة ـ والاسطول السادس قادر على ذلك بالطبع ـ فسيكون لزاما على الاتحاد السوفياتي التدخل لانقاذ ناصر من شر العواقب . وهذا الاحتمال هو بالضبط ما لا تريده موسكو كما تتجنبه واشنطن . وليس أفضل لتجنب حدوث شيء كهذا من معرفة كل من العاصمتين لنيات الاخرى » .

وتابع المعلق تحليله : « واذا كان الاتحاد السوفياتي يتمنى « للريس » النجاح فهذا لا يعني بالضرورة ان موسكو مستعدة لدفع ثمن هذا النجاح مهما كان باهظا » .

* * *

هذا ما قالته « تريبيون دي لوزان » قبل نشوب القتال بعشرة أيام.

ولو اننا رجعنا الى التصريح السوفياتي الرسمي فور نشوب الازمة لقرأنا فيه هذه الفقرة التي لخصت سياسة موسكو بصراحة لا تحتمل تأويلا :

« ... ليس للشعوب أي مصلحة في تفجير نزاع مسلح في الشرق الادنى ، ذلك ان القوى الامبريالية التي تسير اسرائيل على سياستها ، هي صاحبة المصلحة الوحيدة في ذلك » .

يضاف الى ذلك ما تناقلته أوساط الدبلوماسيين العرب وغير العرب في نيويورك وواشنطن والذي ذكرته كبريات الصحف الاميركية في حينه : « ان التلفون الاحمر بين البيت الابيض والكرملين والذي أنشىء في ٢٠ آب ١٩٦٣ عقب أزمة كوبا ، لم يشتغل يوما بين الكبيرين الا لتبادل التهانىء في الاعياد والمناسبات الرسمية ، ولكن هذا التلفون رن فجأة في الساعة الثامنة من صباح الخامس من حزيران (أي صباح العدوان الاسرائيلي) وكان المتكلم هو السيد ألكسي كوسيغين من الكرملين . ووصلت المخابرة الى الدائرة المختصة في البنتاغون ونقلت الرسالة بالشيفرة الى المترجم الروسي الخاص بالرئيس جونسون

.. وبعد دقائق كان المستر والت و. روستو رئيس الامن الخاص بالمستر جونسون ، وهو الشخص الوحيد الذي يحق له الاتصال بالرئيس الاميركي في أي مكان وفي أي ساعة ، كأن يوقظ جونسون من نومه بواسطة التلفون الكائن بجانب سريره (ولا يحق لاحد المخابرة عبر هذا التلفون غير روستو) ويعلمه بمضمون رسالة كوسيغين .

هذه الرسالة كانت تحمل الى الرئيس الاميركي ما كان يتمنى ان يعلمه (وهو انه لن تكون هناك مجابهة عسكرية بين الدولتين الكبيرتين مهما كانت الظروف) .

* * *

أما جريدة « الفيغارو » الفرنسية فقد حلل معلقها روجيه ماسيب موقف الاتحاد السوفياتي من الازمة في مقالة ضافية بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٦٧ ، ومما جاء فيها بعد قوله ان موسكو هي التي نقلت الى السوريين أنباء التحشدات الاسرائيلية على حدودهم وحثتهم على الاسراع باخطار الرئيس عبد الناصر والطلب اليه بوضع ميثاق الدفاع المشترك موضع التنفيذ حالا ... قال المعلق : « ان تفسيرا معينا يتبادر في الحال الى الذهن ، فلا بد ان الاتحاد السوفياتي قدّر ان خلق مركز توتر جديد في الشرق الاوسط من شأنه اقلاق الرأي العام العالمي الى حد يجعل من المحتم ، عاجلا أو آجلا ، الدعوة الى مؤتمر على شاكلة مؤتمر يالطا حيث يصبح من الممكن طرح المشكلة الفيتنامية أمام المؤتمرين الكبار الى جانب مشكلة الشرق الاوسط . وعندئذ يصبح من المحتمل جدا معالجة المشكلتين من زاوية واحدة جديدة » .

ويضيف المعلق : « وهذا الافتراض ينطوي على تفسير مقبول لتصرف السيد يوثانت الذي عانى ، كما هو معروف ، عنتا شديدا من

جراء فشل محاولاته لاحلال السلام في جنوبي شرقي آسيا » .

تتأكد للمراقب هذه الاحتمالات ، وخاصة احتمال التفاهم المسبق بين واشنطن وموسكو ، اذا أمعنا النظر في فقرة من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عشية يوم الجمعة ٩ حزيران بعد وقف اطلاق النار ، حيث قال :

« ... وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية ، منها رسالة من الرئيس الاميركي ليندون جونسون سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ أيار تطلب الينا ضبط النفس وألا نكون البادئين باطلاق النار ، والا فاننا سوف نواجه نتائج خطيرة .

« وفي نفس الليلة فان السفير السوفياتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفياتية ألا نكون البادئين باطلاق النار » .

وقد تتضح لنا الصورة اكثر فأكثر اذ نحن أضفنا اليها الخطوط الجديدة التي طرأت بعد نشوب القتال في الخامس من حزيران الجاري :

* على الرغم من تأكيدات القاهرة ودمشق بأن طائرات أميركية وبريطانية اشتركت عمليا في تغطية سماء اسرائيل أثناء القتال .. وعلى الرغم من تكرار هذه الاتهامات ليل نهار .. لم نجد ان الاتحاد السوفياتي قد تبناها أو حاول اثارتها واستغلالها .. بل ان الصحف السوفياتية وراديو موسكو لم تشر اليها الا اشارات عابرة ونقلا عن الاوساط العربية دون أي تعليق .

* لم تبد موسكو أي اهتمام جدي بالقتال الذي استمر ستة أيام الا عندما أشرف على نهايته ، وبعد أن حققت اسرائيل معظم أغراضها العسكرية من الحملة واحتلت ما يعادل أربعة أضعاف مساحتها من الارض العربية . هذا مع العلم ان موقف الولايات المتحدة وبريطانيا كان ، منذ بداية الازمة ، منحازا بكل صراحة لاسرائيل .

* لم تتحرك موسكو — سياسيا — الا بعد أن وجهت اليها الانتقادات الصريحة من الصحافة المصرية والعربية فضلا عن تقارير سفاراتها في البلدان العربية والاتصالات الشخصية والرسمية التي أجراها العديد من الزعماء العرب من أصدقاء الاتحاد السوفياتي كالرئيس الجزائري هواري بومدين وغيره .

* حددت موسكو نشاطها بالمجالات الدبلوماسية بعد أن لمست تدهور سمعتها في المنطقة ، فقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وحملت بعض الدول الدائرة في فلكها على فعل مثل ذلك بعد مؤتمر ذروة شيوعي عقد في موسكو .

* جاء تفجير الصين الشعبية لقنبلتها الهيدروجينية الاولى في هذه الفترة سببا اضافيا قويا يشجع الرئيسين الاميركي والسوفياتي على « التفاهم » المنشود شعورا منهما بأن « العدو المشترك » آخذ بأسباب القوة ، وانه أصبح الآن خطرا داهما عليهما معا أكثر مما كان في أي وقت مضى .

أما ما يقال عن الموقف المنحاز الذي وقفته الولايات المتحدة فكثير وطويل التعداد . وحجة واحدة من هذه الحجج الدامغة تكفي لادانة انحياز أميركا . فاذا رجعنا الى ما قاله الرئيس جونسون في ٢٣ أيار ١٩٦٧ ، عندما بدأت الازمة الشرقأوسطية تزداد توترا ، نجد انالرئيس الاميركي لم يلتزم مطلقا بتصريحاته وتعهداته .

فقد أعلن ان الولايات المتحدة الى جانب اعتبارها اغلاق خليج العقبة عملا غير قانوني « ملزمة كل الالتزام بدعم الاستقلال السياسي والسيادة الاقليمية لجميع الدول في الشرق الاوسط » .

والثابت دوليا ان اسرائيل هي المعتدية وهي التي خرجت عن حدودها . واذا افترضنا ان جونسون لا يأخذ الا بالادعاء الاسرائيلي الذي يقول بأن اسرائيل ما اعتدت وانما تحركت في وجه تحرك مصري ،

وهو يعرف جيدا ان هذا الادعاء مردود ، فواجب حكومته أن تهب فورا الى اعادة الشرعية الى مكانها والحدود الى ما كانت عليه لا أن يقف مندوبه في الامم المتحدة فيناور ويقوم بشتى المحاولات لعرقلة مجلس الامن وعرقلة انعقاد الجمعية العامة والحؤول دون ادانة اسرائيل .

الصورة تبدو هكذا قاتمة بل فاجعة .. وما كانت لتظهر بالطبع كذلك لو ان قضية العرب الاولى لم تتعرض للكارثة التي تعرضت لها خلال حرب الايام الستة بحيث انتقلت كلية الى سوق المزاودات والمساومات السياسية وعلى نطاق دولي حتى ليبدو واضحا ان دور أصحابها الاصليين انتقل الى الصف الثاني وان الكلمة الفصل فيها صارت للدول الكبرى بكل ما تنطوي عليه علاقة هذه الدول من تعقيدات وتشابكات وتداخلات .

وكنا يومها — بكل أسف ومرارة — نعلق أملنا الوحيد في ارجاع اسرائيل الى حدود هدنة ١٩٤٨ — وليس تخليص الارض المحتلة ! — على محادثات قد تجري وقد لا تجري ، بين زعماء الغرب والشرق وراء كواليس هيئة الامم المتحدة !

* * *

ان أنباء الاسابيع التي تلت الحرب كشفت عن جزء من أسرار محادثات غلاسبورو ، وخاصة ما تعلق منها بقضية الشرق الاوسط .

هذه « الاسرار » التي تجاهلها البعض لم تكن خافية على أحد من المراقبين السياسيين منذ ساعاتها الاولى .. واليوم لم تعد « أسرارا » بعد أن أذاعها راديو واشنطن حيث قال : « ان الرئيسين جونسون وكوسيغين اتفقا في غلاسبورو على عدم السماح بوقوع حرب جديدة في الشرق الاوسط كي لا تتحول الى حرب بين الدولتين » .

وقال الراديو : « ان الرئيس كوسيغين تعهد بأن لا يسمح للدول العربية بالقيام بأية أعمال حربية قد تجر الاتحاد السوفياتي الى اصطدام مع الولايات المتحدة » .

وقد جاء هذا التعليق من اذاعة العاصمة الاميركية في أعقاب الخطاب الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر في ذكرى ٢٣ تموز ١٩٦٧ ، والذي اعتبرته الاذاعة الاميركية « معتدلا » .

وفي نفس الوقت كانت صحف أوروبا الغربية تقول ان اجتماع غلاسبورو « قد تم فيه الاتفاق بصورة سرية على قضيتي الشرق الاوسط وفيتنام » .

ومنذ الساعات الاولى لنشوب أزمة الشرق الاوسط بدأ يتضح ان مشكلتي فلسطين وفيتنام ستوضعان على مائدة واحدة بين العملاقين العالميين الاميركي والسوفياتي .

وقد برز هذا الاتفاق للمرة الاولى بشكل رسمي في ٢١ تموز ١٩٦٧ حيث تقدمت موسكو وواشنطن ، معا ، بمشروع حل وسط لهيئة الامم المتحدة .. ولكنه لم ينل موافقة العرب فكان أن صرف النظر عنه .

ويعود الى بساط البحث مشروع جديد تتقدم به الدول الغربية وحدها لطرح موضوع « مباحثات سلام » في الشرق الاوسط بواسطة مبعوث خاص ، وعلى مستوى عال ، من قبل يوثانت يقوم باتصالات خاصة مع الاطراف المعنية ، ويكون مقره مكانا محايدا في المنطقة .

واذا كانت موسكو لا تشارك في تقديم هذا المشروع ، الا ان المصادر السياسية العالمية المطلعة تؤكد ان الحكومة السوفياتية على علم مسبق به وانها موافقة عليه من بعيد على أن تلعب دورها فيما بعد .

ودور الاتحاد السوفياتي يتلخص عندئذ في مراقبة الموقف بادىء ذي بدء .. ثم جس النبض لدى العواصم العربية ، وأخيرا — واذا كان الجو ملائما — النزول الى الميدان علنا والتعاون مع الدول الغربية على

صيغة مشروع جديد يكون نهائيا بالنسبة للنزاع القائم حاليا .

وفي نفس الوقت يأتي تصريح دين راسك في مقابلة تلفزيونية ليزيد من صحة ما نذهب اليه . فقد كشف في استعراضه للاوضاع العالمية أحد أسرار اجتماع الرئيسين جونسون وكوسيغين فقال : « ان الرئيس السوفياتي أبلغ جونسون في اجتماع غلاسبورو في شهر حزيران ١٩٦٧ انه اذا أوقفت الولايات المتحدة قصف فيتنام الشمالية دون شرط ولا قيد كان بالامكان فتح باب المفاوضات مع هانوي بسرعة » . وأضاف راسك ان جونسون لم يوافق على اقتراح كوسيغين « الا اذا وافقت هانوي على التقليل من نشاطها العسكري » أي انه ترك الباب مفتوحا أمام الحل .

* * *

ونعود الى الشرق الاوسط :

من الطبيعي ان الاتحاد السوفياتي يعلم جيدا ما لا تريد الدوائر الغربية أن تأخذه بعين الاعتبار ، وهو :

١ — انه لا يمكن أن تقوم الدول العربية بأي خطوة نحو أي نوع من المحادثات قبل أن تنسحب اسرائيل نهائيا وكليا من الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران .

٢ — ان كل مشروع يرمي في النتيجة الى فرض صلح على العرب مع اسرائيل هو مشروع ميت قبل أن يولد .

وهذا على كل حال موضوع آخر .

الذي حاولنا التركيز عليه هنا هو ان الاتفاق والتعاون بين روسيا وأميركا بالنسبة للشرق الاوسط أمر واقع ، كما هو أمر واقع بالنسبة لقضايا عالمية عديدة أخرى . ولعل من مظاهر هذه الحقائق المساعي السوفياتية لحمل القاهرة على اعادة فتح قناة السويس .

ومن مظاهر هذه الحقائق أيضا ما نشر عن اتفاق موسكو وواشنطن على وجوب « ابدال » فيدل كاسترو بشخص آخر في كوبا . ففيما ترى

فيه واشنطن « سوسة » تنخر في أميركا اللاتينية ، تجد فيه موسكو ما هو أخطر ...

ان جريدة « البرافدا » نشرت مقالا لزعيم الحزب الشيوعي التشيلي ينتقد فيه « الكاسترية » بشدة ويتهمها بأنها « حركة فردية مصطنعة ولا تنسجم مع أماني الشعوب » .

وكانت أوساط موسكو العليا قد بدأت ترى في تصرفات فيدل كاسترو وشي غيفارا انحرافا نحو بيكين يهدد الاحزاب الشيوعية الاميركية اللاتينية بالتفكك .

الفصل التاسع

قمة الخرطوم

في أعقاب الكارثة العسكريـــة التي حلت بالعرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ ، شهد المواطن العربي نشاطا عظيمـا قام به المسؤولون في الدول العربية « الثورية » ، وتمثل في لقـــاءات متواصلة ، وتنقلات متتابعة ، ورحلات متعددة ، قاعدتها القاهرة وأجنحتها دمشق والجزائر وبغداد •

وانتهى كل هذا النشاط الى اجتماع رباعي ثم خماسي • وتبلور هذا الاجتماع عما سمي « القمة المصغرة » أو « القمة الثورية » • ورسخ في عقل المواطن العربي المذهول بالنكبة ، المحطم الكبرياء بالهزيمة ، ان هذه القمة ، وان كانت مصغرة ، أريد لها أن تكـــون البديل عن « القمـة الكبرى » التي سبق ودعا الى عقدها السودان فور وقف اطـلاق النار فـي المنطقـة •

وتألم المواطن العربي ، فوق آلامـه ، وهو يرى ان العرب مصرون على أن يظلوا عربين ، وان الكارثة ، رغم ضخامتها وفداحتها ، لم تعلم أحدا ، ولم يفد منها أحد !

تألم المواطن العربي ، فوق آلامه ، لانه يؤمن بحقيقة بسبطة واضحة أثبتتها أيام المحنة الستة ، وهي ان العدو ، عنـدما يضرب ، لا يفرق بين

عربي « ثوري » وعربي « محافظ » بدليل ما أنزله بالاردن « المحافظ » من ضربات قاسية لم تكن أقل من تلك التي أنزلها بمصر وسوريا « الثوريتين » .

تألم المواطن العربي لانه بات واثقا ، بعد تجربة ٥ حزيران المريرة الدامية ، ان فلسطين قضية العرب جميعا ، مشرقا ومغربا ، جمهوريات وملكيات ، امارات ومشيخات .

هذه الحقيقة البسيطة الواضحة هي التي حملت الرئيس عبد الناصر، في خطاب ٢٣ تموز ١٩٦٧ ، على ابداء ما يشبه الاعتذار عن تلك الاجتماعات « الثورية » التي وصفها بأنها « جاءت عفوية » وانها لا تعني ، ولا يمكن أن تعني ، احتكار بعض الدول العربية للقضية دون الدول الاخرى .

وتحت ضغط مثل هذا الشعور بشمول القضية ، دعا البيان المشترك الذي صدر في ختام « القمة الصغرى » الى اجتماع وزراء الخارجية العرب ليكون تمهيدا لمؤتمر « القمة الكبرى » التي تستطيع أن تضع الامور في أنصبتها وتوزع مسؤوليات المعركة المقبلة على كافة أقطار العرب ، كل حسب طاقته وامكاناته وقوته ..

واجتمع وزراء الخارجية العرب في الخرطوم ليمهدوا الطريق أمام الملوك والرؤساء لمؤتمرهم العتيد المؤهل لتنسيق المسؤوليات المقبلة — لا الماضية ! على الاشقاء في معركة المصير .

وكان السيد محمد أحمد محجوب رئيس الحكومة السودانية قد دعا ، منذ وقف اطلاق النار ، الى مؤتمر قمة يعقد في الخرطوم عاصمة السودان ، وقد وافقت جميع الدول العربية ، ما عدا سوريا ، على الاشتراك في هذا المؤتمر .

وفي ختام المؤتمر ونشر البلاغ المشترك كتب « اريك رولو » (١)

(١) جريدة « لوموند » تاريخ ٣ – ٩ – ١٩٦٧ – العدد ٧٠٤٢

يحلل مقررات المؤتمر : « المقررات التي نشرت في ختام مؤتمر القمة العربي الرابع لن ترضي ، على الغالب ، لا « المعتدلين » ولا «المتطرفين» ، أما بالنسبة « للمتطرفين » فنتائج المؤتمر كانت مخيبة للامال بشكل خاص . فقد كانوا يؤيدون أساليب الضغط لكي يرغموا « الدول الامبريالية » على سحب تأييدها لاسرائيل، الا ان القمة وجهت سياستها وجهة معاكسة . فهي لم تكتف برفض جميع العروض المتعلقة بالمقاطعة السياسية والاقتصادية والتجارية والمالية للولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية بل سمحت أيضا باعادة ضخ البترول الى الدول الغربية واختارت ، بالدرجة الاولى ، « الحل السياسي » للنزاع الاسرائيلي — العربي ، مستبعدة بذلك العنف للتوصل الى تخليص الاراضي المحتلة » .

وارضاء للمتطرفين — كما يقول رولو أيضا — أضيف المقطع الاخير الى البند الثالث من قرار المؤتمر حيث ذكر ان الدول العربية لن تقبل مفاوضة اسرائيل والاعتراف بها أو اقرار الصلح معها .

وقد أشار ممثل الرئيس بورقيبة الى ان مثل هذا القرار يفتقر الى حسن التدبير باعتبار انه يظهر العرب أمام الرأي العام العالمي دعاة حرب فيفسد الخطوات الدبلوماسية .

ويروي رولو ان أحد أعضاء الوفود (ولم يذكر اسمه) قال له : « ان الرأي العام العربي أصيب بصدمة قوية من جراء الهزيمة العربية وهو يتوقع منا أن نبدي ردة فعل قوية ، ولذا فان كل اعتدال من قبلنا يكون ذا صدى سيىء لديه » .

وهكذا عمل الزعماء العرب المجتمعون في الخرطوم على تهدئة الرأي العام العربي بالظهور أمامه بمظهر المتصلبين المتشددين !

وكما راعى المؤتمر في قراره الجناح المتصلب لم يكن معاكسا لرغبات المعتدلين . وهؤلاء يرون ان لا بد من فترة كافية لتهيئة أذهان الرأي العام العربي لفكرة التسوية السلمية والاعتراف لاسرائيل بحق

الوجود والعيش بعد أن ظلت الدول العربية ، طوال عشرين عاما ، تحقن شعوبها برفض هذا الوجود !

ويقول رولو (١) : « ان الضمانة الدولية لحدود اسرائيل ، وانهاء حالة الحرب مع هذه الدولة ، كما اقترح المارشال اليوغوسلافي تيتو ، تسمح للدول العربية بالعودة الى الوضع الطبيعي دون التعرض لمخاطر الاتهام بأنها قد فاوضت اسرائيل ! وبعد اجتياز هذه المرحلة يصبح ممكنا دائما دعوة « قمة » جديدة لفتح الطريق أمام سلام كامل » .

ويضيف : « ان بعض التعابير التي وردت في مقررات « القمة » تدل على الافكار الكامنة وراءها والتي تمتلىء بها أذهان دعاة التسوية السلمية . وثمة توصيتان اقترحهما السيد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ولكنهما رفضتا . الاولى تتعلق باستبعاد « التعايش السلمي مع اسرائيل » كما تستبعد السلم معها . والثانية تمنع جميع الدول العربية من اتخاذ خطوات منفردة لحل القضية الفلسطينية » .

وكانت « البرافدا » (٢) قد هاجمت « الوطنيين العرب المتطرفين » وأتهمتهم « بالاساءة الى قضيتهم الخاصة عن طريق خطبهم الهستيرية » واستعملت الصحيفة هذا التعبير : « من التجني على الحقيقة عدم الاعتراف بوجود بعض الميول المتطرفة نحو الوطنية الشوفينية في قلب العالم العربي ، فقد تسبب بعض الزعماء العرب الذين لا علاقة لهم بالحكومات العربية كثيرا من الضرر بالقائهم خطابات حمقاء » .

وواضح ان المقصود بهذا الكلام القاسي هو أحمد الشقيري وما اشتهر به من « خطابات حمقاء » ، كما هو واضح ان دعوة « البرافدا » الى الاعتدال متمشية مع السياسة السوفياتية التي قررها الكرملين بعد هزيمة العرب في حرب الايام الستة والتي تقضي بتشجيعهم على قبول

---

(١) المرجع السابق .

(٢) « البرافدا » - تاريخ ٢ - ٨ - ١٩٦٧ .

الحل السلمي وتجنب اشعال حرب جديدة قد تحرج الاتحاد السوفياتي حرجا جديدا .

فما الذي أسفر عنه مؤتمر « الخرطوم » بعد كل شيء ؟

قرار واحد عملي : استئناف ضخ البترول ، يوازيه تعهد من الحكومات المنتجة بتقديم مساعدة مالية كبيرة الى البلدان التي آذتها الحرب بشكل مباشر .

وعلى هامش المؤتمر تم الاتفاق على وضع حد لحرب اليمن وسحب القوات المصرية منها . وقد تم هذا الاتفاق بين الرئيس المصري والعاهل السعودي دون اشتراك اليمنيين أو أخذ رأيهم ، ولذا فقد لاقى الاتفاق ، كما كان متوقعا ، معارضة من اليمنيين الجمهوريين وفي مقدمتهم الرئيس السلال الذي كان صنيعة القاهرة ، وبادر خلفاء السلال الى الحصول على معونات روسية وصينية للتعويض عما فقدوه من العون المصري .

ومما لفت أنظار المراقبين السياسيين (١) ان « هذه الوثيقة (يعني قرار المؤتمر) كانت أكثر دلالة بصيغتها منها بمحتواها . فهي لم تتطرق الى ذكر تدمير الدولة اليهودية ولا الى كفاح الامبريالية أو الحرب الشعبية أو العمليات الانتقامية . أما الدولتان الانكلوسكسونيتان اللتان أتهمتا في حزيران بأنهما « الدافعتان الى العدوان » وانهما دعمتاه بطيرانهما مباشرة ، فلم يشر البيان اليهما مجرد اشارة ، وهكذا يصبح مفهوما لماذا صفق الشقيري الابواب وقاطعت سوريا المؤتمر وانتقد راديو الجزائر الزعماء العرب بعنف ! » .

ويضيف المراقبون (٢) : « وهذا التبدل الحاسم في اللهجة ما كان له أن يصبح ممكنا لولا انكفاء الرئيس ناصر الذي كان يعلن ، قبل سنة

---

(١) « لوموند » - العدد ٧٤٢٠ تاريخ ٣ - ٤ / ٩ / ١٩٦٧ .

(٢) المرجع السابق .

واحدة ، رفضه الجلوس على مائدة واحدة مع ممثلي القوى الرجعية المستعدين دائما لطعن النظم التقدمية في الظهر » •

وقد وضح التبدل الكبير في موقف مصر في المناقشات التي سبقت مؤتمر القمة ، أي في مؤتمر وزراء الخارجية العرب حيث « كان وفد ج• ع• م• يقف أغلب الاحيان الى جانب وفدي تونس والاردن » (١) •

وفي الاوساط الدولية لاقى مؤتمر الخرطوم « نجاحا باهرا وذلك لاعتداله وواقعيته مع انه لم يكن مرنا بالنسبة لاسرائيل » (٢) •

وفسر المراقبون السياسيون مقررات المؤتمر بأنها تعني « ان الزعماء العرب ، بأغلبيتهم الساحقة ، قرروا الانصراف الى الاشياء المهمة دون أن يتخلوا عن الهدف الطويل الاجل لحل القضية الفلسطينية • فقد قبل العرب ، باستثناء السوريين والفلسطينيين المتطرفين ، تحمل المسؤولية المشتركة للوساطة الاميركية ــ السوفياتية من أجل استرجاع ما كسبته اسرائيل وأصبح بامكانهم مواجهة المناورات المعقدة في هيئة الامم في الشهر المقبل بصورة جماعية » (٣) •

ومع ان مؤتمر الخرطوم قد انتهى بسرعة لسببين : أولهما ان عددا كبيرا من زعماء الدول العربية كانوا يواجهون مشكلات جديدة في داخل بلدانهم لا تسمح لهم بالتغيب عنها طويلا ، وهذا ما ينطبق بالدرجة الاولى على الرئيس عبد الناصر الذي توجب عليه ، قبل مغادرته القاهرة ، أن يتخذ تدابير احترازية ، كما ينطبق على الملك حسين الذي تعاني بلاده وضعا متعبا جدا • وثانيهما انه لم يكن أمام المؤتمرين كبير شيء يفعلونه

---

(١) مجلة « جون افريك » ـ العدد ٣٤٧ تاريخ ٣ ـ ٩ ١٩٦٧
(٢) جافين يونغ في « الاوبزرفر » البريطانية ـ العدد ٩١٩٠. تاريخ ٣ـ٩ـ٦٧
(٣) المرجع السابق .

في الظروف الدقيقة التي حاقت ببلدانهم ــ ومع كل ذلك لا يمكن القول ان المؤتمر قد فشل •

والاشياء التي حققها فعلا هي : أولا تقديم العون المالي للدول التي تضررت بالحرب مباشرة من قبل الدول المنتجة للبترول وهذا العون هو الذي مكن مصر والاردن من الصمود اقتصاديا بعد تعطيل الكثير من مرافقهما الحيوية في أثناء الحرب وبعدها • أما سوريا فلم تأخذ أي مساعدة ولم تطلب مثل ذلك لانها في الواقع لم تصب بضرر اقتصادي يذكر • وثانيا : نهاية سياسة المهاترات بعد أن توصلت مصر والسعودية الى الاتفاق حول اليمن • والشيء الثالث هو الظهور بمظهر الاعتدال أمام الرأي العام العالمي الامر الذي ساعد الدبلوماسية العربية كثيرا في مناقشات الامم المتحدة التي تلت المؤتمر •

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية نفسها فالمؤتمر لم يحقق أي غرض ولم يضع أي خطة لمواجهة واقع الاحتلال ، بل كأنه ترك كل ذلك الى مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة •

الفصل العاشر

الولايات المتحدة والحرب

تحت عنوان « الدبلوماسية الساخنة » نشرت مجلة « تايم » الاميركية الكبرى (عدد ٨٩ — ٢٤ تاريخ ١٦—٦—١٩٦٧) تحقيقا خطيرا كشفت فيه الكثير من أسرار الموقف الاميركي الرسمي في أزمة الشرق الاوسط والحرب العربية — الاسرائيلية . قالت المجلة :

آكب الرئيس جونسون في غرفة نومه خلال ساعات الفجر والصباح الباكر على قراءة البرقيات عن الحرب العربية — الاسرائيلية . فبعد أسبوعين بذل الرئيس أثناءهما كل جهد لمنع الحرب أصبح الخطر الاعظم أن تنجرف الولايات المتحدة وروسيا الى مجابهة مباشرة لا تريدها أي من الدولتين العظيمتين .

في الساعة الثامنة من صباح الاثنين رن هاتف الرئيس في غرفة نومه ليحمل أنباء مثيرة تنطوي على احتمالات خطيرة . فقد كان والت روستو مستشار الرئيس لشؤون الامن الوطني يخبر جونسون ان موسكو حركت « الخط التلفوني الساخن » . وهذا الخط الذي بدأ استعماله بتاريخ ٣٠ آب ١٩٦٣ لم ينقل طيلة السنوات المنصرمة الا التهاني بالاعياد والرسائل لاختبار صلاحيته للعمل كل ساعة . ولم يصدف قبل الآن أن استعمل للاتصال بين حكومتي أميركا وروسيا في حالة أزمة .

ان أحد طرفي هذا الخط ينتهي في البنتاغون حيث توجد آلة تيليتايب بالاحرف الروسية قدمتها موسكو ، كما توجد آلة تيليتايب أخرى في موسكو بالاحرف اللاتينية • ومن البنتاغون يقوم اتصال دائم مع الرئيس حيثما يوجد • وقد بدأت هذه الآلة صباح الاثنين تنقل رسالة الرئيس كوسيغين بسرعة ٦٦ كلمة في الدقيقة • وأسرع الرئيس جونسون الى مكتبه في البيت الابيض حيث وافاه وزير الدفاع روبرت مكنمارا ووزير الخارجية دين راسك ووالت روستو ، وأحضر على الفور ترجمان للغة الروسية يبقى حاضرا دائما لهذه الطوارىء ، وكانت تغطي أحد جدران المكتب خارطة كبيرة للشرق الاوسط •

وفي البنتاغون حلوا رموز رسالة كوسيغين ونقلوها باللغة الروسية الى البيت الابيض حيث ترجمت بسرعة الى الانكليزية ، وكانت نظرة سريعة على الترجمة الاولية كافية لتخبر جونسون ما يريد معرفته : لن تكون هناك مجابهة بين الدولتين العظيمتين •

قال كوسيغين ان روسيا لا تريد أن تتدخل في النزاع ، لكنها ستفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة •

وقد كتب جونسون ومساعدوه على الفور جوابا أكدوا فيه مباشرة لكوسيغين ان الولايات المتحدة لا تنوي أن تتدخل •

ورغم سيل من الضجيج الروسي ضد « المعتدين الاسرائيليين » في الايام التالية فان التفاهم الذي جرى صباح الاثنين بين الدولتين الكبيرتين بقي سائدا طوال الاسبوع ، وتعزز بتبادل ما لا يقل عن اثنتي عشرة رسالة بواسطة « الخط الساخن » ، وأكد ان نقطة مهمة هي انه مع ان الاسرائيليين والعرب استطاعوا أن يشتبكوا بحرب صغيرة ولكن حامية على أرضهم ، فان المفتاح لحرب كبيرة بقي في أيدي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي •

وقد تعرض جونسون بالتأكيد لانتقاد كثير بسبب ضبط النفس

الزائد • اذ يقول بعض المراقبين انه لو تحركت الولايات المتحدة قبل ثلاثة أسابيع لكسر الحصار الذي فرضته ج• ع• م• على العقبة ، لتراجع العرب ، وتطمنت اسرائيل ، وأمكن تجنب الحرب • لكن الرئيس كان قلقا لئلا يضطر هذا العمل السوفيات الى التدخل ، لذلك ألح على الاسرائيليين أن يتريثوا يومين ، ثم أسبوعين ، حتى يتوصل الى حل دبلوماسي • لكن الاسرائيليين شكوا في قدرتهم على الانتظار هذه المدة لوجود ٨٠،٠٠٠ جندي مصري على حدودهم ، بالاضافة الى تعبئة الجيوش العربية حولهم يحمسها تحليل موسكو في حين يغرق الدبلوماسيون بحوار لا نهاية له في الامم المتحدة •

لكنه لما بدأت الحرب سارعت واشنطن للتأكيد انها لا تنوي أن تتورط في القتال • وقد أكد هذا الموقف المتكلم باسم وزارة الخارجية روبرت ماكلوسكي حينما ردد باصرار لا لزوم له : « ان الولايات المتحدة حيادية في الفكر والكلام والعمل » ، مما أوحى ان الولايات المتحدة تستعد للتراجع عن تعهداتها لاسرائيل وخاصة تصريحها سنة ١٩٥٠ الذي التزم به أربع رؤساء للولايات المتحدة ويقضي بحماية السلامة الاقليمية لاسرائيل •

وقد أثار هذا التصريح زمجرة في الكونغرس وفي عدة مدن أميركية كبرى مما حمل دين راسك على تفسيره فأعلن : « ان أي استعمال لكلمة (حياد) لا يعني التعبير عن عدم الاهتمام • لكننا غير محاربين » •

نمور من ورق

ان أفضل ما كانت واشنطن تؤمله في البداية هو نصر اسرائيلي سريع يلغي أية حاجة لعمل أميركي مباشر • وقد استجابت اسرائيل لهذه الرغبة بأسرع مما كان أي انسان يستطيع أن يتنبأ • ففي اليوم الثاني من الحرب كان واضحا ان الجيوش العربية كانت تتداعى كالنمور الكرتونية•

وفي التفتيش عـن أعذار لتبرير الفشل الذريع عثر عبد الناصر على حجة شفافة مفتعلة . فادعت اذاعة القاهرة ان تدخلا جويا جسيما من الولايات المتحدة وبريطانيا ساعد على تدمير القوات العربية .

وقد ثار غضب دين راسك من هذه التهمة ، فاستعمل أشد لهجـة يمكن أن يستعملها دبلوماسي علنا ، حين قال : ان هذه الاتهامات كلهـا وبكاملها كاذبة .

ومع ذلك فان عددا لا بأس به من العرب وجدوا هذه المزاعم مقنعة لانهم يكرهون أن يعترفوا بأن اسرائيل تستطيع التغلب على الجيـوش العربية دون مساعدة . وفيما كانت الجماهير الغاضبة تهاجم سفـارات ومكاتب أميركا وبريطانيا في العواصم العربية ، دعمت القاهرة اتهاماتها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة (وقد سبق لها أن قطعت علاقاتها مع بريطانيا بسبب روديسيا في العام الماضي) . وتبعت القاهرة ست دول عربية هي : سوريا والجـزائر واليمن والعراق والسـودان وموريتانيا . وأنزل لبنـان درجة تمثيله الدبلوماسي من سفارة الى مفـوضية . وقطعت ست دول سيل النفط الى أميركا وبريطانيا هـي : العراق والكويت والجزائر والسعودية وليبيا والبحرين وقطر وسوريـا ولبنان . وأممت الجزائر شركات النفط الاميركية والبريطانية .

ادلـة العجـز ــ لكن المظاهرات والمقاطعة لم تستطع ان تغير نتـائج الحرب . فعقد الروس ، الذين أخافهم انهيار أصدقائهم السريع ، اجتماعا للمجلس السياسي في موسكو استمر طيلة الليل . وفي اليوم التالي عاد كوسيغين الى « الخط الساخن » ليخبر جونسون ان الروس أصبحـوا يقبلون اقتراح ايقاف النار دون قيد أو شرط . وكان السوفيات قـد جمدوا عمل مجلس الامن مدة ٣٦ ساعة باصرارهم على انسحاب الطرفين الى مواقعهم السابقة للحرب . وهكذا استطاع رئيس مجلس الامن في برهة دقائق ان يحصل على موافقة اجتماعية من مجلس الامن عـلى وقف

اطـلاق النـــار .

وكان ذلك برهانا دامغا ليس على فعالية الامم المتحدة ، بل عـلى عجزها اذا لم تتفق الدول الكبرى .

واشتغل « الخط الساخن » عدة مرات أخرى أثناء اسبوع الازمة ليؤكد تصميم الدولتين الكبيرتين على اطفاء الازمة . وقد استعمل هذا الخط المباشر في مناسبة خاصة عندما هوجمت سفينة المواصلات «ليبرتي» قرب شاطىء سيناء بالطوربيد والقذائف وسقط فيها ٣١ قتيلا و ٧٣ جريحا . فقد هبت لمساعدتها عشر طائرات من الاسطول السادس . وبادر الرئيس جونسون للاتصال بكوسيغين ليخبره ان الطائرات لم تذهب للاشتراك بالحرب بل لمساعدة سفينة مصابة .

وفي أثناء ارسال هذه المكالمة وصلت برقية من اسرائيل تقول ان قواتها هاجمت السفينة خطأ وتعتذر عن ذلك . فألحق جونسون هـذه البرقية بمكالمته لموسكو . واستلم مـن كوسيغين جوابا فوريا يشعر بالاطـلاع .

ودخل « خط ساخن » آخر قيد الاستعمال حين أعلن الجنـرال ديغول انه هو أيضا كان على اتصال شخصي بالسيد كوسيغين بواسطـة التلفون الاخضر . لكن ذلك لم يثر كثيرا من الاهتمام لان العمل الحقيقي كان دائرا بين واشنطن وموسكو .

احبـاط الامـال :

ان تبدل موقف موسكو بموضوع قرار ايقاف اطلاق النـار فـي الامم المتحدة أثار الى هبوط آمال الدول العربية . فاتفقت اسرائيـل والاردن فورا على قبول القرار . وفي اليوم الثاني سلم مندوب ج.ع.م. الى يوثـانت رسالة من ستين كلمة تعلن موافقة القاهرة على وقف اطلاق

النار • وتمنعت دمشق الى أن صبت اسرائيل هجومها على الاراضي المرتفعة شمالي بحيرة طبريا ثم قبلت بالقرار • وانتهت الحرب لما وافقت سوريا رسميا ، وهي آخر المتحاربين ، على قرار مجلس الامن •

ان تحقيق سلم يحتاج الى وقت أطول بكثير من مدة الحرب • فبعد سنوات من العداوة المخربة لاسرائيل قد يقرر العرب ان أفضل آمالهم للمستقبل تكمن في انشاء علاقات جوار بين أحفاد اسحق واسماعيل • لكن الارجح ا نالهزيمة الاخيرة ستدفعهم الى حماس جديد لاستعادة أرضهم المفقودة مؤكدين مرة أخرى ما قاله راديو الجزائر في الاسبوع الماضي « ان اللغة الوحيدة بين اسرائيل والعرب هي لغة الحديد والنار » •

ويستطيع الاسرائيليون من جهتهم أن يقوموا بجهد صحيح لحل مشكلة الميون والثلاثمائة ألف لاجيء فلسطيني الذين خسروا أراضيهم في معارك سابقة • لكن الاسرائيليين مشغولون بأمور أهم • ان هدفهم الاول كما قال وزير خارجيتهم ابا ايبان الاسبوع الماضي هو « قبول العرب بدولة اسرائيل » • ومن المرجح أن يطلبوا حرية المرور بالسويس وأن يصروا على الاحتفاظ ببعض الاراضي التي استولوا عليها في حربهم الصاعقة وخصوصا القدس القديمة ، والاراضي المرتفعة في غرب الاردن الممتدة من جنين الى بيت لحم والخليل وشرم الشيخ •

أميركا أولا :

ان فترة المساومة بين الولايات المتحدة والسوفيات قد تكون خطرة، كما قد تفسح المجال لفرصة حقيقية لتهدئة العرب ولوضع أساس سلم دائم • ان سمعة واشنطن وموسكو معا سيئة في الوقت الحاضر بين العرب • فعندما أطبقت القوات الاسرائيلية على السويس كان راديو

القاهرة يصيح مكررا : « ان العرب يحاربون أميركا أولا ، وأميركا ثانيا ، وأميركا ثالثا » • وهكذا تفتش واشنطن عن طريقة تعيد لها بعض النفوذ في العالم العربي الغزير النفط دون أن تضحي بمصالح اسرائيل •

أما الروس فان « استسلامهم الفاضح » ، كما قال راديو كوبا ، كلفهم خسارة كبرى في مكانتهم • وقد حاولوا ترميم ما أصابهم بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وبانذارها انهم سيساعدون العرب على « تسديد رد فعال » اذا لم تتخل اسرائيل عن الاراضي المحتلة • وكان ذلك بعد اجتماع ممثلي سبع دول شيوعية في موسكو • لكنه ليس من المحتمل أن يغفر العرب سريعا للسوفيات تقاعسهم عن نصرتهم •

أسرع حرب :

في غارات جرت قبيل الفجر دمرت الموجات الاولى من طيارات « ميراج — ٣ » الاسرائيلية أربع قواعد طيران في سيناء حيث حشد عبد الناصر جيوشه أثناء الشهر الماضي ضد اسرائيل • وفي هذه الغارات دمرت اسرائيل على الارض نحو ٢٠٠ طيارة مقاتلة مصرية غالبيتها « ميغ — ٢١ » • وفي الوقت ذاته داهمت النفاثات الاسرائيلية مطارات عربية في الاردن وسوريا والعراق • وانقضت من البحر لتضرب مطارات مصرية داخل مصر • واستمرت هذه الغارات حتى تحول ٢٥ مطارا عربيا حيويا الى ركام • وبلغت دقة القصف الجوي ان الطيارين الاسرائيليين بدوا وكأنهم لا يضيعون قذيفة أو طلقة • وقد أظهرت الصور التي التقطوها طائرة بعد أخرى مهشمة او محترقة دون احداث فجوات أو حفر في أرض المطار •

وبنهاية اليوم اول من القتال خسرت خمس دول عربية نحو ٤٠٠ طائرة عسكرية : خسرت مصر وحدها ٣٠٠ ، وسوريا ٦٠ ، والاردن ٣٥ ،

والعراق ١٥ ، ولبنان واحدة على الاقـــل • وكانت خســـارة الطيران الاسرائيلي المؤلف من ٤٠٠ مقاتلة ١٩ طائرة •

ان تدمير هذا العدد الكبير من الطائرات العربية على الارض يوحي بأن اسرائيل هي التي ضربت الضربة الاولى • وقد قال ذلك العرب الذين حققوا بهذه الاخبار • ووافقت موسكو على ذلك بغضب • لكن اسرائيل ادعت ان نفاثاتها انطلقت بعدما أظهر الرادار عدة موجات مـــن الطيارات العربية متجهة نحو اسرائيل • وفي الوقت ذاته وصلت لاسرائيل أخبار ان قوة مصرية مدرعة كبيرة خرجت من العريش متجهـــة نحـــو الحدود الاسرائيليـــة •

وسيقضي المؤرخون أياما طويلة يجادلون فيمن أطلق الطلقةالاولى ، لكن انتصار اسرائيل الساحق جعـــل المؤال أكاديميا لدرجة كبيرة • فمنذ انشاء اسرائيل قبل ١٩ عاما بـــدأ العرب متشوقين لليوم الـــذي يدمرونها به • وفي الشهر الماضي نجح عبد الناصر للمرة الاولى فـــي تجميع حلف للجيوش العربية المحيطة باسرائيل ، ونقل ٨٠ ألف جنـــدي مصري ومدرعاتهم للسويس ، وأخرج قوات الطوارىء الدولية التـــي كانت تفصل بين المتخاصمين • ولما أغلق خليج العقبة أصبح لا مفـــر مـــن الحـــرب •

بعد أربع ساعات من الهجوم الجوي ، أذاعت القاهرة نبأ الغـــارة وابتدأت تذيع الموسيقى العسكرية والخطابات الحماسية • قالت : « ان شعبنا بقي ينتظر هذه المعركة عشرين سنة وسنعلم اسرائيل درس الموت• ان الجيوش العربية على موعد في تل أبيب » •

وامتلأت بلاغات اليوم الاول بأخبار انتصارات كاذبة ، منها الادعاء بأن مصر أسقطت ٨٦ طائرة اسرائيلية • وساد الحماس المؤلف من النشوة والتهجم باقي العواصم العربية •

عرف الاسرائيليون بالحرب بعد ثلاثين دقيقة فقط من صفارةالانذار

الاولى حين قطع الراديو اذاعته ليعلن « ان قتالا شديدا بدأ ضد مدرعات وطيارات مصرية تحركت ضد اسرائيل » •

كان ثلاثة أرباع الاحتياطي الاسرائيلي معبأ لما بدأت الحرب • وبدأ الراديو يعلن الاسماء الرمزية للوحدات الباقية • وبدأ أفراد هذهالوحدات يلتحقون بالمراكز المعينة لهم سابقا تنقلهم وسائل نقل احتياطية أيضـــا كالتاكسيات والكميونات الخصوصية وباصات الركاب المعبأة للجهـــد الحربي كرجال اسرائيل ونسائها حسب خطة رائعة التنظيم ساعد عـــلى تحقيقها الجنرال دايان ما بين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ لما كان رئيســـا للاركان العامة • وكانت المدرعات الاسرائيلية واقفة في أماكن معينة وفي كل منها جندي واحد من الجيش الاسرائيلي النظامي الذي يعد خمسين ألفا انضم اليه اثنان أو ثلاثة من الاحتياط ليكملوا طاقم المدرعات • وقد عينت القيادة لكل طاقم جزءا من أرض المعركة ، وأماكن اجتماع ، والاهداف • وكانت الاستخبارات الاسرائيلية تعرف أماكن الوحدات العربية بدقة • وقـــد نجحت عملية التعبئة لدرجة ان اسرائيل استطاعت أن تقذف في المعركـــة ٢٣٥ ألف جندي بمدة ٤٨ ساعة •

محاصرة البقـــايا

ان حرب الصحراء الحديثة هي حرب مدرعات يساعدها المشـــاة والطيران • في بداية المعركة كان لـــدى كل من اسرائيل ومصر ١٠٠٠ دبابة • معظم مصفحات اسرائيل كانت اميركية وبريطانية ، أما مصفحات مصر فكانت بأكثريتها روسية • وقد استعد كل فريق للسيطرة عـــلى صحراء سيناء •

هناك ، كما في الجو ، ارتكـــز التكتيك الاسرائيلي على المفاجأة والسرعة • وكان التكتيك نفسه الذي استعمله دايان في معركة سينـــاء

سنة ١٩٥٦ حينما ركض المصريون حفاة نحو بلادهم بظرف مائة ساعة . وقد كتب دايان في كتابه « مذكرات حملة سيناء » : « لن نعطي العدو فرصة لتنظيم قواته بعد الهجوم الاول ، ولن يكون هناك توقف في القتال . سننظم قوات خاصة لكل هدف رئيسي وسيكون واجب كل وحدة أن تحقق الهدف في معركة واحدة مستمرة ، نفس واحد طويل للقتال والزحف ، ثم القتال والزحف حتى يتحقق الهدف » .

كانت أغراض اسرائيل الرئيسية في سيناء في الاسبوع الماضي نفس أغراض سنة ١٩٥٦ ، كسر شوكة السلاح العربي المحتشد على حدودها ، ثم الاسراع جنوبا للاستيلاء على شرم الشيخ في المرتفعات التي تشرف على مضيق تيران ، ثم الزحف غربا الى حافة قناة السويس لاحكام الفخ حول القوات المصرية الباقية . ومن المؤكد انه لم يتوقع أحد أن يسير القتال بهذه السرعة . فالشائع ان عبد الناصر تمكن بمساعدة السوفيات من تحسين جيشه كثيرا . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت لديه « مذكرات حملة سيناء » حيث شرح دايان بتفصيل دقيق كل عناصر التكتيك والستراتيجية الاسرائيلية ، ثم قدم نقدا للاخطاء التي قامت بها القوات الاسرائيلية والمصرية . ان عبد الناصر لم يقرأ هذه « المذكرات » كما انه لم يقرأ سانتايان الذي لاحظ « ان الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم أن يعيدوا أخطاءه » . وهكذا أعاد الاسرائيليون تماما ما عملوه سنة ١٩٥٦ مع الفارق انه استغرق منهم نصف الوقت ، فسلكوا الطرقات نفسها يدمرون ويحتلون المواقع المصرية ذاتها .

استولى الاسرائيليون او دمروا نحو ٢٠٠ مصفحة مصرية في مدة يومين وتوغلوا في سيناء . اتجهت فرقة منهم شمالا واحتلت قطاع غزة حيث يرابط جيش التحرير الفلسطيني ، وساقت الكثيرين منهم الى معسكرات للاسرى داخل النقب .

جبهة الاردن :

في الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم المعركة الاول فتح الاردن جبهة ثانية استجابة لنداء من عبد الناصر . وانهمرت قذائف المدفعية من مرتفعات القدس العربية لتمطر القسم الاسرائيلي من المدينة . وأصابت المدافع الطويلة المدى ضواحي تل ابيب عبر وسط اسرائيل الضيق ، كما فتحت المدافع السورية نيرانها على المدن الاسرائيلية الشمالية من التلال المطلة على بحيرة طبريا .

وقد أصاب القدس عاصمة اسرائيل أكبر ضرر أنزله العرب باليهود في هذه الحرب . وأمضى معظم سكان المدينة اليومين التاليين في الملاجىء تحت قصف متواصل ، وأصيب منهم ٥٠٠ شخص بين قتيل وجريح . ولم يسلم من القصف أي جزء من المدينة . فقد أصابت القنابل بيت رئيس الوزراء ، وسقطت في حديقة فندق الملك داود ، وتكسر الزجاج في المتحف ، وأصيب الكنيس في مستشفى هداسا .

وحينما حل الظلام على التلال اليهودية تحرك الاسرائيليون للهجوم . فانقضت الطائرات في هجوم ليلي أضاء السماء باللهب . وأحاطت بالمدينة القديمة قافلتان من المدرعات . فتحت القافلة الشمالية طريقها الى قمة جبل سكوبس ، وانتقلت القافلة الجنوبية من تلة الى أخرى ، رغم مقاومة شديدة من الجيش الاردني ، حتى أصبحت المدينة بكاملها مطوقة .

وفي الليلة الثانية حضر المغاوير الاسرائيليون هجوما في الفجر على المدينة القديمة نفسها . لكن معظم القوات الاردنية المدافعة عنها كانت قد انسحبت تاركة وراءها مقاومين من القناصة . وفي الساعة العاشرة قبل الظهر وقف المنتصرون أمام الاحجار الضخمة لحائط المبكى وهو الاثر الوحيد الباقي من « الهيكل الثاني » الذي بقي طيلة ١٨٩٧ سنة

رمز آمال اليهود القومية • ورغم الانتصارات الرنانة الاكبر أهمية في سيناء فان احتلال القدس القديمة أشاع الفرح في قلوب الاسرائيليين أكثر من أي شيء آخر • وبعد ذلك توالى سقوط المدن أمام الاسرائيليين فسقطت أريحا والخليل وبيت لحم حتى استولوا على كل مملكة الحسين غرب الاردن والبحر الميت • وبخلاف اخوانهم في سيناء ، حارب جنود الحسين بعناد وبانضباط • لكنه ، كما في سيناء ، سببت السيطرة الاسرائيلية التامة في الجو اندحار العرب النهائي •

واستمرت النفاثات الاسرائيلية طوال اليوم تنقض بالقذائف والنابالم على جيوب من المقاومة الاردنية العنيدة • ولما كان الملك حسين جاهلا لمدى خسارة مصر الجوية فانه لم يصدق بأن الطيران الاسرائيلي وحده يستطيع أن يملأ سماء الجبهة بهذه الاعداد الضخمة من الطيارات ، لذلك فانه دعم لبرهة قصيرة ادعاء عبد الناصر بأن الطيارات الاميركية اشتركت في الهجوم الاسرائيلي •

لكن عبد الناصر كان يعرف بالتأكيد حقيقة الامر • الا انه كان يفتش يائسا عن عذر يبرر به النكبة العربية ، ومن المحتمل انه أمل بأن تأتي موسكو لمساعدته اذا استطاع توريط الولايات المتحدة وبريطانيا • غير انه بالحقيقة لم تكن لديه أية فرصة أمل لان السفن الروسية التي كانت تراقب تحركات الولايات المتحدة الجوية في البحر المتوسط كانت تعرف من مراقبة رادارها ان ما من طيارة أميركية او انكليزية اشتركت في القتال • وقد ذهب السفير السوفياتي في القاهرة الى عبد الناصر وقال له ذلك دون موارية • ولما لم يكن لدى عبد الناصر ما يخسره فقد ثابر على ترويج الزعم الكبير الذي سبب قطع العلاقات الدبلوماسية بين سبع دول عربية وأميركية ، وقيام مظاهرات ضد السفارات الاميركية والبريطانية في كل أنحاء العالم العربي •

أما كيف استطاع عبد الناصر أن يضغط على الحسين ليؤيد رواية

الطيران المزعومة فسيبقى أمرا يحير المؤرخين • وقد سجلت اسرائيل مخابرة بالراديو بين عبد الناصر وحسين اذاعتها بعد يومين • وكانت الاصوات هي أصوات عبد الناصر والملك حسين دون شك ولم يهتم أي منهما بنفيها • وجرت المخابرة كما يلي :

عبدالناصر : هالو • بنقول أميركا وانكلترا أو أميركا وحدها ؟

حسين : أميركا وانكلترا •

عبدالناصر : هل عند انكلترا حاملات طائرات ؟

حسين : (الجواب غير مفهوم) •

عبدالناصر : أنا بعمل بيان ، وانت بتعمل بيان ، وبنقول للسوريين يعملوا بيان بأن الاميركان والانكليز بيهاجمونا من حاملات الطيارات •

بعد ذلك اعترف الملك حسين بأن « المظلة » الكثيفة فوق الاردن كانت اسرائيلية ، لكن عبد الناصر تمسك بروايته مصرا على ان ثلاثة أضعاف قوة الطيران الاسرائيلي هاجمت القوات العربية •

بنهاية يوم الاربعاء ، اليوم الثالث للحرب ، كانت اسرائيل بكاملها مفعمة بشعور الانتصار • ولخص الموضوع الجنرال اسحق رابين رئيس أركان الحرب فقال : « لقد دمرنا الجيش المصري تدميرا شبه كامل ، ووجهنا ضربة قاضية للجيش الاردني ، واستولينا على معظم المواقع ذات القيمة العسكرية في سيناء وفي ضفة الاردن الغربية ، ودمرنا تقريبا كامل قوات الطيران لاربع دول » •

واستعد المظليون الاسرائيليون للهجوم من الجو على شرم الشيخ عندما علموا ان الاسطول الاسرائيلي سبقهم وان المصريين هربوا ، فنزل المظليون كالسياح من طياراتهم التي حطت على أرض المطار المصري دون مقاومة •

وفي اليوم الثاني بينما كان الاسرائيليون يستولون على الضفة

الشرقية لقنال السويس ، قبل الاردن قرار مجلس الامن بايقاف النار الذي كانت موسكو تسعى جاهدة مدة ثلاثة أيام لاصداره لتحمي العرب من هزيمة كاملة . وقد حارب المصريون معركة مدرعات أخيرة في السويس في محاولة عصبية بقصد فتح منفذ لتراجع ما تبقى من ٨٠ ألف جندي مصري في سيناء ، ثم قبلوا هم أيضا بايقاف القتال ، وتبعتهم سوريا بعد ساعات قليلة .

لكنه ما كان لسوريا أن تنجو بمثل هذه السهولة . فقد وجهت اسرائيل كل غضبها نحو الحكومة التي ربما كانت السبب الرئيسي في خلق هذه الازمة بتشجيعها الفدائيين وبتحريضها عبد الناصر على الحرب. وقد اتهم كل فريق الفريق الآخر بأنه خالف قرار وقف اطلاق النار . ورغم طبيعة الارض المناسبة للسوريين فقد طردهم الاسرائيليون من مرتفعات الجليل ومدوا احتلالهم مسافة ١٥ ميلا من الحدود وشقت المدرعات والطيارات الاسرائيلية طريقها الى ضواحي الشام .

استقبلت القاهرة نبأ وقف القتال بصمت ووجوم . واحتشدت الشرطة في المراكز التي تتجمع فيها عادة المظاهرات ، لكنه لم يكن في المدينة من يرغب بالتظاهر . وأسرع البوليس ينزل من الشوارع الفارغة الشعارات واللافتات التي كانت تحمس الشعب للقتال طيلة الشهر المنصرم .

أما في تل ابيب فكان عالم مختلف . ارتفعت فيها الاعلام والزينات على البيوت والسيارات وأعمدة الشوارع ، وامتلأت الشواطىء بالسابحين . وأصبحت بوابة مندلبوم التي كانت توصل بين القدس الاسرائيلية والقدس العربية مجرد شارع كباقي الشوارع . واجتمع مجلس بلدية القدس وقرر تخصيص خمسين مليون دولار لاعادة بناء « مدينة القدس الخالدة » .

التوسع الاقليمي

لقد أكد اشكول في بداية القتال انه ليس لبلاده رغبة في التوسع الاقليمي . لكن ضخامة انتصار اسرائيل العسكري بدأ يغير من ذلك القرار . وقد قال دايان حين احتلال القدس القديمة : « لقد رجعنا الى قدس أقداسنا ولن نبارحه مرة أخرى » . ولم يكن بحاجة الى الاضافة بأنه ليس من المحتمل أن تترك اسرائيل شرم الشيخ لتعود الى أيدي العرب وتتعرض الى حصار جديد لخليج العقبة . وكان واضحا أيضا للجميع بأن الاستيلاء على مرتفعات الجليل نهائيا واقصاء السوريين عنها يزيل تهديد العرب المستمر لمصادر المياه الاسرائيلية من نهر الاردن . كما ان التمسك بضفة السويس الشرقية يضمن حرية الملاحة الاسرائيلية في القنال وهو ما منعه عبد الناصر منذ ١٩٥٦ .

في حماس النصر الذي أدهش دايان وضباطه (قال رئيس الاركان رابين : ظننت ان المعركة تستغرق يوما أو يومين أطول) ظهر واضحا ان الاسرائيليين لا يعرفون بعد ما سيفعلون بمكاسبهم . وبالتأكيد لم يتسع لهم الوقت ليحصوا ما كلفه انتصارهم ، وما كلفته هزيمة العرب . ان أرقام الاصابات لا تزال جزئية ، لكن بضعة أيام من حرب الصحراء قد تكون سببت مقتل عدد من الجنود يفوق ما يسقط في مدة سنة كاملة من القتال في فيتنام . وسيحتاج المؤرخون وقتا طويلا ليحصوا اثر الحرب في المعنويات العربية ، وفي خسارة المكانة التي حلت بالاتحاد السوفياتي وهو يشاهد مغامرته الثمينة في الشرق الاوسط يمرغها التقدم الاسرائيلي في التراب دون أن يستطيع عمل شيء . وكان من المكاسب الاسرائيلية الثمينة عدة صواريخ (سام) سوفياتية .

ان ما يبدو مؤكدا الان ، هو ان اسرائيل في الوقت الحاضر على الاقل ، هي سيدة الشرق الاوسط المطلقة . فهي غير مضطرة لقبول

الاوامر من أحد ، وتستطيع أن تملي شروطها ، في حالة الفراغ الناتجة عن امتناع الدول الكبيرة عن العمل ، وعن ميوعة الامم المتحدة ، وعن العجز العربي •

كيف استطاعت اسرائيل أن تنتصر هذا الانتصار الكبير بهذه السرعة ؟ ان كثيرا من عناصر الجواب تكمن في فقدان التخطيط ، والتنسيق ، ووسائل الاتصال العربية لدرجة لا يمكن تصديقها •

فرغم هزيمتهم السريعة سنة ١٩٥٦ ، بدا ان العرب كانوا ينتظرون هذه المرة حربا يسيرة طويلة تستنزف موارد اسرائيل • ومع ان سربين من طيارات « ميغ — ٢١ » الجزائرية أسرعت للنجدة ، فقد وصلت متأخرة ٢٤ ساعة لان القادة المصريين لم يعينوا لها القاعدة الجوية التي يجب أن تتجه اليها • وقد وصلت الى القاهرة خمس طيارات تحمل جنودا مغاربة ، لكن خمس طيارات أخرى بقيت مجمدة في ليبيا لان مصر لم تمنحها اذنا بدخول المجال الجوي المصري !

العمليات العسكرية

مع ان تدمير الطيران العربي لعب الدور الاكبر في المعركة ، فان العمليات البرية لم تكن مدعاة فخر للعرب • فسلك الضباط والتدريب الروسي كان نكبة • كان أقدر على حرب الكلام من حرب السلاح • ومن بين جميع القوات العربية حارب الاردنيون وحدهم بكفاءة ، ودفعوا ثمن ذلك ما عبر عنه الملك حسين بخسائر جسيمة وما يقدر بنحو خمسة عشر ألف قتيل • ولم يطلق لبنان طلقة واحدة اذ اتخذ موقف الدفاع • ولم تتحرك القوات السورية تحركات ذات قيمة لرفع الضغط عن الاردن ومصر رغم ضجيج الدعاية السورية • وقد أسقطت اسرائيل خمسين طائرة عربية في معارك جوية بينما خسرت هي ثلاث طائرات فقط •

وكانت وسائل الاتصال والمخابرة للجيوش العربية في الميدان سيئة لدرجة ان مصر اضطرت منذ بداية المعركة الى مخابرة جنودها في سيناء بواسطة راديو القاهرة ، وفقد القواد العرب الاتصال المباشر بوحدات كاملة من الجيوش المشتركة في المعركة •

على ان الصفات العسكرية الاسرائيلية المتمثلة بتكتيك وتوقيت ممتازين ، بمعرفة دقيقة للفنون الحربية ، هي التي حولت الانكسار العربي في نهاية الامر الى هزيمة كلاسيكية ستدرس باعجاب في الكليات الحربية في مختلف أرجاء العالم • ويكمن وراء هذه الصفات الملموسة تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد، وتصميمهم الاكيد على تأمين بقاء اسرائيل كاملة • وقد عبر عن ذلك الجنرال موشي دايان عندما قال : « كل واحد منا حارب لاجل شيء هو مزيج من الحب والايمان والوطن • وكنا نشعر اننا نقاتل لمنع سقوط (الهيكل الثالث) » •

الجنرال رابين يحدد
خسائر الطيران العربي (١)

أدلى الجنرال اسحق رابين ، رئيس الاركان ، بالتصريح التالي في الايام الاولى للحرب :

« لقد نفذت القوات الاسرائيلية في القطاع الشمالي من سيناء واستولت على رفح والعريش ، وتتقدم نحو أبو عجيلة • واستولى جزء آخر على خان يونس ودير البلح ويحارب في ضواحي غزة •

أما في القطاع الاوسط فقد استولت وحدات اسرائيلية على حاج الحفير وقاعدة ترامول واخترقت دفاع أم قطيف •

وفي القطاع الجنوبي اخترقت قواتنا المراكز الامامية في الكونتيلا

(١) مجلة « نوفوليست دي رون » تاريخ ٦ — ٦ — ١٩٦٧ •

وأخذنا عددا كبيرا من الاسرى وكميات ضخمة من الاسلحة والمعدات بما فيها الدبابات والمدافع . وقد خسر الجيش المصري خسارات جسيمة وكانت خسارتنا خفيفة .

وفي الجبهة الاردنية تقوم قواتنا حاليا بتطويق جنين ، واستولت على عدد من القرى والمراكز العسكرية في منطقة القدس .

ولقد ألحق الطيران الاسرائيلي ضربة شديدة بالقوات المصرية والاردنية والعراقية . فقد حطم ٣٧٤ طيارة مؤكدة و ٣٥ طيارة محتملة . ولطيراننا الان التفوق التام في المنطقة بكاملها » .

دور اميركا (١)

أصبح الان واضحا ان حكومة جونسون سمحت لاشهر حاسمة وخطرة أن تمر خلال الخريف والشتاء الماضيين ، دون أن تصغي لاصوات أجراس الانذار التي قرعت لتنبهها الىخطورة الوضع في الشرقالاوسط .

وبالاضافة الى ذلك سمحت هذه الحكومة لنفسها أن تبقي مركز مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط فارغا من ١٩ تشرين الاول عندما استقالريموند هير ، الى ٥ نيسان عندما جرى استبداله بلوكيوس ده باتل الذي يتمتع باحترام كبير .

وخلال هذه الفترة بالذات — أي فترة فراغ المنصب — وصلت انذارات سرية بالغة الخطورة الى وزير الخارجية دين راسك من مصادر وثيقة الاطلاع وغير دبلوماسية ذات اتصال وثيق بالحكومة الاسرائيلية.

وقد أشارت هذه التحذيرات بشكل خاص الى ازدياد الصداقة بين مصر والاتحاد السوفياتي ومشاورات البلدين المستمرة في القاهرة . كما

(١) رولاند ايفانز وروبيرت نوفاك — « هيرالد تريبيون » الدولية (باريس) تاريخ ٦ — ٦ — ١٩٦٧ .

انها تحدثت عن تغير ملحوظ في لهجة الرئيس جمال عبد الناصر في أعقاب القرار الذي اتخذه مجلس الامن الدولي في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، والذي اعتبره عبد الناصر صفعة علنية لاسرائيل . ومنذ ذلك الحين ازدادت مناورات عبد الناصر .

ولكن وزارة الخارجية ، المشغولة كليا بفيتنام ، تصرفت تصرف النعام راجية أن يزول التوتر مع الايام ويتأكد السلام .

وفي ١١ شباط ١٩٦٧ وجه وزير الخارجية دين راسك كتابا الى جاكوب جافيتش ، الذي تعطيه اتصالاته مع الجالية الاميركية اليهودية ، مقدرة خاصة على التكهن بأحداث الشرق الاوسط ، قال فيها :

انني لم ألاحظ أي تبدل في وضع كل من الحكومة البريطانية أو الفرنسية يمكن أن يلقي أي شك على تمسكها بهذه المبادىء (أي المبادىء الواردة في البيان الثلاثي الاميركي — البريطاني — الفرنسي القاضي بضمان الدول الثلاث للاوضاع الراهنة في الشرق الاوسط) .

ويبدو ان راسك لم يكن مدركا ان الحكومة الفرنسية كانت قد تخلت عن البيان الثلاثي لعام ١٩٥٠ ، كما فعلت الان ، وبذلك مزقت صرح الوحدة العربية في الشرق الاوسط . وحتى لو كان راسك يشك بما كان يشك به جافيتش — وهو ان التصريح الثلاثي كان في هذا الوقت قد أصبح تصريحا بدون معنى أو قيمة — فانه لم يكن مستعدا للاعتراف بذلك لسبب بسيط واحد هو انه لم يكن يملك حلا للمشكلة .

والواقع ان عجز وزارة الخارجية الاميركية عن مواجهة الابعاد الحقيقية لازمة الشرق الاوسط يعود الى فترة أبعد من الخريف الماضي . فخلال عهد الرئيس الراحل جون كنيدي ، طلب البيت الابيض من وزارة الخارجية أن تعد خططا طارئة ، لمواجهة أي أزمة قد تقع في الشرق الاوسط . ولكن هذه الخطط لم تعد .

وفي الوقت نفسه ، وفي عهد جونسون ، يشكو البيت الابيض من

عدم وجود موظف على مستوى عال في شؤون الشرق الاوسط ، يعمل بمثابة سفير غير رسمي بين الرئيس والجالية اليهودية الاميركية •

فعندما ترك ماير فيلدمان البيت الابيض في شهر اذار من عام ١٩٦٥ ، ظلت وظيفته الهامة التي كان يشغلها من وراء ستار شاغرة • وقد ورث الوظيفة والت روستو مستشار البيت الابيض لشؤون الامن القومي الذي يقال بأنه عيون الرئيس وآذانه في حرب فيتنام • ولكن روستو كان مشغولا جدا بحرب فيتنام لكي يتفرغ للعمل كمستشار موثوق به للرئيس في شؤون الشرق الاوسط •

ويعود فشل الحكومة الاميركية في توقع الازمة الراهنة الى سوء تقدير أساسي ، وبصورة عامة كان سوء التقدير هذا مسؤولا عن اعتبار مصر وسوريا من دول العالم الثالث ، أي العالم غير المنحاز ، غير المرتبط بواشنطن أو بموسكو • ولكن الواقع ان تكديس الاسلحة السوفياتية في مصر وسوريا وعطف موسكو على هذين البلدين ، جعلهما يتجهان للارتماء في أحضان موسكو •

ولقد كانت هذه الامور كلها في فكر السناتور جافيتش عندما كتب الى راسك في المرة الاولى شاكيا من عدم قيام وزارة الخارجية بأي عمل• وقد تجاهل راسك رسالة جافيتش الاولى التي أرسلت في ٢٦ تشرين الثاني • ولكن جافيتش أكد رأيه في رسالة ثانية مؤرخة في ٦ حزيران مناشدا الولايات المتحدة الدعوة الى مؤتمر الدول الكبرى « قبل أن نواجه مجابهة عسكرية في الشرق الاوسط » •

وردا على هذه الرسالة قال راسك انه لا يرى تبديلا في موقف دول التصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠ • أما الان فقد اتضح انه لم يعد بالامكان تلافي المجابهة التي أنذر بها جافيتش وغيره من خبراء الشرق الاوسط خلال الشهور الطويلة التي كانت واشنطن تضع خلالها رأسها في الرمال •

الولايات المتحدة تدرس خطاب كوسيغين (١)

يدرس موظفو وزارة الخارجية ما يبدو انه اشارة من رئيس الوزارة كوسيغين بأن الاتحاد السوفياتي قد يكون مهتما في اتخاذ خطوات لتحديد تسابق على التسلح في الشرق الاوسط •

وقد وردت هذه الاشارة في خطاب السيد كوسيغين أمام الهيئة العامة للامم المتحدة عندما ذكر ان تأثير التسلح في منطقة ما يعمل على تحويل الموارد الوطنية اللازمة للانماء الاقتصادي •

ان تصريح السيد كوسيغين يشابه في بعض الوجوه الكلمات التي استعملها الرئيس جونسون عندما تأسف على ضياع الموارد وعدم جدوى تسابق التسلح في الشرق الاوسط • لكنه بينما دعا الرئيس جونسون بالتحديد الى ايقاف سباق التسلح ، فان السيد كوسيغين كان أكثر غموضا لدرجة كبيرة •

وقد لام الرئيس السوفياتي عمليات التسلح « التي تعني ان الاموال المخصصة للانماء الاقتصادي ورفع مستوى معيشة الشعوب ، توجه بصورة متزايدة لسباق التسلح • ان هؤلاء الذين يحرصون على السلام لا يستطيعون ولا يجب أن يسمحوا للاحداث باتخاذ هذا المنحى » •

ويعتبر المسؤولون في وزارة الخارجية الاميركية هذا المقطع مشجعا أكثر من مقاطع أخرى في خطاب متحيز يناصر الموقف العربي ضد اسرائيل •

ومما أثار اهتمام المسؤولين الاميركيين كون هذا التصريح اشارة الى تبديل في موقف الاتحاد السوفياتي بالنسبة لتحديد التسلح في الشرق الاوسط • فقد كان السوفيات مصدرا رئيسيا لسباق التسلح ،

(١) « نيويورك تايمس » – ١٩ – ٦ – ١٩٦٧ •

اذ قدموا أسلحة قيمتها بليونين من الدولارات لمصر وسوريا والعـراق والجزائـــر ٠

وقد عرضت الولايات المتحدة تكرارا في السنوات الاخيرة بصورة غير رسمية احتمال الاتفاق على تحديد شحنات الاسلحـة الى المنطقة ، وكانت تقابل دائما برد سلبي من السوفيات ٠

وبالنظر الى رغبة الاتحاد السوفياتي الواضحـة لاستعادة مركزه السياسي في العالم العربي ، فان الرسميين فـي الولايات المتحدة لا يتوقعون تحركا سوفياتيا سريعا نحو تحديد التسلح ٠ والمتوقع أن يستعمل الاتحاد السوفياتي التهديد باعادة تسليح الجانب العربي كأحد وسائل الضغط لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية ٠

أما من ناحية تحقيق تسوية في المدى البعيـد فقد بدا لمسؤولي الولايات المتحدة ان السيد كوسيغين قد فتح بابا على الاقل لمفاوضات حول تحديد شحن الاسلحة ٠ ان امتحانا لموقف السوفيات في المستقبل يكمن في الدرجة التي يذهب اليها في اعادة تسليح القوات العربية ٠

الفصل الحادي عشر

تحليلات شاملة للموقف

بينما كان ريمون كارتييه ، رئيس تحرير مجلـة « باري ماتش »(١) الفرنسية الكبرى ، يتابع تطورات الموقف السياسي في الامم المتحـدة بنيويورك طرح أسئلة خمسة يتوقف على أجوبتها مصير العالم :

١ ـ هل يمكن للنزاع المسلح أن ينشب من جديد بين العرب والاسرائيليين ؟

زجت في المعركة ضد اسرائيل ثلاثة جيوش عربية ، واحد منها دمر تدميرا عمليا ، والثانـي خسر أفضل عناصره ، أما الثالث فقد تكبد خسائر فادحة ٠

الجيش الذي دمر هو الاردني ٠ وهـذا الجيش منبثق عن الفيلق العربي الذي أحدثه الانكليز وقاموا بنفقاته ليكون أداة لتحقيق نفوذهم في الشرق الاوسط ٠ وكان الفيلق العربي ، تحت قيـادة جون باغوت كلوب ، المعروف باسم كلوب باشا ، يتألف من أربعة ألوية يعادل الواحد منها كتيبة صغيرة آلية ٠ وقد كان هذا الجيش ، عام ١٩٤٨ ، القـوة العربية الوحيدة التي صمدت في قتال اليهود ٠ وبفضله تمكـن الاردن من احتـلال القدس القديمة ووصل الى السامرة وأقام على مرمى المدفع من تل ابيب ٠

(١) « باري ماتش » ـ ١٥ حزيران ١٩٦٧ ٠

وتضخم الفيلق العربي حتى بلغ تسعة ألوية ، غير ان ابعاد الضباط والخبراء البريطانيين منه أفقده الكثير من قيمته . ولقد دحر خلال ٢٤ ساعة .

خمسة من الالوية التسعة أبيدت . الاربعة الباقية تخلت عن أعتدتها لتفر عبر الاردن . لقد انتهت المملكة الاردنية كقوة عسكرية .

أما مصر فكانت مسلحة تسليحا قويا وثقيلا . كانت تملك ١٤٠٠ دبابة منها ٥٥٠ من طراز « ت – ٥٤ » و « ت – ٥٥ » تنتمي الى أحدث جيل من المدرعات السوفياتية . وكان سلاحها الجوي المزود بـ ٥٥٠ طائرة يملك ٣٨٥ مقاتلة منها ١٣٠ « ميغ – ٢١ » من أحدث طراز . أما اسرائيل فلم تكن تملك في وجه جميع أعدائها ، سوى ٨٠٠ دبابة و ٣٥٠ طائرة .

لقد كانت معدات مصر الضخمة ضارة بها اكثر مما هي نافعة. فالامية التي تسيطر على ثلاثة أرباع سكانها ، والثقافة الضعيفة لدى الربع الباقي ، لم تكن لتتيح لها اعداد الرجال الصالحين لاستخدام هذه المعدات بالشكل الكافي . فقد تحطم طيرانها على الارض بسبب غلطة الرادار وقلة سهره . كما غنم العدو صواريخها وهي بحالة سليمة تماما وبدت دباباتها غير مؤهلة لخوض المعركة .

وقد استولى الاسرائيليون على ٥٠٠ دبابة ، منها ٣٠٠ سليمة تماما. وما يزال منها ، على أرض المعركة في سيناء ، ٣٠٠ – ٧٠٠ دبابة محطمة أو محترقة . ان السلاح المدرع المصري لم يعد له وجود عمليا .

ان القيمة الاجمالية للمعدات السوفياتية التي زود بها عرب الشرق الاوسط تقدر بثلاثة مليارات من الدولارات . أما المعدات التي دمرت أو غنمت في سيناء وحدها فتساوي مليارا من الدولارات .

لقد وعد الروس باعادة بناء القوة العسكرية المصرية . وقررت الدول الاشتراكية في مؤتمرها وضع ٢٠٠ طائرة ميغ تحت تصرف ناصر .

الا انه من المشكوك فيه أن يجد هذا الوعد سبيله الى التنفيذ . وفي جميع الاحوال لا بد من شهور طويلة لكي يصبح من الممكن اعادة بناء هذه التشكيلات بصورة تكون معها قادرة على خوض المعركة من جديد.

هذا ، ووضع مصر الداخلي يبدو مأسويا الان .

ففي عام ١٩٥٣ كانت مصر تنتج ٧٧ ٪ من غذائها ، أما في عام ١٩٦٧ فقد هبطت هذه النسبة حتى أقل من ٥٠ ٪ . ومصر اليوم لا تستطيع تجنب المجاعة الا بشراء مليونين ونصف المليون من أطنان القمح . ومورداها الرئيسيان للعملة الصعبة هما قناة السويس – حوالي ٢٠٠ مليون دولار سنويا – والسياحة – حوالي ٨٠ مليون دولار – وها هي القناة مغلقة وحركة السياحة على أسوأ حال .

لقد أعلنت الصين الشعبية عن استعدادها لتقديم ١٠ ملايين دولار و ١٥٠٠٠٠ طن من القمح الى مصر . الا ان هذه الكميات تبدو بلا معنى قياسا على احتياجات مصر .

ان اشعال الحرب من غير ضرورة قاهرة عمل اجرامي دائما . أما اشعال حرب في بلاد معوزة مثل مصر فجريمة لا وصف لها .

ومع ذلك فقد نجح ناصر في الخروج من الحرب خروجا مزيفا . وها هو باق في الحكم بعد أن أقال أو اعتقل ١١ جنرالا . ان نفوذه لا غنى عنه . وينبغي أن يبقى في منصبه . أما الجنرالات فيمكن استبدالهم ولا بد من تحميلهم مسؤولية الفشل . هكذا كان يقول هتلر . وهكذا تصرف ناصر .

والجيش الثالث الذي قاتلته اسرائيل هو الجيش السوري . ماذا فعل هذا الجيش ؟ وماذا بقي منه ؟

يضم الجيش السوري بمجموعه ١١٥،٠٠٠ رجل ، وهو مجهز كتجهيز الجيش المصري . وكان يملك ٨٠ دبابة « ت – ٣٤ » و « ت –

٥٤ » . ولما كان نظام البعث أقرب الانظمة الى قلب موسكو فقد خص الجيش السوري بعناية فائقة .

وعندما أرادت القيادة الاسرائيلية أن تسدد ضربتها الى سيناء والقدس لم تترك على الحدود السورية سوى ستار من قواتها . وقبلت غزو السوريين لسهل الحولة واستعدت لخسارة الناصرة ولكنها خافت كثيرا على حيفا .

ومع ذلك فلم يتوغل الجيش السوري في الارض الاسرائيلية الا قليلا .

لقد فعل اليهود ما حاول هيرودس عبثا أن يفعله في زمن المسيح : استصلحوا وادي الحولة وجففوا وزرعوا ٧٠٠٠ هكتار من المستنقعات الفلسطينية ولكنهم كانوا بعيدين جدا عن أن يصبحوا ملاكي تلك المساحات التي كلفتهم عرقا كثيرا لانهم لم يعرفوا فيها الدعة والامن أبدا . فالمدفعية السورية لا تكف ، من مرتفعات الضفة اليسرى ، تصلي منشئاتهم نارها الحامية . حتى انه لم يمض شهر واحد ، منذ ١٩٤٩ ، دون أن تتعرض تلك المنشئات لقصف واحد على الاقل .

وحول البحيرة لم يكن الوضع أبعث على الرضى . فالقرى التعاونية على الشاطىء الشرقي عرضة للتدمير في كل وقت . « عين كيف » ، « ها أون » ، « تل كازير » ، كانت معزولة عمليا عن اسرائيل ومحاصرة بحيث لا تستطيع الاتصال بسائر القرى الا ليلا عبر البحيرة .

وكان النضال من أجل الماء يسير بموازاة النضال من أجل الارض . فعندما بدأ الاسرائيليون ضخ مياه طبريا لارواء النقب أجاب السوريون بمشروع تحويل مجرى الحاصباني وهو الرافد الرئيسي للاردن الاعلى . وأصبحت مزارع وادي الحولة مهددة بالعطش .

ابعاد هذا الخطر كان هدف حملة استغرقت ثلاثين ساعة أضيفت الى حملتي سيناء وبلاد اليهودية . أما المشكلة فكانت مختلفة . فقد بنى

السوريون على الروابي مراكز دفاعية قوية . وكانت الارض ذات التضاريس الكثيرة ، والصخور الصامدة ، صالحة جدا لاقامة مثل هذه الاستحكامات العميقة التي تعيق عمليات المدرعات وتضعف من فعالية الطيران . وكان على الاسرائيليين بعد حربهم الآلية في سيناء ، أن يخوضوا ضد السوريين قتالا لاحما . ونجحوا ، فقد اخترقت مشاتهم خطوط السوريين المحصنة بمساعدة وحدات صغيرة من سلاح الهندسة التي قامت بتدمير الاستحكامات كما فعل الجيش الالماني عام ١٩٤٠ .

ولا بد ان هذين النمطين من القتال قد تركا صداهما في مسامع العرب . فقد كتبت صحيفة دمشقية تقول : « بعد كل الذي فعله الالمان بهم ، لم يتورع اليهود الانذال ولم يخجلوا من اسناد قيادة جنودهم الى ضباط سابقين من فرق الـ اس. اس. » .

وأمام الخطوط السورية خسر الاسرائيليون الشطر الاكبر من الـ ٦٧٩ قتيلا الذين جعلوهم يعتبرون هذه الحرب « حربا دامية » . ففي حرب عام ١٩٥٦ دفعوا ثمن احتلال سيناء ١٧٢ قتيلا . وهذا الاحتلال لم يكلفهم عام ١٩٦٧ أكثر من ذلك الرقم .

قال رئيس مصلحة الاستعلامات في الجيش الاسرائيلي الكولونيل السابق في الجيش البريطاني بيرلمان : « لم يكن من الصعب علينا احتلال دمشق » . ولكن اسرائيل اكتفت بمدينة القنيطرة الصغيرة حيث يمر خط الانابيب الكبير الذي يوصل بترول العربية السعودية الى مرفأ صيدا على البحر المتوسط . وكان عمق التوغل الاسرائيلي في سوريا عشرين كيلومترا . وهكذا أصبح وادي الحولة وسهل طبريا لاول مرة بمنجاة من قنابل المدفعية السورية .

ان الجيوش السورية والاردنية والمصرية لن تصبح في وضع يسمح لها بمبادرة القتال في مستقبل قريب ، حتى مع العون السوفياتي . أما الجيوش اللبنانية والعراقية والسعودية والسودانية والجزائرية

والمغربية فلم يتح لها الوقت أن تلعب دورا في المعركة .

وهكذا يمكن اعتبار النصر العسكري الـذي أحرزه اليهود على العرب نهائيا .

٢ ـ ماذا يمكن ان تكون نتائج الفشل الذي لحق بالروس ؟

نقطة أولى واضحة : لقد تلاعب ناصر بالسوفيات وناور عليهم .

نقطة ثانية واضحة : دفعت روسيا ثمن أخطائها في تقدير الموقف بانتكاس نفوذها في البلدان العربية .

نقطة ثالثة واضحة : قد تتخذ روسيا مواقف تنطوي على المغامرة لانقاذ سمعتها ، وربما انطوى ذلك منها على تهديد جدي لسلام العالم .

ولكننا لا نعرف ـ ونحب أن نعرف ـ ماذا كان رأي الاتحاد السوفياتي عندما وجدت موسكو ان الدكتاتور المصري قد وضعها أمام الامر الواقع .

وخطورة هذا الامر الواقع تبدو واضحة من تصريحات ناصر نفسه عندما قال : « ان العلم الاسرائيلي لن يمر أبدا في خليج العقبة » . وعندما قال أيضا : « اذا كانت اسرائيل تهددنا بالحرب فجوابنا : تفضلي ساعة تشائين » . وعندما قال أيضا في ٢٦ أيار ١٩٦٧ : « نحن نعرف ان اغلاق خليج العقبة يمكن أن يؤدي الى الحرب مع اسرائيل . وهذه الحرب ستكون حربا شاملة ، وسيكون هدفها تدمير اسرائيل » .

وهكذا راح ناصر يغازل الحرب . وهكذا تركته حكومة موسكو يفعل . وخطأ موسكو هذا يبدو أكثر فداحة اذا ما علمنا ان الروس مؤهلون أكثر من أي كان لادراك الضعف الداخلي المتناهي في مصر .

وخطأ آخر للروس أيضا ، وهو رفضهم اقتراح ديغول بعقد مؤتمر رباعي لحل الازمة .

ان روسيا التي لا تريد الحرب لا في الشرق الاوسط ولا في مكان آخر قد تركت الازمة تتطور وهي تأمل أن تجني منها كسبا دبلوماسيا

دون التعرض لاي خطر . ان أعظم الكوارث في التاريخ لم تحصل على غير هذه الصورة . أما أميركا ، في هذه الاثناء ، فكانت تقف مكتوفة اليدين . ان الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا تكفل سلامة كيان اسرائيل ، واغلاق العقبة يهدد هذا الكيان . ومع ذلك فقد حاول جونسون مقاسمة مسؤولية فتح الخليج مع دول بحرية أخرى غريبة تماما عن مشكلات المنطقة كاليابان والارجنتين . وتهرب الجميع . وبعد اضاعة عشرة أيام وجد جونسون نفسه وحيدا وأكثر ترددا منه في أي وقت مضى .

ولم تنتظر اسرائيل أكثر من هـذه الايام العشرة للقيام بالعمل بنفسها وبمفردها .

وكانت المعركة التي خاضها العرب خيبة كبيرة للروس . ومما زاد الطين بلة فشل موسكو في مجلس الامن . فالواقع ان الاسرائيليين لم ينصاعوا لقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار الا بعد أن حققوا جميع أهدافهم : قناة السويس ، نهر الاردن ، والمرتفعات السورية . ولقد استغل العالم الشيوعي المنقسم على نفسه التراجع الروسي استغلالا كبيرا . وكان لذلك وقع شديد في الدول العربية حتى اضطرت سلطات مصر وضع الحراسة على السفارة السوفياتية في القاهرة .

ويعتقد الخبراء في الشؤون السوفياتية ان نزاعا حاميا قد نشب في موسكو حيث ينقسم المسؤولون السوفيات فريقين : الاول يقف بجانب كوسيغين وهو المؤمن بالتعايش السلمي ، والثاني مع بودغورني ويرى ألا يتخلى الاتحاد السوفياتي عن خطه الثوري ولا يبتعد عن العالم الثالث . ولقد غذت الحرب العربية الاسرائيلية هذا الخلاف .

وروسيا ، رسميا ، تتبنى وجهة النظر العربية بكاملها . الا ان هذا الموقف ليست له أي فعالية عملية بالنسبة للوضع القائم . فالاسرائيليون يسيطرون على الارض ، ولا ينتظر أن يقوم بطردهم منها أولئك الذين

هزموا في حرب الساعات الستين . ولكن موسكو نفسها تحاول تحقيق ذلك بالتخويف . فاذا لم تنجح ـ وهذا الارجح ـ فستجد موسكو نفسها أمام اختيارين مؤلمين : التنازل من جديد مع خسارة ما تبقى لها من نفوذ ، أو أن تنتقل الى العمل بنفسها معرضة موقفها لمجابهة عنيفة مع الولايات المتحدة . اختيار مؤلم وخطر أيضا .

٣ ـ هل يوجد احتمال لمفاوضات اسرائيلية ـ عربية ؟

قابل أحد الصحافيين سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن فخرج من لدنه بوجهة النظر العربية بكل ما امتازت به من صرامة وعنف :

« اننا مستعدون للتعايش مع اليهود الذين هم من أصل فلسطيني . وقد كان هؤلاء ، عام ١٩٤٧ ، نصف مليون يعيشون بين مليونين ونصف المليون من العرب . أما الباقون جميعا فليس أمامهم سوى أمر واحد يفعلونه : أن يذهبوا ! لقد جاء بعضهم من روسيا ، من بولونيا ، من أوروبا الوسطى ، من انكلترا ومن كل مكان . فلماذا لا يرجعون الى بلدانهم الاصلية ؟ فليس من يضطهدهم بعد الان في أي مكان من العالم ..

« لقد أصبنا بهزيمة ، بل بكارثة . ولكنك سترى انه سيكون لما أصابنا ردة فعل غير تلك التي تحسبها اسرائيل . لقد كنا متنازعين ممزقين . وها نحن قد اصطلحنا من أجل قضية مشتركة ..

« وان لم يكن هذا غدا فبعد غد . وان لم نقم به نحن فسيقوم به أبناؤنا ويستعيدون فلسطين أجدادهم ..

« ان أي حوار ، على أية صورة ، غير ممكن لاي سبب أو أي وقت بين العرب واسرائيل ما دامت اسرائيل لا تعترف بأنها تحتل أرضا عربية ولا تقبل باعادتها الى أصحابها الشرعيين » .

أما النظرية اليهودية فقد عرضها في برلمان اسرائيل رئيس الحكومة

ليفي اشكول . وجاءت بشكل أقوى من فم منقذ اسرائيل موشي دايان على شاشة التلفزيون الاميركي :

« لن نقبل وساطة من الامم المتحدة أو من جهة ثالثة أخرى . اننا نريد أن نتفاوض مباشرة مع البلدان العربية لاقرار سلام دائم في الشرق الاوسط » .

وفي لندن حيث يعرفون جيدا بلدان الشرق الاوسط يشكون كثيرا في امكانية تحقيق شيء من هذا . وأقصى ما يمكن أن يحصل ، هو تأليف لجان يشترك فيها العرب واليهود بشكل غير مباشر على الطريقة التي تمت فيها الهدنة عام ١٩٤٩ .

ويأمل الاسرائيليون في النفاذ من النقطة الاضعف من الجبهة العربية : الاردن .

واذا كان الملك حسين ما يزال حتى الان على عرشه فما ذلك الا لان اسرائيل قد أرادت ذلك . فدباباتها كانت بحاجة الى ساعة واحدة بالضبط لبلوغ عمان . وكان الاغراء قويا للعقيدة الصهيونية ، فمنطقة شرقي الاردن ـ في نظر هذه العقيدة ـ جزء من فلسطين لا يتجزأ . ومع ذلك فقد تغلبوا على الاغراء . فاسرائيل تريد انقاذ عرش الملك حسين . وعاد دايان الى الفكرة القديمة القائلة باقامة اتحاد فيدرالي اسرائيلي ـ أردني . بل انه مضى الى حد الوعد باعطاء استقلال داخلي للاراضي المحتلة في غربي نهر الاردن . ولكن لا بد من جلوس الملك حسين الى طاولة المفاوضات وتوقيع معاهدة مع رئيس اسرائيل . وكان حسين قد تعرض لتهم كثيرة بالخيانة أطلقها عليه ناصر وجمل معه بورقيبة وملك المغرب . وأوشك السوريون على اعلان الحرب عليه لتقويض عرشه ، ولكنه عاد فاتحد مع أعدائه . وبعد ثمانية أيام كان قد فقد النصف الاكثر سكانا من مملكته . واذا كان ما يزال متضامنا مع الذين جروه في هذه المغامرة ، فلأنه لم يعد سوى حاكم لدولة صغيرة

من البدو . أما اذا تفاوض مع اسرائيل للحصـــول على شروط أفضل فسيتهم بالخيانة في العالم العربي .

وثمة زعماء عرب آخرون قد أقروا بأن لا مفر ، عاجلا أو آجلا ، مـن الحوار مع اسرائيل ومن هؤلاء ناصر نفسه .. ومن المؤكد انه قال لبورقيبة في اجتماع خاص عام ١٩٦٥ مثل هذا الكلام . ثم ثار غضبه عندما كشف بورقيبة هذا السر وأتهم الرئيس التونسي بتزوير تصريحاته.

ان فرنسا ، بعد ١٨٧١ ، لم تقبل بالحاق اللورين والالزاس بألمانيا ، ودام ذلك ٤٤ عاما كانت خلالها العلاقات الدبلوماسية قائمة بين البلدين بشكل طبيعي . وهناك أمثلة كثيرة في التاريخ والعالم . وبوسع الدول العربية رفض دعوى اسرائيل ولكن هذا لا يبرر بقاء حالة الحرب بشكل دائم بين الطرفين ولا عدم الاعتراف بجار أثبت انه موجود !

وفي جميع الاحوال فان احتمالات اجراء حوار مباشر بين الفريقين تبدو معدومة ما دامت روسيا مصممة على تقديم الدعم الشفهي اللامحدود للقضية العربية .

والمعروف ان العرب في الفترة الاولى قد وجدوا أنفسهم بلا معين في المعركة ، فأبدوا نقمة على الاتحاد السوفياتي ، غير ان هذا المـوقف قد تبدل الآن . فالعرب قد عادوا الى الايمـــان بالعجائب . كأن يروا روسيا ترجع عن خطئها وتتغلب على المفاجأة أو الخوف الذي اعتراهـا فتتبنى قضيتهم بعمق ضد الدولة الكبرى التي أرادت كبرياؤهم أن تعزو هزيمتهم الى تدخلها وهي الولايات المتحدة .

٤ ـ هل يمكن للامم المتحدة ان تجد الحل ؟

الواقع ان اجتماعات مجلس الامن ، منذ بدء أزمة الشرق الاوسط ، لم تكن سوى كوميديا مخجلة ، معرض توجيه اتهامات وشتائم قبيحة . الخصوم لم يتمكنوا من تقديم أي اثبات . كما انهم لم يبذلوا أي جهد في سبيل الاعتدال والموضوعية . وكان الممثل الرئيسي فيهذه المسرحية

الهزلية المؤلمة للمندوب السوفياتي نيكولا فيدرنكو الذي أراد أن يغطي هزيمته في جوهر القضية بستار كثيف عجيب من لغو الكلام .

فقبل انفجار الموقف ، وعندما كان ناصر يهـــدد بالحرب ، عارض فيدرنكو في دعوة المجلس . أما بعد نشوب القتال فقد عمل المندوب السوفياتي كل ما بوسعه لابقاء جلسات المجلس مفتوحة بشكل دائـــم لا لشيء الا ليتسنى له صب جام شتائمه على اسرائيل والولايات المتحدة.

فبين ٥ و ١٢ حزيران عقد المجلس ١١ جلسة نهارا وليلا . واحدة من هذه الجلسات دعيت في الساعة الثانية والدقيقة الاربعين صباحا بعد أن كانت الجلسة السابقة قد انتهت قبيل منتصف الليلة نفسها . وقـد وصف أحد المندوبين فيدرنكو بأنه « محب للازعاج والاذى » اذ انــه لم يكن أي مبرر قاهر لمثل هذه الدعوة في مثل تلك الساعة !

أما رئيس المجلس هانس تابور فقد أكد انـــه نام ١٧ ساعة فقط خلال الفترة الواقعة بين يومي الاثنين والسبت ، وانه اكتفى بقضم بعض قوالب الشوكولا في الفترات النادرة التي لا تكون عدسـات التلفزيون مسددة اليه .

وخلال احدى الجلسات الليلية تكلم مندوب عربي طوال ٤٨ دقيقة مهاجما السناتور روبيرت كنيدي متهما اياه بأنه ابن تاجر ويسكي ! ثم انتقل الى الحاكم روكفلر فقال عنه : « لقـــد عرفت أباه . كان جنتلمن ولكن جده .. كيف جمع كل هذه الثروة ؟ » وقال : ان اليهود يفعلون بالعرب كما فعل الاميركان بالهنود الحمر .. وخلص الى المطالبة باعـادة جزيرة منهاتن (حيث تقوم الامم المتحدة) الـــى القبيلة الهندية التـي اشتراها منها الاميركيون عام ١٩١٥ بمبلغ ٢٤ دولارا !

وعندما هزم الاتحاد السوفياتي فـــي مجلس الامن ولم يستطـع الحصول على ادانة صريحة بحق اسرائيل طالب بعقد الجمعية العامـة . وارتاح لتأييد فرنسي فيه نظر .

والغريب ان الاتحاد السوفياتي الذي ظل دائما يعارض السابقة التي حدثت عام ١٩٥٠ في أثناء تغيبه بسبب حرب كوريا ، والتي قضت بدعوة الجمعية العمومية ، الغريب انه هذه المرة كان هو الداعي لاجتماع هذه الجمعية . والمعروف ان موسكو كانت دائما تردد انها لن تلتزم أبدا بأي قرار يصدر عن الجمعية العمومية .

الا ان تبدل موقف الاتحاد السوفياتي يبدو مفهوما هذه الايام .

أما الجلسة التي عقدتها هذه الجمعية فلن تسفر عن شيء ، ذلك انه من المستحيل على الاتحاد السوفياتي أن يظفر فيها بالاكثرية . حتى ولو تمت الاعجوبة فلن يسفر قرارها عن أي شيء سوى اعادة القضية الى مجلس الامن كما ينص ميثاق الامم المتحدة وحيث ينتظره الفيتو . ويرجع كل شيء الى نقطة الانطلاق .

ان الروس يعرفون هذه الحقيقة بالطبع . وهدفهم من كل ذلك ابقاء القضية حامية ليتسنى لهم استغلال الحملة الانفعالية ضد اميركا في الدول الافرو ـ اسيوية . وكان مجيء كوسيغين الى نيويورك جزءا من حملة الاثارة هذه .

٥ ـ هل يمكن لهذا النزاع أن يجر الى حرب عالمية ؟

التاريخ أشبه ببحيرة تهب عليها العواصف . وقد يحدث أن تصطدم عاصفتان فتقيم البحيرة وتقعدها .

والبحيرة الحالية هي التقارب بين روسيا وأميركا . أو بكلمة أهم ، عودة روسيا الى الاندماج في الغرب . وبين روسيا وأميركا لم تقم أبدا أي حرب مباشرة ، بل بالعكس كانت الدولتان دائما متجاذبتين بدوافع عميقة .

هذا التجاذب تعرض للاختلال في القرن العشرين بالخوف من عداوة الشيوعية للرأسمالية . ومع ذلك فهو لم يكف أبدا عن الوجود . وفي أثناء الحرب ازداد التقارب بين الامتين ليتلوه تنازع على أوروبا المهددة الممزقة ، فكل من الدولتين يريد ضم القارة المسكينة تحت جناحه . ولكن ما أن عادت أوروبا الى الحياة حتى أخذ النزاع يتضاءل وأوشك أن يتبخر في هذه الايام .

وكما فقد النزاع السياسي عنفه فعل الخلاف العقائدي ، واذا كانت روسيا ما تزال محتفظة بشعاراتها الثورية فقد فقدت ، في الواقع ، الكثير من عنفها الثوري وتحولت الى دولة « محافظة » تخاف التطرف الصيني .

تلك هي حقيقة الظاهرة التي نشاهدها بارتياح منذ عدة سنوات .

فهل يمكن للحرب الاسرائيلية أن تؤدي الى ما لم تؤد اليه حرب فيتنام ؟

هذا ما تخشاه واشنطن . والواقع ان الولايات المتحدة ما تزال ملزمة بالتصريح الذي أدلى به أرثور غولدبرغ في ٢٤ أيار ١٩٦٧ والقائل بأن أميركا تتعهد بالمحافظة على الاستقلال السياسي وحدود جميع بلدان الشرق الاوسط .

ويرد الاسرائيليون بأن الاستقلال وضمانة الحدود شيء واحد . وان أميركا قد قصرت بهذا الوعد عندما تركت مصر تغلق خليج العقبة ، ولذا فهي لا تستطيع ارغامهم على ابقاء حدود أعدائهم المغلوبين سليمة .

وحتى الان لم تعط أميركا كلمتها . ولكن من غير المعقول أن تقف مع روسيا لاجبار اسرائيل على العودة الى حدودها الخطرة كما كانت في ٤ حزيران أو ارغامها على اعادة القدس والسماح برجوع العصابات الى غزة ، أو ترك خليج العقبة تحت رحمة ناصر ، أو ارجاع مدافع الاردن الى بعد ٢٠ كيلومترا من تل ابيب ، أو ترك السوريين يعودون الى المرتفعات التي تهدد سهل الحولة .

ان النزاع يحتفظ بكل خطورته • وليس له سوى مخرج واحد سلمي : أن يتفق الروس والاميركان على حل معقول يفرضونه على الطرفين المتنازعين • فروسيا وأميركا وحدهما المسؤولتان عن سلام العالم مسؤولية لا تتجزأ •

المزاج العربي الجديد

وكتب المعلق الدبلوماسي البريطاني والوزير السابق أنطوني ناتنغ في جريدة « صنداي تايمس » — ٢٥ حزيران ١٩٦٧ — يحلل الوضع الناتج عن حرب ٥ حزيران ، قال :

للوهلة الاولى يبدو ان هجوم اسرائيل الصاعق على الدول العربية جعل مهمة كل من يحاول تحقيق السلام بين العرب واليهود أكثر صعوبة من أي وقت مضى • ومن المعروف ان الصراع العربي — الاسرائيلي تركز خلال التسعة عشر عاما الماضية على مطالب أكثر من مليون لاجيء عربي فلسطيني في استعادة ديارهم وأراضيهم في اسرائيل • أما الان ، فقد لاحظت في القاهرة خلال الاسبوع الماضي ، ان أبعادا جديدة أضيفت الى القضية بسبب الشعور بالمرارة الناتجة عن اجتياح اسرائيل للاراضي الاردنية والمصرية والسورية •

ويشعر المصريون بأن الوجود الاسرائيلي في سيناء وعلى ضفة القناة هو بمثابة لطخة سوداء في سيادة مصر • والى أن يتم ازالة هذه اللطخة ليس هناك أحد ابتداء من عبد الناصر فما دون يمكن حتى أن يفكر بالتمهيد لتسوية سلمية •

ان مثل هذا الشعور لم يكن سائدا في أعقاب الهجوم البريطاني — الفرنسي — الاسرائيلي على السويس في عام ١٩٥٦ • ذلك ان الانتصار الاسرائيلي في ذلك الحين لم يكن كاسحا كما هو هذه المرة — ولم يجر غزو الاردن وسوريا — وكانت الخسائر المصرية أقل كثيرا ، وفضلا عن

ذلك فان مصر في ذلك الوقت هزمت على يد دولتين غربيتين كبيرتين •

ولعل ما هو أهم من ذلك انه في عام ١٩٥٦ كان المصريون يعرفون ان روسيا وأميركا أجمعتا على شجب العدوان ، وان الرأي العام العالمي يقف بقوة الى جانبهم ، ولذلك كانوا يدركون انهم على الرغم من هزيمتهم العسكرية ، فانهم سيكسبون السلام ، وهذا ما حدث فعلا •

أما اليوم فانهم لا يواجهون وضعا مؤكدا كهذا ، ويبدو لهم كما لو ان أصدقاءهم قد تخلوا عنهم • فمن الناحية الاولى تدعم اميركا اسرائيل • ولدهشتهم واستغرابهم يجدون زعماء العمال البريطانيين ، الذين حملوا على ايدن بعنف في عام ١٩٥٦ بسبب هجومه على مصر ، مهتمين بارضاء واشنطن والسير في مخططها أكثر من اهتمامهم بتحقيق العدالة في الشرق الاوسط •

وحتى أصدقاؤهم في افريقيا السوداء أصبحوا فجأة حذرين وخائفين على ما يبدو — كما تعتقد القاهرة — من اغضاب اسرائيل لئلا تتعرض المساعدة التكنيكية التي يحصلون عليها من الدولة اليهودية لخطر الانقطاع •

وعلى الرغم من الخطاب الذي ألقاه أليكسي كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في الجمعية العامة للامم المتحدة ، فان خيبة أمل المصريين في أصدقائهم وحماتهم الروس جلية واضحة • ومع ان الرئيس السوفياتي بودغورني سيستخدم أرق العبارات في تشجيع المصريين وفي محاولته لدعم الجسور التي كادت تتهدم بين الفريقين ، فان المفكرين المصريين مؤمنون بأن الروس لن يقاتلوا الى جانب العرب ، أما أميركا فانها يمكن أن تقاتل الى جانب اسرائيل •

وكلما زاد الشعور بفداحة الهزيمة ازداد معه الشعور بزيادة العزلة وأصبح البحث عن أكباش للمحرقة أمرا لا مفر منه • ولذلك يوجه اللوم الى سلاح الطيران والاستخبارات • كما يوجه اللوم أيضا الى جهاز

الدعاية الذي ضلل الرأي العام بالتباهي والتفاخر والادعاء بأن الجيوش العربية ستتمكن خلال أسبوع واحد من القتال ، من احتساء القهوة في تل أبيب . وكان الاميركيون والبريطانيون هم أكباش المحرقة الاوائل ، هذا مع العلم ان مصر بدأت تتخلى بهدوء عن ادعاءاتها الاولى القائلة بأن البلدين اشتركا اشتراكا فعليا في الهجوم على مصر ، وشرعت بدلا من ذلك تلمح تلميحات غامضة الى تزويد الغرب اسرائيل بالطائرات ، والى قيام سفن وكالة الاستخبارات الاميركية بتسليم المعلومات الى اسرائيل .

وقد قابلت عدة وزراء مصريين فلم يذكر واحد منهم ، في أحاديثهم معي ، شيئا عن تواطؤ الغرب مع اسرائيل .

وعلى الرغم من ذلك فان الاتهامات لصقت في عقول المواطنين العاديين . وقال لي أحد مستشاري الرئيس عبد الناصر المقربين ان قوة الشعور المعادي للغرب مرعبة حقا ، وانه ذهل فعلا بالابتهاج الذي عم الشعب المصري عندما أعلن ان الصين فجرت قنبلتها الهيدروجينية ، فقد كان واضحا ان فرحة الشعب كانت عارمة نظرا لما يسببه التفجير الصيني من قلق وخوف للولايات المتحدة .

وفي مثل هذه الحالة لا يمكن اعادة فتح قناة السويس الا اذا خرج الاسرائيليون من سيناء ، على الرغم من ان مصر تخسر نحو مليوني جنيه استرليني نتيجة لاستمرار اقفال القناة .

كما ان فرض الحظر على شحن البترول العربي الى الدول التي دعمت اسرائيل سيستمر . وليس هناك بحث في استئناف العلاقات بين مصر وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، هذا على الرغم من ان بعض الوزراء يشعرون ــ كما اعترفوا لي ــ بأن اتصالات كهذه أصبحت اليوم أكثر أهمية من أي وقت مضى .

ولكن على الرغم من هذا كله ، بدأ يظهر رد فعل ايجابي ملموس ، في الدوائر الحكومية على الاقل ، حيث يتبلور شعور واقعي جديد .

ان اعادة التنظيم الحكومي التي حدثت في الاسبوع الماضي تظهر كيف تخلى عبد الناصر عن دور الرئيس المشرف على كل شيء ، وأخذ على عاتقه مهمة تجميع كل العناصر التي تشكل الدولة والحكومة والجيش والحزب .

وقد أعقب عملية التطهير التي جرت بين القادة العسكريين المجيء ببعض الاشخاص الموثوقين القدامى مثل محمود فوزي وزير الخارجية السابق والمستشار الخاص للرئيس عبد الناصر حاليا . وكما قال لي أحد الوزراء : لم يعد بامكاننا تحمل القبلية في الحكومة ، حيث يعمل فريق من أعضاء الحكومة ضد الفريق الاخر . ان هذا الوقت هو وقت الوحدة الوطنية والانضباط ، وينبغي أن نعتمد الان على أنفسنا لا على الآخرين .

وباختصار يشعر المرء ان هناك روحا مماثلة لروح « دنكرك » في مصر ، مع فارق أساسي ، هو ان زعماء مصر ــ كما أوضحوا لي ــ يعترفون الان بأن تفوق اسرائيل التكنولوجي الهائل يجعل الحل العسكري أمرا غير وارد . ولذلك بدأ الحديث يخف عن تدمير دولة اسرائيل .

ومن غير المحتمل أيضا أن تعود مصر في أي وقت من الاوقات الى الاحتفاظ بجيش لها في صحراء سيناء ، بعد أن أصبحت هذه الصحراء مقبرة للمدافعين عنها مرتين في غضون عشر سنوات . كما ان المصريين لن يتدخلوا في حرية مرور السفن الاسرائيلية الى ميناء ايلات ، ومن المحتمل أن يقبلوا بوجود مراقبين دوليين لضمان ذلك .

ولكن الزعماء المصريين ليسوا على استعداد للتطلع الى ما هو أبعد من ذلك طالما ان الاسرائيليين لم ينسحبوا من الاراضي التي احتلوها . ولا يعلق المصريون آمالا كبيرة على الجمعية العامة للامم المتحدة وعلى مقدرتها في تحقيق هذا الانسحاب ، وهم أكثر اعتمادا على الحصار المفروض على القناة والحظر المفروض على شحن الزيت الى الغرب لتحقيق الضغط الضروري المطلوب على تل ابيب . واذا انسحبت القوات

الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، فان المزاج الواقعي الجديد الذي يسود القاهرة الان يبدي استعدادا للتوصل الى تسوية شريطة أن يبدي الاسرائيليون استعدادا مماثلا للاعتراف بأن للفلسطينيين العرب نفس الحق الذي لليهود في العيش والعمل في وطنهم ٠

ذلك هو صلب النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، كما أكد لي الرئيس عبد الناصر مرارا قبل بدء القتال بساعات معدودة ٠ ولا يزال هذا هو صلب الموضوع كما قال لي محمود فوزي في الاسبوع الماضي ٠ واذا ما ترجمت اسرائيل ما تعلنه عن استعدادها للتفاهم على حل مشرف لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، فان جميع القضايا الاخرى ستكون قابلة للتفاوض ٠ وعندها ، كما قال لي محمود فوزي : « تستطيع جميع دول الشرق الاوسط أن تشترك في جعل المنطقة عونا للسلام بدلا من أن تكون عبئا عليه ٠ ان مصر تريد السلام ولكن ليس بأي ثمن ٠

ولكن اذا رفضت اسرائيل ذلك ، فان كل الواقعية التي تسود القاهرة الان ، ستعجز عن ايجاد التسوية ، وستظل اسرائيل « غيتو » مسلحا محاطا بجيران تتآكل قلوبهم المرارة ٠ ومع الزمن ستسود أفكار أقسى وأعنف ، مماثلة للافكار التي تساور الان الجزائريين والسوريين ٠ وقد يضطر عبد الناصر للعودة الى حافة الحرب ، كما فعل في الشهر الماضي ، اذا لم يكن لشيء ، فلكي لا يتخلى عن زمام المبادرة لحلفائه العرب الاكثر اندفاعا عسكريا ٠ وعندها سيصبح المسرح جاهزا لجولة رابعة لا يستبعد أن تكون جولة نووية ، ولا يستبعد أن يكون العرب هم المبادئون هذه المرة بالقاء القنبلة النووية الاولى ومهما كانت المخاطر والنتائج ، فان العرب لا يستطيعون أن يتخلوا عن اخوانهم المشردين الفلسطينيين ولا يمكن لهم أن يتخلوا عنهم ٠

وعلقت مجلة « تايم » الاميركية على الموقف تحت هذا العنوان بتاريخ ٢٣ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ ، قالت :

عندما حضر كوسيغين الى الامم المتحدة ليشارك في جلساتها كان يضطلع بمهمة ٠ فبعد أن فشل السوفيات في انقاذ أتباعهم من الدول العربية في ميادين القتال ، جاءوا يحاولون حرمان الاسرائيليين من انتصارهم العسكري بالطرق الدبلوماسية ٠

وقد استعمل السوفيات في دعوة الامم المتحدة للاجتماع نفس الاسلوب الذي اتبعته الولايات المتحدة في بدء حرب كوريا وهاجمها الروس من أجله ، مما يدل على مقدار الحرج الذي يشعرون به ٠

ان مجيء كوسيغين بنفسه الى الامم المتحدة أعطى الكرملين الدعاية اللازمة لهجومه الدبلوماسي ورفع مستوى التمثيل في الهيئة العامة فاشترك بالمناقشة وزراء خارجية الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا واسرائيل ورئيس وزارة الدانمارك ، بالاضافة الى مجموعة من رؤساء الوزارات الشيوعيين ووزراء خارجية دول اسيوية وعربية ٠

وجاء كوسيغين مستعدا لمطالبة الهيئة العامة بدمغ اسرائيل بالعدوان، والاصرار على التخلي عن « أرباح عدوانها » أي التخلي عن الاراضي العربية التي احتلتها قبل أن يبدأ أي بحث عن السلام ٠

فيما يتعلق بالمباشرة بالعدوان فان اسرائيل بالكاد تهتم الان بنفي كونها البادئة باطلاق النار ٠ فقد اجتمعت الوزارة الاسرائيلية في اليوم السابق للحرب وناقشت موضوع القيام بهجوم وقائي قبل أن تتجمع الجيوش العربية وتقوم بضربها ٠ وقد طالب ابا ايبان وزير الخارجية بالقيام بجهود دبلوماسية أخرى لكون موشي دايان وزير الدفاع أصر على ان سلامة الوطن لا تسمح بالانتظار ٠ وانتصرت نظرية دايان وتقرر الهجوم بأكثرية ١٦ صوتا ضد صوتين للوزراء الاشتراكيين اليساريين ٠

تعالوا نتكلم عن الصلح . ان أي محاولة روسية ــ عربية لاستغلال كون اسرائيل بدأت بالقتال لا يحتمل أن يكون له اثر ملحوظ بين باقي المندوبين في الامم المتحدة . فقد بقي العرب طيلة ١٩ سنة يصرون على انهم في حالة حرب مع اسرائيل ، وكانوا يحشدون قواتهم بكل وضوح ليكونوا هم أصحاب الضربة الاولى من صحراء سيناء ، حين هاجمتهم اسرائيل . وقد يجد الروس مناصرة أكبر لمطلبهم بأن تعود الجيوش الاسرائيلية المنتصرة الى حدودها السابقة .

ان الاسرائيليين ، بمساندة الولايات المتحدة ، لا ينوون التراجع قبل تسوية نزاعهم الذي استمر عقدين من الزمن مع العالم العربي الذي يحيط بهم . وتعتقد اسرائيل ان الطريق الوحيد للاستقرار في الشرق الاوسط يكمن في مفاوضات ثنائية مع كل دولة عربية اشتركت بالحرب أي مع مصر والاردن وسوريا لاجبارها على الاعتراف بالوجود الاسرائيلي .

ومن المؤكد ان أحد أسباب مجيء كوسيغين لنيويورك هو تجنيب العرب مذلة القبول باسرائيل في مفاوضات وجها لوجه . لكن الاسرائيليين يفترضون انهم قد حازوا هذا الحق ، فجيشهم يحتل أراضي عربية تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة اسرائيل . وتنوي اسرائيل أن تحتفظ ببعض هذه الاراضي بكل الاحوال . أما الاراضي الاخرى فمعرضة للمفاوضات وتحتفظ بها اسرائيل لقاء اعتراف العرب بالوجود الاسرائيلي . والانسحاب منها مسبقا غير وارد قطعا مهما كانت قرارات الامم المتحدة . وقد قال ابا ايبان : « سنبقى حيث نحن ، وسنقول للعرب : اذا كنتم تريدون تغيير وضعنا فتعالوا وتحدثوا عن السلام » .

* * *

لما عادت الانوار تضيء من دان في الشمال الى ايلات في الجنوب بدأت اسرائيل تعالج المشاكل الكبرى المتأتية عن النصر . أحد هذه المشاكل : ماذا تفعل بالاراضي المحتلة ؟ بأي منها تحتفظ لسلامتها ، وأيا

منها تعيد لاسباب اقتصادية وسياسية ؟ ومع ان الاسرائيليين لا ينوون أن يتزحزحوا في الوقت الحاضر ، ومن المؤكد انه من الصعب زحزحتهم بأية طريقة ، فما من عاقل اسرائيلي يعتقد انه من المفيد لبلده الاحتفاظ بكل هذه الاراضي على المدى الطويل . فسيناء صحراء لا فائدة منها . وغزة عبء اقتصادي فادح . كما ان دمج مليون وثلاثمائة ألف عربي في جميع البلاد المحتلة أمر باهظ التكاليف وقد يكون خطرا . فما الذي تريده اسرائيل اذن ؟ من أجل حفظ سلامتها تريد على الاقل منطقة عازلة في المرتفعات السورية ، وجزءا من غرب الاردن لتوسع وسطها الضيق . وتريد أيضا مرورا حرا في خليج العقبة تضمنه قوة عسكرية اسرائيلية في شرم الشيخ . ثم هناك القدس . فلاسباب أعمق من السلام أو الستراتيجية ليست القدس موضوعا للمفاوضات ، وكل حكومة تعيد القدس القديمة الى الاردن تسقط بكل تأكيد .

* * *

ان التكاليف الانسانية للحرب عكست نتيجتها غير المتساوية ، فقد قدرت اسرائيل عدد قتلى الحرب : ٢٠٠٠ سوري ، ٨٠٠٠ أردني ، و ١٠،٠٠٠ مصري ــ ٦٧٩ اسرائيلي . وأسر الاسرائيليون ١١٥٠٠ جندي عربي بينهم تسعة جنرالات ، أعادوا ٦٠٠٠ أسير منهم وعرضوا اعادة الباقين لقاء ١٦ أسيرا اسرائيليا وقعوا في أيدي الجيوش العربية ، وكان معظمهم طيارين سقطت طياراتهم .

من ناحية تكاليف الحرب المالية ، قدرت اسرائيل ان الحرب كلفتها ماية مليون دولار مقابل ألفي مليون دولار للعرب . واستولى الاسرائيليون على أضعاف خسارتهم المالية بشكل أسلحة ومعدات عربية منها قاعدتين للصواريخ (سام) ، وأكثر من مايتي دبابة روسية سليمة ، وآلاف الاسلحة والمركبات هجرها الجنود الهاربون .

لقد صدمت الهزيمة العالم العربي بما يفوق التصور وهزته بما

لا يمكن الاقرار به بحيث تأرجح بعنف في الاسبوع الماضي بين التلاشي والثأر • ولم يعد باستطاعة العالم العربي أن يشن حربا ، لكنه رفض أيضا أن يحقق سلاما • لقد خسر جيوشه لكنه كان مصمما بيأس أن لا يخسر ماء الوجه • فاندفع في صخب من النواح والتبريرات والشكاوى والتهديدات غايتها تقديم البرهان بأن العرب كسبوا الحرب ، وان جهة أخرى مسؤولة عن هزيمتهم • فقالت جريدة « الجمهورية » القاهرية الشبيهة بالرسمية : « ان الهزيمة لا توجد الا بالنسبة للذين يقرون بها • أما نحن فلا نعترف بالهزيمة » •

لكنه بالرغم من هذه التمرينات في اللاواقعية فلم يكن بالامكان اخفاء الهزيمة • فما بقي من الاردن كان يغص باللاجئين • ولم تكن حالة القاهرة أحسن ، اذ تملكتها الحيرة والهستيريا وخيبة الامل • ولم يكن الشعب المصري قد أطلع بعد على فداحة النكبة اذ لم تعلن الحكومة لوائح بأسماء القتلى والجرحى والمفقودين ، أو ان اسرائيل تحتل ضفة السويس الشرقية • لكن الجنود العائدين بثياب ممزقة وبالضمادات سردوا مشاهداتهم وانتشرت الاشاعات في أسواق القاهرة وصار السكان ينظرون شذرا الى ضباطهم •

لكن الهزيمة لم تجلب النكسة للزعماء السياسيين العرب • فالهجوم الاسرائيلي على سوريا أنقذ في الوقت الحاضر النظام البعثي المتطرف • وأصبح الملك حسين الذي قاتل جيشه الاسرائيليين على كل شبر من الارض ، بطلا عربيا حتى اضطر الرئيس عبد الناصر ، عدوه الزمن ، أن يشيد بشجاعته • وبقي الرئيس عبد الناصر أمل الجماهير المصرية ووجد الظرف مناسبا لالقاء اللوم على القادة العسكريين ، فطرد أحد عشر ضابطا بما فيهم قادة الجيش والاسطول والطيران والمارشال عبد الحكيم عامر صديقه وصهره • ومن المؤكد ان القادة العسكريين لم يتصرفوا ببراعة • فقد سبق أن أقنعوا عبد الناصر ان الدبابات المصرية

تستطيع أن تهزم اسرائيل بيومين • لكنه عندما ابتدأ القتال وجد الجنود في الجبهة انه ليس لديهم أغذية وماء وذخيرة الا ليوم واحد • وعند ظهور الدبابات الاسرائيلية تفككت وحدات كاملة من الجنود المصريين منهزمة وعلى رأسها ضباطها • ويقدر بأنه من أصل ١٥٠ ألف جندي مصري احتشدوا في جبهة سيناء بقي نحو ثلاثين ألفا فقط ليشتبكوا مع الاسرائيليين •

ويبدو ان التصفيات العسكرية داخل مصر ما زالت في بدايتها • فالجنرالات والكولونولية الذين كانوا يتجمعون حول عبد الناصر قد اختفوا وحل محلهم مجموعة من الضباط الصغار الذين كانوا متضايقين من أسلوب معيشة الرفاه التي اعتادها الضباط الكبار • وقد قال عبد الناصر : « لقد حرمت الشعب من أجل الجيش سنوات عديدة • لكنني عندما احتجت الى التأييد كان الشعب هو الذي وقف الى جانبي » •

لا يزال كثير من العرب يعتقدون انأعداءهم الرئيسيين هم الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب اسرائيل • وقد أشارت جريدة « الاهرام » ، المعبرة عن رأي عبد الناصر ، ان الاستخبارات الاميركية هي التي دفعت اسرائيل للهجوم ، وانه قبل الحرب بوقت قصير شحن البنتاغون لاسرائيل ٤٥٠ طيارة حربية ، و ٤٠٠ دبابة ، و ١٠٠٠ طيار •

* * *

يعتقد الزعماء العرب انهم يملكون ثلاثة أسلحة اقتصادية ضد الغرب • لكن في كل سلاح منها نقطة ضعف •

السلاح الاول هو قناة السويس المغلقة حاليا • والحقيقة ان مصر تحتاج عائدات القنال التي تبلغ ٢٥٠ مليون دولار سنويا بقدر ما تحتاج الدول الاخرى استعمال هذا الممر • فالاقتصاد المصري في حالة انهيار زادته الحرب سوءا • ومصر مدينة للاجانب بما يزيد عن ألف مليون

دولار ، وتقع في عجز تجاري سنوي يقدر بخمسمائة مليــون دولار . كما ان ما يزيد عن نصف مؤسم القطن السنوي مرهون للدول الشيوعية لقاء ثمن أسلحة سابقة . وتنقص كميات الطعام والتموين باستمرار .

السلاح الثاني هو المال . فللكويت وحدها ثلاثة بلايين دولار فـي البنوك الانكليزية . فاذا سحبت هذه الاموال تستطيع أن تسقط قيمة الجنيه الانكليزي . لكنه اذا وضع الكويتيون أموالهم في البنـــوك السويسرية (بفائدة أقل) فان السويسريين يعيدون معظم هذه الاموال الى لندن لانها وحدها مؤهلة لتوظيف ودائع العالم العربي الهائلة .

أما السلاح الثالث فهو النفط . فالعرب يرفضون أن يشحنوا نفطهم الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، فهل يشكـل ذلك خطرا حقيقيا ؟ ان الولايات المتحدة تحصل من العرب على ٣ ٪ فقط من نفطها ، وتستطيع بسهولة أن تعوض ذلك بزيادة الانتاج من آبارها خصوصا وان صديقـة العرب روسيا عرضت أن تبيع بريطانيا كل حاجتها من النفط . أما التهديد بتأميم شركات النفط الاميركية والبريطانية فيبدو فارغا أيضا . ورغم ان الجزائر صادرت ١٣ شركة بترول أميركية في أعقاب حرب حزيران فـان الشركات الاميركية لا تزال تعمل بحرية في مصر ، كما ان شركة الارامكو تابعت حفرياتها في السعودية .

* * *

ان بعض المعتدلين العرب قد رفضوا تهمة اشتراك الولايات المتحدة بالحرب ، ويبدون حريصين عـلى علاقاتهم الطيبة مع واشنطن . ففـي القاهرة استدعت وزارة الخارجية عدة سفراء غربيين في الاسبوع الماضي وسألتهم سرا كيف يستطيع عبد الناصر أن يصلح علاقاته بواشنطن دون أن يفقد ماء الوجه . اذ رغم كل مواقف عبد الناصر المؤيدة للسوفيات فانه لا يريد أن ينحاز نهائيا للمعسكر الروسي .

والسوفيات ، من جهتهم ، خاب أملهم بالعرب . فمن عاصمة عربية

الى أخرى أرسل الدبلوماسيون السوفيات نصائح الى حكومتهم بـأن لا تهدر طيارات « ميغ » أو أموالا جـديدة على العرب . فقبل بـدء الحرب زار ضباط سوفيات كبار المواقع المصرية وعادوا مستائين جدا من الاوضاع العسكرية ، فقد وجدوا الدبابات في صفوف أمامية متقدمة جدا ، والمدافع في مواقع غير صالحة ، والطيارات مصفوفة بجـانب بعضها كالبط الجالس . وقد نقل السوفيات ملاحظاتهم المفصلة الـى المصريين الذين أهملوا الاخذ بها .

لكنه بمساعدة السوفيات أو بدون مساعدتهم تنـوي الشعوب العربية متابعة المعركة ضد اسرائيل . وجميع الزعماء تقريبا بدون استثناء يرفضون شروط الصلح الاسرائيلية ويقسمون انهم لن يتفاوضوا مـع اسرائيل أو يعترفوا بوجودها .

يجب رتق الفتق

وكتبت « جورنال دي لوزان » السويسرية بتاريخ ٨ ـ ٦ ـ ٦٧ تحلل الموقف :

ان الارتياح الذي يشعر به المرء حيال اجماع مجلس الامن لا يبلغ درجة التصور ان السلام بعد اليوم سوف يستتب في الشرق الاوسط . وانه لمرض بل ويكاد يكون الهاما علويا ، أن نرى الدول الكبرى وقد اتفقت على طلب وقف اطلاق النار ، ولكن الامر ما يزال بعيدا عن وضع جهاز للامن الجماعي كاف ومقنع لوضع حد لسياسة القوة في هـذه المنطقـة .

وقدم الاتحاد السوفياتي مشروع قرار لا يطالب بسحب المقاتلين الى خطوط انطلاقهم . وهذا الانحراف خيب بعمق آمال العرب الذين يقولون انهم ضحية عدوان اسرائيلي ويطلبون الى حاميهم أن يكون أكثر

صلابة في موقفه . ولفهم ما جرى لا بد من الرجوع الى تطورات الاحداث كما جرت قبل الجلسة .

فقد أمضى الامين العام للامم المتحدة طوال يومه في محاولة فاشلة جرت في مكتبه لتقريب وجهتي النظر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وكان السيد غولدبرغ مؤيدا لمبدأ وقف اطلاق النار فورا وبلا قيد أو شرط ، بينما أصر السيد فيدرنكو على ادانة صريحة للعدوان الاسرائيلي وسحب المقاتلين الى خطوطهم السابقة .

أما تعديل الموقف السوفياتي فلم يتم في نيويورك بل في موسكو . فلماذا ؟ ذلك ان الخبراء السوفيات ، في هذه الفسحة من الوقت ، كانوا قد أجروا « جردة » معركة سيناء . وقد تبين لهم انه لا يكفي لبناء جيش أن تقدم اليه طائرات « الميغ » ودبابات « ت ــ ٣٤ » . فالحرب العصرية تزداد الحاحا في مطالبها يوما بعد يوم وعلى مختلف المستويات . فلا بد من تدريب دقيق صارم يستمر عدة أسابيع من أجل اشتباك جوي لا يستغرق اكثر من خمس دقائق . والعرب الاذكياء كانوا على حق عندما وصفوا اسرائيل بأنها جسم غريب وسط الكسل السائد في الشرق الاوسط . ولقد أخطأ الآخرون عندما اعتقدوا ان خطابا عاطفيا حول « اغتصاب الوطن العربي » يكفي للتعويض عن الضربة المفاجئة .

والروس الذين عانوا تجربة اسوان كان عليهم أن يدركوا ذلك منذ بعض الوقت . ولكن التزاماتهم الايديولوجية تجبرهم على تقديم الدعم للانظمة « التقدمية » في القاهرة ودمشق والجزائر . ولكن الى حد معين فقط . وهذا الحد تم اجتيازه بعد ظهر يوم الثلاثاء عندما لم يجد الرئيس ناصر تبريرا لتحطيم خطوطه الامامية غير اسناد ذلك الى تدخل كثيف من قبل الطيران الاميركي والبريطاني .

ومثل هذه الدعوى الضخمة يمكن أن تمر في المجال الداخلي ، لان الشعب المصري لا يصل أبدا الى أي وسيلة من وسائل الاعلام غير

أجهزة الترانزستور التي تنقل أنباء الاذاعات الرسمية . ولكنها ، في المجال الخارجي ، تجبر الروس على الاختيار بين أمرين : اما أن يكون ناصر صادقا وفي هذه الحالة يكونون ملزمين « بفعل شيء ما » كتعويض لما حدث . أو أن يفضلوا تصديق التكذيب الاميركي .

ولقد اختاروا السبيل الآخر ، وبذلك برهنوا على انهم غير متمسكين أبدا بالتدخل مباشرة في النزاع .

وهكذا جاء القرار الاجماعي لمجلس الامن مؤكدا الصفة الموضوعية للنزاع . وهذه نقطة أولى ذات أهمية رئيسية ، ولكنها ليست بعد نهاية الحل ، ذلك ان النزاع استطاع أن ينشب دون أن يكون أحد من الكبار قد حرص عليه .

والهدف ، من الناحية الاسرائيلية ، مزدوج : اعادة حرية المواصلات في خليج العقبة ووضع حد للتهديد العسكري من قبل الجيران بما في ذلك جيش التحرير الفلسطيني التابع لاحمد الشقيري . ويستطيع الجنرال دايان أن يهنىء نفسه اذا كان تحقيق هذه الاهداف رهنا بالنصر العسكري . ولكن عندما يكون من الضروري دعم ذلك بموافقة دولية فسيجد السيد ابا ايبان ان الامم المتحدة لا تحب تكريس امتيازات أخذت بقوة السلاح .

ولكي يفهم العرب مواقف بعض الزعماء ، عليهم أن يتذكروا ان الوقت الذي يمر لا يحمل الدعم لمراكزهم الشخصية .

وقد فكر بعض هؤلاء الزعماء بقطع العلاقات الاقتصادية مع الغرب انتقاما لهزيمتهم . وبذلك آكدوا ، بعد عشرين عاما خلت ، ما قاله لنا يوما واحد منهم : « الاستقلال الحقيقي في نظر العرب هو العودة الى اقتصاد سائقي الجمال » .

وفي تحليل لمجلة « انتربريز » الباريسية بقلم ميشال دانكور ، قال : عندما طلب ناصر الى يوثانت ، الامين العام للامم المتحدة ، خلال الاسبوع الواقع بين ١٥ و ٢٢ أيار أن يسحب القوات الكندية المعسكرة على الحدود الاسرائيلية باسم منظمة الامم المتحـدة ، أدرك الناس ان أزمة خطيرة سوف تنفجر • ولكن ما لم يظهر بوضوح هي الاسباب التي دفعت بالرئيس الى التحرك وفي هذا الوقت بالذات • وعندئذ بـدأت هذه الاسباب تتضح ، ومن يعود الى النصوص التي نشرها ناصر نفسه هذه الاسباب تتضح ، ومن يعد الى النصوص التـــي نشرها ناصر نفسه يزدد فهما لمجريات الازمة •

١ ــ مشروع ناصر القومي العربي •

٢ ــ دعم المركز السوفياتي في الشرق الاوسط •

المشروع لم يولد أمس • فمنذ وصول ناصر الـــى الحكم كشف عنه • وينبغي قراءة « فلسفة الثورة » واعادة قراءتها • فهي تقـود الى غايتين : أولا « جمع كل العرب مـــن الخليج الفارسي الـــى المحيط الاطلسي » في دولة واحدة تكون القاهرة عاصمة لها ، ثم وضع القومية الاسلامية في خدمة القومية العربية بحمل جميع مسلمي العالم (بما فيهم مسلمي الاتحاد السوفياتي اذا أمكن) على التوجه بحماستهم السياسية نحو القاهرة كما يتوجهون بحيمتهم الدينية الى مكة •

هذا المشروع لم يلاق نجاحا • فالاتحاد مع سوريا لم يدم • ومعظم الدول العربية ارتابت به دائما • واذا كان ملك الاردن قد وقع اتفاقـا في الاسبوع قبيل الحرب فذلك لانه لم يكن بوسعه أن يفعل ما هو أفضل• ولسياسة ناصر أهداف أخرى أشد خفاء ، ترمي الى وضع ثروات

العالم العربي في خدمة مصر • صحيح ان البترول العربي لم يعد المورد الذي لا غنى للعالم عنه ، ولكنه ما يزال احدى وسائل التفاوض الاقتصادي بين الشرق الاوسط والبلدان الغنية •

وناصر لم يكف أبدا عن الحلم باقامة اتحاد مع البلاد المنتجة للبترول وفي هذا السبيل قام ، بنجاح ، بتأميم قناة السويس وهـي مكان مرور البترول ، ومنذئذ راح يحاور البلدان المنتجة •

ومصر لم تبدأ بعد باستغلال بترولها • وتصنيعها ضعيف ، وهـي بحاجة الى الآخرين للخروج من وضعها الاقتصادي السيء • وبعد فقـد توفر الجو الدولي الملائم وتطور النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط •

* * *

منذ حرب السويس والنفوذ السوفياتي أخذ بالترسخ في الشـرق الاوسط بشكل خاص •

في مصر بالذات يحتل الاتحاد السوفياتي مركزا هاما في الاقتصاد بفضل توسيع نطاق مساعداته •

وفي اليمن يزداد النفوذ الروسي بمقدار ازدياد العداء للولايـات المتحـــدة •

أما في سوريا فالنظام البعثي يتخذ صورة الجمهورية الشعبية أكثر فأكثـــر •

وفي الايام الاخيرة توصلت روسيا الى ابرام معاهدة هامة جدا مع ايران التي تعتبر مرتبطة بالعالم الاطلسي • وتتلقى روسيا الغاز الايراني مقابل تقديم مصنع مجهز بمعدات عصرية وأسلحة • وهذا الغاز تستخدمه روسيا في سياستها الهجومية نحو أوروبا (باقامة شبكة من أنابيب الغاز سوف تسمح بتموين شطر من أوروبا ، عبر المصالح الايطالية ، فتنافس غاز بحر الشمال) •

وأخيرا ، وعد كوسيغين ، في أثناء زيارته لتركيا التي تعتبر مفتاح

القفل الاميركي على المتوسط ، بتقديم مساعدة لهذه البلاد هي عبارة عن بناء مصنع للالمنيوم ومصفاة للبترول .

وفي مثل هذه الشروط استنتج ناصر ان خطواته سوف تجد تغطية لها من قبل الاتحاد السوفياتي . ووجد في اسرائيل حجة له مناسبة . ثم ان هذه الوسيلة تتيح له ، من ناحية ثانية ، أن يفرض تسلطه على بلدان توجست منه خيفة (الاردن ولبنان) .

وهو يريد ، فضلا عن ذلك ، ـ وهذا أكيد ـ أن يلهب حماسة جنوده بأن يتيح لهم الانتقام من هزيمة عام ١٩٥٦ .

وربما كان يريد أيضا أن يصرف الانظار عن اليمن حيث لم تكن الامور تسير على ما يرام وحيث أخذت جيوشه تغرق في الرمال .

تلك هي ، اجمالا ، الاسباب التي تفسر انطلاق الازمة . ومنذ الآن يمكننا أن نستخرج منها الدروس .

١ ـ ان أي قضية دولية تصبح جدية عندما تكون فرصة لمجابهة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية . ومن المؤكد ان هذه الازمة قد اتخذت حجما غير عادي لانها تجري في جزء من العالم حافل بمصالح الكبيرين (فالاتحاد السوفياتي يسعى منذ زمن بعيد لفك الطوق الاميركي المضروب حوله) .

٢ ـ أما أوروبا فتكاد تكون دون تأثير على تطورات القضايا الدولية الجدية .

ومن التناقضات ان أوروبا التي تجد مصالحها في استقرار السلام في الشرق الاوسط لا تستطيع أن تلعب فيه سوى دور ضئيل جدا (فامداداتها بالبترول تتوقف على الشرق الاوسط أكثر مما تتوقف امدادات الولايات المتحدة) . وقد اجتمع رؤساء حكومات أوروبا في روما عندما كانت الازمة في أوجها . وكانت مناسبة لتظاهرة جماعية ولكنها لم تحصل . فالنفوذ الدولي للقارة القديمة المشغولة بنفسها

والقلقة على مستقبلها آخذة بالاضمحلال .

والازمة الاسرائيلية ـ العربية أثبتت ان وضع أوروبا صار ، ولزمن طويل ، كوضع سويسرا من حيث قدرتها على لعب دور معنوي والتوسط ولكن دون أن يكون لها أي وزن في القضايا المعروضة .

* * *

ربما كان الامر ، على عكس ما يعتقد ، أفضل فرصة للسلام .

فالواضح ، في الواقع ، انه حيث يحاول الروس والاميركيون التنافس على الارض والنفوذ لا يبدون أي رغبة في المجابهة . وثمة من يقول بأن لدى الروس رغبة في الوصول الى يالطا جديدة .

ومهما يكن من أمر فمن الاكيد ان محادثات بين الكبيرين يمكن أن تسهل أمر ايجاد الحل للنزاعات الهامة الراهنة ، وعلى العكس فان النزاعات تزداد خطرا عندما لا تتوفر امكانية المفاوضة . والمشكلة الحقيقية لكل المآسي التي نعيشها ليست هي ما يفكر فيه ناصر أو يريده ، ولا حتى بلد مثل اسرائيل ، ولكن المشكلة الحقيقية هي موقف الدولتين الكبيرتين .

فالوضع الراهن أعيد الى الشرق الاقصى زمن أزمة السويس بتدخل متوافق من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وفي كل مكان يمكن اقرار الوضع الراهن اذا أمكن تدخل متوافق من الطرفين . والمأساة الحقيقية تذر قرنها في اليوم الذي يتعذر فيه هذا التدخل المتوافق (والاكيد ، مثلا ، ان الروس المنصرفين بكليتهم لمتاعبهم المادية غير راغبين في الحرب أبدا) .

أما أوروبا ، مرة أخرى ، فقد انتقلت الى صف المشاهدين . ومن المؤسف ان الستة في روما لم يتوصلوا الى استنتاجات ايجابية سريعة غير تلك التي توصلوا اليها .

الفصل الثاني عشر

المفتاح بيد واشنطن

قالت مصادر سياسية في عمان ان الملك حسين « أعطى نفسه مهلة شهرين لانجاح مشروع ايجاد تسوية سلمية » وان العاهل الاردني يسعى للحصول على تأييد واشنطن لمشروعه السلمي بعد أن ضمن له تأييد السوفيات خلال زيارته الاخيرة لموسكو ، وتأييد مصر بعد أن أطلع الرئيس عبد الناصر على تفاصيله عشية رحلته الى الاتحاد السوفياتي .
ولكن هذه المصادر أكدت انه في حال فشل مشروع الملك حسين « فلا بد من الحرب وستكون حربا طاحنة » .

القضية اذن ما تزال كما كانت غداة قبول الدول العربية وقف اطلاق النار — أي قبول هذه الدول بالهزيمة العسكرية — والانطلاق في المجالات السياسية الدولية بحثا عن « كسب السلم » بعد أن استحال كسب الحرب في الجولة الاولى ، ولكنه ما يزال واردا ، في أذهان المسؤولين العرب ، في جولات مقبلة لم يستطع أحد أن يحدد لها موعدا دقيقا أو يتوقعها في فترة قريبة أو بعيدة حتى جاءت الاوساط الاردنية فجعلت مهلتها القصوى شهرين .

حرب أم سلام ؟

تلك هي القضيــة ••

وذلك هو السؤال الذي ظل يدور في حلقة مفرغة منذ التاسع من حزيران فلا يجد له أي عربي – أو غير عربي – جوابا شافيا •• ذلك ان الحقيقة الكبرى التي ظلت مسيطرة على العالم العــربي ، حتى الآن على الاقل ، هي ان السلام مستحيل والحرب مستحيلة !

اذن ماذا ؟

نصف حرب ، نصف سلم ؟ وقوف على « حافة الحرب » ؟

* * *

لقد هزم العرب في حرب الايام الستة هزيمة عسكرية « أكبر مما كنا نستحق » مع اننا « تصرفنا بقصور غير عادي » على الرغم مما كان لدينا من امكانيات ، كما قال محمد حسنين هيكل •

وبنتيجة هذه الهزيمة « التي لم يكن ما يبررها » ، كما قال رئيس تحرير « الاهرام » أيضا ، خسر العرب مساحات شاسعة من أرضهم ، ومواقع اقتصادية هامة ، ومرافق اقتصادية حيوية •• وكسبوا بضعة مئات من ألوف اللاجئين الجدد الذين شكلوا عبئا اقتصاديا واجتماعيا باهظا أخذت تنوء به الاوضاع الاقتصادية المتردية في الدول العربية الثلاث التي اشتركت مباشرة في الحرب •

وشعار العرب ، في هذه المرحلة ، « ازالة آثار العدوان » ، أي جلاء القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط هدنة ١٩٤٨ وعودة اللاجئين الجدد الى ديارهم ••

ولكن كيف السبيل الى تحقيق هذا الشعار ؟

حاول العرب ممارسة الضغط الاقتصادي بقطع البترول فتبين ان هذا السلاح يؤذي حامله أكثر مما يسيء الى العدو ••

جربوا المقاطعة السياسية مع الدول التي دعمت اسرائيل فثبت لهم

ان زمن السلبية الدولية قد ولى ، وخافوا ترك الميدان خاليا أمام اسرائيل فعادوا عن ذلك •

وافقوا على المساعي السياسية التي تبذل في العالم شرط أن تظل بعيدة عن « المصالحة والمفاوضة والاعتراف » كما قرر مؤتمر الخرطوم •

والمساعي ما تزال تبذل • وفي الجمعية العامة خطب القيت ، ومناقشات جرت ، أما النتائج •• فكانت قرار مجلس الامن المؤرخ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ والذي تعسرت به ولادة الحل السلمي المطلوب ؟

والى جانب هذه المساعي السلمية بذل العرب كل جهد لاستعادة قوتهم العسكرية تحسبا لحتمية الصدام المسلح اذا ما أخفقت جميع الوساطات والمشروعات والزيارات والمحادثات •• وقد تمكنوا من تعويض نسبة جيدة من خسائر الحرب ، ولكن يقال انها كانت كلها أسلحة دفاعية ••

وتمكن العرب كذلك من تحقيق خطوة هامة على طريق التضامن الذي لا بد منه سواء في المرحلة الراهنة أو المراحل المقبلة ، فتمت المصالحة – جديا هذه المرة – بين الرياض والقاهرة ، وبدأ تنفيذ الانسحاب من اليمن بسرعة حتى تم نهائيا قبل موعده •

* * *

في شهر كانون الاول ١٩٦٦ نشرت مجلة « رياليتيه » الباريسية (عدد ٢٥١) تحقيقا أجرته مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل حول الاوضاع السائدة في منطقة الشرق الاوسط • وردا على سؤال حول امكان نشوب حرب بين اسرائيل والدول العربية في مستقبل قريب ، قال ايبان بالحرف الواحد : « وليس من السخف أن تتصور ان الزعماء العرب سوف يصلون الى يوم يطالبون فيه بالرجوع الى حدود ١٩٦٧

كما يطالبون الآن بالرجوع الى حدود عام ١٩٤٨ بعد أن حاولوا تعديلها بالقـوة » •

اذن كانت اسرائيل تعرف ، منذ كانون الاول ١٩٦٦ ، أي قبل ستة أشهر من الازمـة ، انها سوف تضرب ضربتهـا ثم تواجه مطالبة العرب بالعودة الى حدود ١٩٦٧ ! بل كانت تعرف ان هذه الضربة سوف تحدث عام ١٩٦٧ وتسفر عن « حدود » جديدة !

وفي أعقاب وقف اطلاق النـار تلاحقت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ، مدنيين وعسكريين ، وكلها تدور حول موقف عنيد واحد : « المفاوضات المباشرة أو الوضع الجديد الحاضر » •

وبتاريخ ١٩ حزيران نشرت المجـلة الاميركية المقربة من البيت الابيض « يو اس• نيوز اند وورلد ريبورت » ما أسمتـه « الشروط الرسمية الاسرائيلية لاحلال السلم في المنطقة » فاذا بها خمسة :

١ ـ حرية المرور في قناة السويس للسفـن التي ترفع العـلم الاسرائيـلي •

٢ ـ حرية المرور في مضيق تيران وخليج العقبة لسفن اسرائيل •

٣ ـ ضمانات بأن العرب سيضعون حدا لجميع الاعتداءات على الحدود الاسرائيلية واقامة قوة سلام دائمة •

٤ ـ انهاء حالة الحرب التي استمرت منـذ ١٩٤٨ ووضع نهاية لسباق التسلح •

٥ ـ تخلي مصر وسائر البلدان العربية عن السياسة القائلة بعـدم امكان التعايش السلمي بين العرب واسرائيل •

وتابعت المجلة قائلة : « وبالاضافة الى ذلك تنوي اسرائيل التشبث بجزء من الاراضي التي احتلتها كقطاع غزة ومدينة القدس بكاملها وجزء كاف من صحراء سيناء يضمن لهم السيطرة على مضيق تيران » •

وحتى الآن ، وعلى رغم جميع المناورات والاتصالات داخل الامم

المتحدة وخارجها ، لم تتراجع اسرائيل عن أي من هذه المطالب ـ ان لم تكن قد زادت عليها (المرتفعات السورية واقامة مستعمرات في الضفة الغربية) ـ بينما سجل الموقف العربي تراجعات أساسية كثيرة حتى الآن•

فما الذي يستطيع أن يزحزح اسرائيل عن تصلبها هذا ؟

يكاد المراقبون يجمعون على ان « القوة الوحيدة التي بوسعها حمل اسرائيل على بعض التنازلات هي واشنطن » ، كما قال رونالـد ايفانز المعلق في « هيرالد تريبيون » •

ولكن واشنطن نفسها ما تزال عند موقفها الـذي أعلنه الرئيس جونسون عشية انعقاد الدورة الاستثنائية للجمعية العامة والمؤلف من خمس نقاط لا تختلف كثيرا عن نقاط اسرائيل الخمس •

* * *

في تقرير عن « المعاني العسكرية لحرب ٥ حزيران » أعده الماجور جنرال ماكس جونسون ، ضابط التخطيط لهيئـة الاركان الاميركية المشتركة ، ونشرته مجلة « يو اس• نيوز اند وورلد ريبورت » بتاريخ ١٩ حزيران ، في هذا التقـرير : « ان الشرق الاوسط من الزاويـة العسكرية ، هو في أعلى درجات الاهميـة الاستراتيجية للولايـات المتحدة » • وعدد التقرير أسباب هذه الاهمية فاذا هي :

١ ـ موقع الشرق الاوسط هو العنصر الرئيسي : فهو يقع علـى تقاطع الطرق الاستراتيجية بين أوروبا وافريقيا وآسيا • وهو الآن تركيب معقد لطرقات برية وبحرية وجوية وللمواصلات كما كان دائما عبر التاريخ•

٢ ـ في المنطقة ثروات هائلة تتمثل باحتياطي النفط الذي يحتـاجه العالم الحديث حاجة حيوية •

٣ ـ منذ عهد القياصرة والزعماء الروس يتطلعـون الى الشرق الاوسط بسبب موقعه ، ويريد الزعماء السوفيات الاستيلاء على هـذه المنطقة مهما كلفهم الامر •

٤ ـ ان السيطرة على جماهير الشعب في الشرق الاوسط ، وكبح جماحها والحيلولة دون انزلاقها في مهاوي التطرف ، هو عنصر حيوي اخر في التوازن الاستراتيجي العام .

٥ ـ اصبح للشرق الاوسط ، في تطوراته الجديدة ، ما يمكن تسميته « امتدادا استراتيجيا » يزيد من اهمية المنطقة خارجها .

وشرح الجنرال جونسون معنى « الامتداد الاستراتيجي » ضاربا عليه مثلا : « حينما تتحالف الجزائر مع مصر او مع مجموعة من دول الشرق الاوسط ، فسرعان ما ينتشر العداء في المنطقة كلها ضد الولايات المتحدة » .

والتقرير في منتهى الخطورة ، ومن عجب ان الدوائر العربية لم تتنبه الى مدى خطورته ـ بصفته تصويرا رسميا للواقع العسكري الاميركي في المنطقة ، وبالتالي ، محركا للسياسة الاميركية تجاه دولها...

ويقول التقرير ايضا : « وما دام الاتحاد السوفياتي هو الذي سلح الشرق الاوسط والجزائر ، فقد وجدنا ان عدونا الاساسي ـ روسيا ـ أخذ ينشر امتداده الاستراتيجي على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ومن غير المحتمل ان تتخلى روسيا عن اهدافها لمجرد هزيمة موقتة للعرب امام اسرائيل » .

اذن فالولايات المتحدة ، تريد ، في الحقيقة ، هزيمة لروسيا وليس للعرب ، او لروسيا عن طريق العرب ، وهذا ما استطاعت ، حتى الآن ، ان تحققه جزئيا ، في المجالين السياسي (فشل المساعي السوفياتية في مجلس الامن والجمعية العامة ـ فشل الدعم الروسي للعرب في المحافل الدولية) والعسكرية (فشل روسيا في حماية الدول العربية من الهزيمة ـ عدم صمود السلاح الروسي في وجه السلاح الغربي) . ولكن واشنطن تريد هزيمة كاملة ـ لا جزئية ـ للسوفيات تنهي بها حلم القياصرة بالوصول الى المياه الدافئة . وهذا ما تأمل الدوائر الاميركية الوصول اليه . ولا

يتوقع المراقبون أي لين في الموقف الاميركي قبل تداعي هذه الانظمة ، في القاهرة ودمشق والجزائر .

وهذا ما يفسر امتناع واشنطن ، حتى الآن ، عن ابداء اقل استعداد، للمساعدة على حل الازمة حلا يؤدي الى خلق استقرار جديد في المنطقة يسمح للانظمة الثورية ان تتنفس ...

وهذا ما يفسر ايضا تصريح الرئيس بورقيبة الاخير .

وهذا ما يفسر ايضا وايضا البرود الذي قابلت به واشنطن مشروع تيتو وغيره من مشروعات السلام ..

ان واشنطن خائفة على المنطقة ، وبالدرجة الاولى على تركيا « الحصن الشرقي لحلف الاطلسي الذي وجد خصيصا لحصر المد الاستراتيجي السوفياتي » كما يقول تقرير الجنرال جونسون . ويضيف : « ان تركيا ضرورية لمساندة الطرف اليميني للحلف الاطلسي ، والبحر المتوسط ضروري لمساندة الطرف الجنوبي المؤلف من ايطاليا واليونان وتركيا » ...

ويخلص التقرير الى القول : « فاذا استطاع السوفيات ، بطريقة او بأخرى ، الاستيلاء على مركز مسيطر في هذا الجزء من العالم بواسطة حكومات عميلة لهم في الشرق الاوسط ، او بواسطة قواعد جوية أو بحرية او برية ، فان مساندة الحلف الاطلسي لتركيا تصبح موضع شك » .

لكل هذا تريد الولايات المتحدة، بأي ثمن، ضرب النفوذ السوفياتي في المنطقة بالقضاء على « قواعده السياسية » قبل ان تتحول الى « قواعد عسكرية » . ولهذا ايضا نراها ممتنعة عن الاسهام في أي تسوية سلمية قبل تحقيق هذه الاغراض التي كانت تحسب انها حققتها بعد انتصار اسرائيل في ٥ حزيران .

غير ان عناد العرب ، ومبادرة السوفيات بتغطية بعض خسائرهم اثناء القتال ، أفسد على الولايات المتحدة مخططها ، الامر الذي اجبرها

على الاستمرار في التصلب ، املا بأن يؤدي عنصر الزمن، وتأزم الاوضاع الداخلية والاقتصادية والعسكرية ، الى تحقيق ما اخفق فـــي تحقيقه العدوان المسلح .

وليس ادل على صحة ذلك من الفقرة الاخيرة في تقرير الجنرال جونسون الذي نحن بصدده : « ان ازدياد العداء في الشرق الاوسـط نحو الولايات المتحدة ، والصداقة نحو الاتحاد السوفياتي ، كانا في رأيي، خسارة استراتيجية ذات ابعاد خطيرة ، لكـن مـدى الانتصار الاسرائيلي على العرب اضعف ــ الى حد غير كاف ــ الارجحية السوفياتية . صحيح ان هذا الانتصار يمثل خسارة كبرى لمكانة روسيا في العالم الثالث ، بل في العالم اجمع ، ولكنه يعني ايضا انه يجب على السوفيات ان يقرروا ما اذا كان من المفيد لهم ان يعيدوا تسليح وتجهيز وتحريك الشعوب العربية لجهد عسكري جديد آخر او ان يفتشوا عن طريق آخر ليثبتوا مركزهم فيمنطقة يرغبون رغبة شديدة في الاستيلاء عليها » .

ولما كان الروس قد اختاروا طريق اعادة تسليح العرب ودعمهـم سياسيا واقتصاديا ، فان الولايات المتحدة صممت على الاستمرار فـي تصلبها معتمدة على « الشرخ » الذي احدثته الهزيمة في الدول «الثورية» حسب تعبير الرئيس عبد الناصر ... واذا كان مفتاح الازمة بيد واشنطن فالقفل ما يزال تحت يد موسكو .

ان ما تريده واشنطن قد جاء على لسان رئيس وفدها الـى الامم المتحدة آرثر غولدبرغ : « الهدف يجب الا يكون شيئا اقل من السـير نحو تسوية نهائية لجميع القضايا المعلقة بين الفرقاء » .

و « التسوية النهائية » في نظر اميركا هي « الا تكون هدنة اخرى بعد فشل هدنتي ١٩٤٩ ، بل اتجاه واقعي آخر » كمـا قالت « نيويورك تايمس » في تعليق لها على الازمة .

اما « القضايا المعلقة » فهي ليست فقط تلك القائمة بـين العـرب واسرائيل ، بل ايضـا ، وربما قبـلا ، بـين الولايات المتحدة والاتحـاد السوفياتي ...

الفصل الثالث عشر

غلوب باشا و .. أزمة الشرق الاوسط

غلوب باشا .. اسم غني عن التعريف . فهـو معروف في العالم العربي ، ومعروف اكثر في الاردن حيث بقي سنوات عديدة يشرف على تنشئة وادارة الجيش العربي في البلد الشقيق . من هنا كان غلوب باشا من اكثر البريطانيين ، بـل والغربيين ، علمـا ومعرفة والماما بشؤون العرب ومشاكل منطقة الشرق الاوسط . وبعد العدوان الاسرائيلي في حزيران١٩٦٧ اراد غلوب باشا ان يحلل الاحداث ، فكان هذا الكتيب، الذي يقول فيه العسكري البريطاني العتيق الحقيقة ، كل الحقيقـــة : ما للعرب وما عليهم ، ما لليهود وما عليهم، وما للغربولبريطانيا خاصة وما عليهوعليها(١).

اعتذار شخصي

لقد بلغت من الكبر عتيا ، فلن يطول بي المقام في هذه الدار الفانية. ومنذ عشر سنوات وانا اسعى لتفادي الجدل العنيف ، والتمس الملاذ في الجو الهادىء للدراسات التاريخية . ولا اعتقد انه بقي في قلبي منـزع لحب او بغض ، لحسد او لمطمع . وامنيتي ان لا اواجه خالقي وفي قلبي

(١) مجلة « الجمهور الجديد » ــ العدد ٧١١ ـــ ١ـ٧ ٢ـ٢ـ٦٨

ذرة من الحقد . ولم يخطر ببالي يوما انني سأعود الى هذه المنازعات المريرة . غير ان الذي اقنعني بالعودة هو ذلك الفيض من الرسائل التي تلقيتها يطالبني فيها اصحابها بنشر موجز موضوعي نزيه .

بيد انني كسائر البشر ، لي ميولي وتحزباتي الخاصة . فانا احب الاردنيين ؟ وتسألني لماذا ؟ فأقول ان السبب على ما اظن يعود في معظمه الى ان الاردنيين شعب محبوب . ولا يمكن اقامة العاطفة والمحبة على اساس الربح والخسارة ، كما يوضع كشف الحساب . فالاردنيون قوم يمتازون بصفاء النية ، ورحابة الصدر ، والجرأة ، والسخاء ، وحسن الوفادة . وهم لا يمتون بصلة عرقية للمصريين . وكل من يعرفهم يدرك ان لهم عدة صفات مميزة خاصة بهم .

واحب كذلك اميركا ، وقد امضيت عدة اشهر مع اصدقاء لا يقعون تحت حصر في الولايات المتحدة . ومع ذلك فان مصالحهم في الشرق الاوسط ليست مماثلة لمصالحنا .

ومن جهة اخرى لا اضمر كرها للآخرين ، للسوريين او اللبنانيين او المصريين او الاسرائيليين . وثمة يهود كثيرون لا يرضون عن الجو العدواني العسكري لاسرائيل ، ويتمسكون باليهودية القديمة السمحاء النيرة المتحررة . ولي ايضا اصدقاء عدة من اليهود .

واملي ان لا اتلقى بعد الآن سيلا من الرسائل طافحة بالشتم والسباب ممن يعنيهم الامر . فقد انقطعت عني مثل هذه الرسائل منذ عشر سنوات . وكل ما اتمناه هو ان اسهم قبل ان انتقل الى الملأ الاعلى بشيء في سبيل السلام في الشرق الاوسط حيث عشت معظم سني حياتي .

« المؤلف »

المخطط الروسي

في منتصف شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ فوجىء العالم بقطعات كبيرة من الجيش المصري تعبر قناة السويس . وطلبت مصر عندئذ سحب قوات الامم المتحدة واعلنت عزمها على تفتيش جميع السفن التي تدخل خليج العقبة . واعلنت روسيا تأييدها لذلك واشعرت تركيا بنيتها في امرار بوارج لها من البوسفور .

ومع ان روسيا تصرفت بسرعة توحي بأنها كانت على علم مسبق بنيات الرئيس جمال عبد الناصر ، فان حلفاءه العرب اخذوا على حين غرة بهذه الخطوة . اما اسرائيل فكانت شاكة في الامر صراحة .

وذكر الرئيس عبد الناصر في الخطاب الذي اعلن فيه « استقالته » ان موسكو انذرته بأن اسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا . وقد يكون ذلك صحيحا ولكنه ، على الارجح ، لم يكن اكثر من غارة شديدة . ومع ذلك وقع الرئيس عبد الناصر ميثاقا دفاعيا مع تلك البلاد وحمله ادعاؤه بالقيادة ، على العمل لمساعدة حليفته في حال تعرضها للهجوم . وفيما كان جنوده يتدفقون على سيناء اعلن انه لن يكون البادىء بالعدوان .

وكل من له اية خبرة عسكرية عن الشرق الاوسط خلال السنوات العشرين الاخيرة يدرك تماما انه لم يكن للجيش المصري ادنى امل بالانتصار على الاسرائيليين . وكنت شخصيا اقدر لمعركة سيناء ٤٨ ساعة، لكنها استغرقت في الواقع حوالي ستين ساعة .

ولا اعتقد ان الروس كانوا يتصورون النصر لمصر . اما كيف اقنعوا الرئيس عبد الناصر بالاقدام على مثل هذه المغامرة ، فهذا لغز محير . غير ان من المهم بمكان كبير ان موسكو هيالتي انذرته بنية اسرائيلالمزعومة في مهاجمة سوريا .

وبعد تدمير الجيش المصري في سيناء ، راحت الصحف البريطانية

تهلل لخيبة الامل التي منيت بها روسيا التي « راهنت على الجواد الخاسر » .

ومن سوء الحظ ان الحكومة السوفياتية ليست بمثل هذه السذاجة. فعلى العكس من ذلك ربما كانت موقنة من هزيمة المصريين النكراء ، وارادتها لهم .

وليس من بلد عربي يرغب في ان يمسي تابعا سوفياتيا . وقد تكون البلدان العربية ، في بعض الحالات ، مستعدة لقبول المساعدات والاسلحة والمعونات الفنية من روسيا ، ولكن الى حد معلوم فقط . وهي ليست مستعدة الى حد التضحية بأي جزء من سيادتها .

ولو قيض لمصر ان تهزم اسرائيل لتعززت قوتها وهيبتها الى حد يجعلها تستغني عن الاعتماد على روسيا . ولو انها من جهة أخرى ذلت لادركت هي وحليفاتها انها غير قادرة اطلاقا على الصمود في وجه اسرائيل . وازاء هذه الحالة لا تجد مصر وحليفاتها سبيلا غير استجداء المساعدة من الروس . ولذا كان من الضروري وفقا للمخطط الروسي ان يمنى العرب بالهزيمة وبأقصى ما يمكن من المذلة .

اما البريطانيون والاميركيون فقد بلغ من بساطة تفكيرهم انهم يقبلون الاحداث على علاتها دون سؤال او جواب . ففي زعمهم ان الروس الذين ايدوا مصر ، لا بد انهم يشعرون الآن بالامتعاض لاندحار حليفتهم. بيد ان هذا النوع من الغش للطرفين شيء طبيعي جدا للحكومة السوفياتية .

واری ان المخطط الروسي كان يرمي الى هدفين :

اولا ـ حمل الولايات المتحدة على الظهور والتزام جانب اسرائيل بشكل لا يمكن الرجوع عنه وذلك في اللحظة التي تتعرض فيها مصر للهجوم . ومن الغريب ان بريطانيا ، التي كانت حتى تلك الساعة اكثر حذرا وحرصا من الولايات المتحدة ، حذت حذوها واقتفت اثرها . وربما كان ذلك للروس نعمة وأي نعمة ، لم تكن في حسبانهم .

ثانيا ـ جر العرب الى هزيمة نكراء فيما تكون الولايات المتحدة وبريطانيا قد التزمتا كليا جانب اسرائيل .

ومن شأن تحقيق هذين الهدفين اقناع الدول العربية بأن لا امل لكفاحها ضد اسرائيل وبالتزام بريطانيا واميركا قضية اسرائيل التزاما كاملا . ويتضح بعدئذ ان الامل الوحيد للعرب هو الارتماء دون تحفظ في احضان روسيا .

صحيح ان المصريين ربما كانوا مستائين من عدم تدخل الروس لانقاذهم من الهزيمة . غير ان سخطهم مهما بلغ من هذه الناحية فانهم مضطرون الى الاعتماد على روسيا وحدها لاعادة بناء انفسهم .

وسارت الامور كلها وفقا للمخطط السوفياتي . فما ان اتخذ موقف الرئيس عبد الناصر وجه التهديد حتى وقعت الولايات المتحدة في الفخ وتبعتها على الاثر بريطانيا . واذا بالعالم العربي، بدافع السخط وانكشاف الامور ، يقطع العلاقات والنفط ويلوح بكل وسيلة للثأر . واذا كان الزعماء السوفيات قد ضحكوا في حياتهم من صميم افئدتهم ، ففي تلك الساعة .

لعبة الربح والخسارة

ولو افترضنا افتراضا أستبعد تصديقه ان روسيا كانت تقدر انتصار مصر ، فلو حدث ذلك لتدخلت الولايات المتحدة (وتبعتها بريطانيا) بصورة أقوى الى جانب اسرائيل ولزاد ابتعاد العالمين العربي والاسلامي عن الغرب ، ولما كان العرب في مثل هذه الحالة مضطرين الى الارتماء كليا في أحضان روسيا .

فرصة اسرائيل

ومع ان اسرائيل كانت في البدء تشك في ان الرئيس عبد الناصر جاد في المغامرة بالحرب ، فقد أدركت على ما يبدو ان فرصة لا مثيل لها

قد سنحت • وليس ثمة من شيء كثير يمكن لاسرائيل أن تحصل عليه من مصر سوى احتمال مرور سفنها في قناة السويس • فصحراء سيناء التي تمتد الى ٢٠٠ ميل من الرمال والصخور المجدبة ، تفصل مصر عن اسرائيل •

بيد ان حدود الاردن منذ عام ١٩٤٨ لم تكن لتبعد أكثر من ١٢ ميلا عن البحر الابيض المتوسط • وكان يحتفظ أيضا بنصف القدس بما في ذلك الاماكن المقدسة • والاردن بلاد صغيرة جدا وفقيرة جدا • وكان لديها ابان الحرب الاخيرة ، كما ورد في الصحف ، لواء مدرع واحد بينما كان لاسرائيل ثماني فرق مدرعة •

وفوق هذا وذاك كانت طائرات الاردن قليلة العدد وقديمة الصنع ، اذ لم يكن لديه المال الكافي لشراء أفضل منها • ومعظم الجيش الاردني أبيد بالنابالم ، أو ما يمكن تسميته بالنار السائلة التي تقذف من الجو فتحرق كل شيء على الارض •

وأمامي الان بيانات أصدرها فريق من الاطباء من الجامعة الاميركية في بيروت تطوعوا للمساعدة في مستشفيات الاردن العسكرية • وفيما يلي مقتطفات منها :

« قمت بمعالجة ما يتراوح بين ٦٠٠ و ٧٠٠ مصاب بينهم ١٥٠ مدنيا • وكان مئتان منهم يشكون من حروق من الدرجة الثانية • ولم أر جرحا واحدا ناجما عن اصابة بالرصاص » •

(وأفاد عدة جنود بأن وحداتهم أبيدت بالنار دون أن يشاهدوا جنديا اسرائيليا) •

« وذكر طبيب ان مستشفى ميدان متنقل يضم ٣٥٠ مريضا أحالته قنابل النابالم بما فيه من مرضى وموظفين الى رماد » •

والواقع ان القوات الاردنية المسلحة كانت أقل من جزء من ١٢ من

القوات الاسرائيلية من حيث العدد ، ناهيك بأسلحة اسرائيل الحديثة وأسلحة الاردن القديمة •

معضلة الاردن

والحكومة الاردنية مدركة لانكشاف أراضيها • وكان الاردن حتى عام ١٩٥٦ يعتمد على معاهدته مع بريطانيا • ولكن الاردن أنهى في ذلك العام ، لسوء حظه ، هذه المعاهدة • ومع ذلك فقد بقي على علاقات ودية جدا مع بريطانيا والولايات المتحدة اللتين لم تتقاعسا عن مده بالمساعدات المالية • والاردن من الدول العربية القليلة التي كانت ترفض على الدوام الملاطفات الشيوعية ، معتمدة كل الاعتماد على الدول الغربية •

غير ان هذا الموقف من جانب الاردن وسياسته المستقلة أثارا حفيظة مصر وسوريا اللتين قامتا بمحاولات متكررة لخلق الثورات في ذلك البلد • واحتجت مصر وسوريا لاعمالهما التخريبية هذه بأن الاردن لم يكن يكافح اسرائيل قلبا وقالبا ، وبأن بالامكان الحاق الهزيمة باسرائيل بسهولة لولا « غدر » الاردن • وكانت مصر المطمئنة وراء ٢٠٠ ميل من صحراء سيناء تنفذ المخربين الى اسرائيل • أما الاردن الصغير المسكين المطوق بنصفه تقريبا من قبل الاسرائيليين الذين يفوقونه قوة أضعافا مضاعفة فكان مجبرا على تفادي الاستفزاز من أي نوع كان •

ومن الواضح انه لو دخلت مصر الحرب مع اسرائيل وتخلف الاردن لثبت اتهام الملك حسين بالتواطؤ مع اسرائيل • ولو خرج الرئيس عبد الناصر ظافرا لقتل الملك حسين بالرصاص باعتباره خائنا • ولو اندحرت مصر لوضعت الملامة كلها على « غدر » الاردن •

فكان الاردن بعد أن تخلت عنه صديقتاه : الولايات المتحدة وبريطانيا ، في موقف يائس • والذين يقولون اليوم انه ما كان للملك حسين ان ينتصر لمصر ، لا يعرفون المعضلة المستحيلة التي كان يعانيها الاردن •

فمنذ الصفعة التي تلقتها اسرائيل على يد الجيش الاردني عام ١٩٤٨ وهي تتحين الفرصة المناسبة لاجتياح القسم العربي الباقي من فلسطين • ولكن بما ان الاردن كان صديقا لبريطانيا والـولايات المتحدة لم يتح عذرا لاسرائيل لتحقيق مآربها •

وكنت منذ ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ مسؤولا في ظل الحكومة الاردنية عن الدفاع عن حدود الاردن مع اسرائيل • وكنت بطبيعة الحال موقنا من عجز الاردن عن مجاراة الحشد الاسرائيلي المتزايد ، ولا سيما في سلاح الجو ، اذ لا تتوفر الاموال الكافية لدى الاردن لتنظيم قوة جوية عصرية •

غير ان التأييد المطلق الذي أعربت عنه الدول الغربية لاسرائيل عند بدء الازمة الحالية واضطرار الاردن للاسباب التي سبق شرحها الى الاعراب عن تضامنه مع مصر أتاحا لاسرائيل العذر الذي طالما أنكر عليها • فتدمير الاردن هو غاية ما تتمناه اسرائيل على الله ، ونعمة كبرى لروسيا ، لان الاردن منذ خمسين سنة وهو الحليف المخلص لبريطانيا • ومغزى ذلك لآسيا واضح •

هل اسرائيل حصن للاستعمار ؟

التهمة المزمنة التي ما برحت توجه ضد اسرائيل منذ بدء الهجرة اليهودية عقب الحرب العالمية الاولى هي انها أداة في يد « الاستعمار الغربي » • وفيما يقال لنا باستمرار ان لليهود المضطهدين الحق في الحياة ، يعتقد العرب ان اسرائيل ليست سوى مخلب للهجوم • والحماسة التي تبديها الدول الغربية في الدفاع عن اسرائيل توحي الى العرب بأن دوافع هذه الدول ليست انسانية بحتة بل ان المقصود منها هو بالدرجة الاولى مصالحها • ويعتقد العرب ان اسرائيل هي معقل أنكلو ــ أميركي مشحون بأحدث الاسلحة وأنشىء بين ظهرانيهم ليكون بمثابة تهديد مسلح دائم للعالم العربي •

وقد يكون العرب على خطأ كامل في هذا الرأي ، ولكن من المهم أن نعرف ما يدور في خلدهم لنفهم تصرفاتهم •

فطوال المدة التي انقضت منذ وعد بلفور في عام ١٩١٧ وبريطانيا وأميركا عرضة لاعنف الحملات السياسية لاقامتهما هذا العدو المسلح في قلب الشرق الاوسط • والكراهية الموجهة الى اسرائيل نفسها أقل مرارة من تلك الموجهة الى الدول الغربية التي تعتبر اسرائيل مجرد أداة في يدها •

واليهود والعرب ، خلافا للاعتقاد السائد في بريطانيا ، ليسوا أعداء تقليديين • بل على العكس من ذلك فان اليهود والمسلمين كانوا لثلاثة عشر قرنا خلت ، قبل بدء الصهيونية ، حلفاء تقليديين ضد المسيحية • ولم يسبق للعرب أن اضطهدوا اليهود كما اضطهدتهم الشعوب الاوروبية • ومن المهازل أن نرى الغرب الذي قام بهذا الاضطهاد ينزل العقاب على هذه الفظائع الماضية بأناس لم يقترفوها ، لا بل انهم كانوا لعدة قرون يؤمنون المأوى والملجأ لليهود المضطهدين الفارين من أوروبا •

وكان من المحتمل لهذه العلاقة العربية ــ اليهودية الودية أن تستمر الى يومنا هذا لو لم يقرر الصهيونيون استخدام القوة بدلا من الاخوة • القوة التي قدمتها أولا بريطانيا ثم أميركا •

وعزز رد الفعل القوي الذي أبدته أولا الولايات المتحدة ثم بريطانيا في تأييد اسرائيل عقب بدء الازمة الحالية الاعتقاد بأن اسرائيل أداة في أيديهما وبأنهما أقاماتها هناك واحتفظتا بها بغية استخدامها لبسط سيطرتهما على الشرق الاوسط •

والواقع ان التأييد البريطاني للصهيونية ، على الاقل في السنوات الاولى التي تلت الحرب العالمية الاولى ، كان يستمد قوة كبيرة من دوافع انسانية ، ومن العطف على اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد ، ومن الشعور الديني مع شعب الله المختار • ولكن منذ أن أصبح هذا التأييد

قائما على رؤوس الحراب البريطانية فقد الشعب الفلسطيني تقديره للنواحي الانسانية في الموضوع .

ومع ذلك تمنى الكثيرون من اليهود الذين كانوا يذكرون التقاليد القديمة أن يعيشوا بسلام مع العرب وأن يفيئوا عليهم بفوائد عملهم ومعارفهم الفنية . غير ان قوة عام ١٩٤٨ كانت ناجحة فأخرست صوت دعاة الانسانية اليهود .

مشكلة السويس

ثم جاءت عملية السويس عام ١٩٥٦ عندما تعاونت حكومتان غربيتان عسكريا مع اسرائيل ضد مصر . ولا بد أن يكون معلوما بوضوح ان الدول البحرية ربما كانت أو لم تكن لها قضية ضد مصر بشأن السويس . ولو انها لاحقت ظلامتها لكان دافعها موضع تفهم وادراك . أما أن تقوم بهذه العمليات مع اسرائيل كحليفة لها فقد أكدت جميع شكوك العرب في ان اسرائيل هي قاعدة عسكرية غربية واسعة لتوجيه الحملات العسكرية ضد أي من دول الشرق الاوسط .

مضايق تيران

ان مسألة الملاحة في مضايق تيران ، قضية دقيقة . فمصر تدعي بأنها مياه اقليمية . وأنا ، والحق يقال ، لست خبيرا في قانون البحار ، وقد لا يكون هناك ما يبرر هذا الادعاء ، ولكن كان من الاجدر بالدول الغربية أن تقارع الحجة بالحجة لدحض هذا الادعاء . فموقفها الفوري الصاخب لنصرة اسرائيل « ظالمة أو مظلومة » أكد أسوأ شكوك العرب في ان أميركا وبريطانيا ليستا دولتين انسانيتين متحضرتين

كبريين ، بل هما دولتان سفاحتان مسلحتان تدافعان عن قاعدتهما العسكرية .

ولم يبد في الواقع ان ثمة حافزا للاسراع في فتح مضايق تيران . فاسرائيل استمرت في عالم الوجود عدة سنوات بعد عام ١٩٤٨ قبل أن توسع ميناء ايلات الى حجمه الراهن . ولو انها كانت تفتقر الى النفط لامكن تزويدها به من اميركا فيما تكون النواحي القانونية للنزاع موضع بحث ودراسة .

والولايات المتحدة دولة واسعة القوة ، وما حكومات الشرق الاوسط سوى أقزام أمامها . ومن الصعب أن نصدق انها كانت تعتقد ان الاسرائيليين كانوا فعلا معرضين لخطر القذف بهم في البحر في الوقت الذي يعرف فيه تماما كل ضابط خدم في المنطقة (وفي كل بلد ملحق عسكري أميركي) ما هي قوة مصر بالنسبة الى قوة اسرائيل . أفلا يصح القول اذن ان أميركا قد تسرعت في اعلان تأييدها لاسرائيل في وقت مبكر جدا ؟

ضعف بريطانيا

تقول لنا الحكومة البريطانية ان بريطانيا هي **الان** أضعف من أن تقوم بدور فعال في الشرق الاوسط . غير ان لبريطانيا مصالح ضخمة في آسيا وافريقيا . والهولنديون هم في موقف مماثل تقريبا ولهم عدة ارتباطات في الشرق الاوسط ومصالح ملاحية واسعة النطاق يلاحقونها بهدوء وسلام .

فلئن كانت الولايات المتحدة بمثل هذه القوة وبريطانيا بمثل هذا الضعف ، فلماذا تتدخل مع الاميركيين على نحو الثور الهائج الذي يقتحم حانوتا لبيع الآنية الزجاجية ؟ وخير ما يفعله المرء حين يحاصر في زاوية ضيقة أن يلزم الصمت . والروس الذين يحيكون دسائس

لا نهاية لها أحسنوا صنعا بأن لزموا الصمت ولم يسمحوا لاسارير وجوههم بأن تظهر ما يضمرون في قلوبهم •

السياسة السوفياتية

من المؤكد ان السياسة السوفياتية ترمي في الوقت الحاضر الى تجنب المخاطرة بحرب نووية • وتأمل روسيا أن تحقق السيطرة على العالم بطريقتين :

أ ــ باستنزاف قوى الدول الغربية وذلك عن طريق اثارة المتاعب لها في كل بقعة من العالم ، كما هي الحال في فيتنام • فهي تزود الفيتناميين بالاسلحة وتمتنع عن تسهيل أمر محادثات السلام • والروس لا يقحمون أنفسهم اطلاقا في هذه المعارك ، في حين ان الاميركيين والبريطانيين ينخرطون دائما في العمليات التي تثيرها الدسائس الروسية •

والدول الغربية بهذه الطريقة لا تستنزف قواها فحسب بل انها تجر على نفسها نقمة العالم المتزايدة • وليس هذا كل ما في الامر ، فان جميع البلدان المتخاصمة مع بريطانيا وأميركا تجد نفسها مضطرة الى الاعتماد على روسيا •

ولا بد لنا هنا من ايضاح هذه النقطة • فروسيا تحاول كسب دول آسيا وافريقيا غير المنحازة باثارة المتاعب بينها وبين الولايات المتحدة وبريطانيا • وعندما تقع الواقعة ، أو قل حين يحدث توتر سياسي ، يهب الروس لمساعدة ضحية « العدوان الاميركي » •

وفي حالة كحالة الشرق الاوسط هذه فان في وسع الروس أن يغرروا بدولة شرقية لالحاق الهزيمة بها كي يهبوا فيما بعد لانقاذها من براثن « الاستعمار الغربي » •

ب ــ والوجه الثاني من السياسة السوفياتية بعد خلق العداء

للغرب ، هو تغذية النشاط التخريبي داخل الدول الغربية نفسها ضد حكوماتها • وبذلك يأمل الروس تسهيل مهمة المنظمات السرية التي يحتفظون بها في البلدان الغربية لدعم الثورة •

وقد دبرت روسيا أزمة الشرق الاوسط الحالية لهذه الغاية ، وهي أقل ما تكون اهتماما بالعرب ومظالمهم • وهي على الرغم من غضبتها الراهنة على اسرائيل ، كانت تسابق الولايات المتحدة عام ١٩٤٨ على الاعتراف بالدولة الجديدة • وعلى الرغم من الحظر الذي فرضته الامم المتحدة على تزويد المتحاربين بالاسلحة فقد مدت روسيا اسرائيل ، وليس العرب ، بالاسلحة فيما كان القتال دائرا •

وقد تحولت فيما بعد في انحيازها ، وهي تأمل الآن أن تثير نزاعا بين العرب والغرب ، واذا أمكنها بين العالم الاسلامي كله والغرب • وعندما أعلنت الولايات المتحدة تأييدها لاسرائيل ، كانت الاهداف الروسية هذه قد قطعت شوطا بعيدا نحو التحقيق •

العالم العربي

لقد رأينا ان روسيا هي التي خططت للازمة الحالية :

أ ــ للايقاع بين الولايات المتحدة والعالم العربي بحمل الولايات المتحدة على اعلان تأييدها دون مواربة أو غموض ومن طرف واحد لاسرائيل « ظالمة أو مظلومة » •

ب ــ لجر مصر وسوريا الى هزيمة نكراء ترغمهما على الارتماء دون تحفظ في أحضان روسيا بعد أن تكون بريطانيا والولايات المتحدة قد أعلنتا صراحة (كما اتضح) وقوفهما الى جانب اسرائيل •

وهكذا وقعت بريطانيا وأميركا في الفخ بكل بساطة •

* * *

يمتد العالم العربي قرابة أربعة آلاف ميل من المغرب الى رأس

الخليج العربي • ويشغل جانبين من جوانب البحر الابيض المتوسط الاربعة ، وممر الشرق الاوسط بكامله الذي تعبر منه التجارة وحركة النقل من الشرق الاوسط وأوستراليا والهند وافريقيا الشرقية الى أوروبا •

ومع ان الدول العربية ضعيفة عسكريا فان أراضيها تعتبر من ناحية استراتيجية أهم مواقع العالم • والخطر الذي يتهدد الدول الغربية ليس في القوة العسكرية للدول العربية وانما هو في أهمية الاراضي التي تشغلها هذه الدول في حال وقوعها تحت السيطرة الروسية •

ولا شك ان الدول العربية ستدافع عن استقلالها في وجه السيطرة الروسية الى أقصى حد مستطاع لولا خوفها من اسرائيل أو من الدول الغربية المؤيدة لها الذي دفعها الى الاعتماد اعتمادا لا رجوع عنه على رحمة السوفيات •

واسرائيل من جهة أخرى يكاد لا يكون لها أرض • ففلسطين كلها لا تزيد في حجمها على حجم ويلز • وليس لدى اسرائيل قناة الى المحيط الهندي أو حقول نفط • ويتعذر الهبوط في اسرائيل أو الطيران منها الى الشرق دون التحليق لمئات الاميال فوق أراض عربية •

ان عدم جدوى اسرائيل من الناحية الاستراتيجية ، هو للذين يتعمقون في درس الموضوع ، أقوى حجة ضد النظرية القائلة انها معقل انكلو ــ أميركي في الشرق الاوسط •

ومن المهم أيضا أن نعرف ان تزويد مصر وغيرها من البلدان بكميات كبيرة من العتاد الروسي الثقيل يعود الى انه في حال وقوع طارىء عظيم يمكن نقل العسكريين الروس بالطائرات بسرعة لاستعمال الدبابات والطائرات في غضون ساعات قلائل • ولا يفصل شمال العراق عن الاراضي السوفياتية سوى ١٥٠ ميلا • وبعد ذلك يكون الطيران من القفقاس الى القاهرة فوق أرض عربية •

وقد تكون اسرائيل عملاقا في وجه الاردن ولكنها تكون قزما في وجه العملاق الروسي •

الولايات المتحدة هي الجانب الاخر من العالم

ولا بد أن يكون من المفهوم بوضوح انه فيما قد يكون العدوان في الشرق الاوسط كارثة لبريطانيا ، بل لاوروبا كلها ، فانه ليس بذلك الشيء المهم جدا للولايات المتحدة • فأميركا تقع على الجانب الآخر من العالم بالنسبة الى جزيرة العرب ، ولا يترتب عليها أن تقطع الشرق الاوسط لتصل الى الهند أو الشرق الاقصى أو أفريقيا الشرقية ، فهي تبلغ المحيط الهندي عبر المحيط الهادي • بيد ان سفينة واحدة من بين كل ست سفن تمر عبر قناة السويس تكون بريطانية ، وتكاد الولايات المتحدة لا تكون بحاجة الى هذه القناة اطلاقا •

ولكن في النهاية اذا سيطرت روسيا على العالم العربي كان ذلك كارثة لاميركا أيضا ، اذ من شأنه أن يضعف حلفاءها الاوروبيين ، غير انها لا تشعر في الحال بضيق عظيم من جراء اقفال الشرق الاوسط في وجه سفنها وطائراتها •

السيادة على البحر الابيض المتوسط

من أعظم الامبراطوريات التي قامت في التاريخ امبراطورية الفرس (٥٣٩ ــ ٢٣١ ق•م•) وامبراطورية الاسكندر الكبير وامبراطورية الاغريق والامبراطورية الرومانية والامبراطورية العربية والامبراطورية البريطانية • وعلى الرغم من التفاوت العظيم بين هذه الامبراطوريات فقد كانت تشترك في شيء واحد • لقد كانت جميعها تحتل مصر وتبسط سيادتها على البحر الابيض المتوسط • (وسيطر الفرس والاغريق فقط

سيطرة كاملة على نصف هذا البحر الشرقي ، أما غربه في ذلك العهد فكان غارقا في همجيته) •

وكان الرومان يتمتعون بالسيادة على البحر الابيض المتوسط وجميع شواطئه ، فتمت لهم بذلك السيطرة على أوروبا مدة عدة قرون • واحتل العرب سوريا ومصر وشمال افريقيا والاندلس ، ولبعض الوقت صقلية ومالطا وجنوب ايطاليا • وقد أدت سيادة العرب على البحر الابيض المتوسط الى تحويل أوروبا الغربية من منطقة تجارية مزدهرة في عهد الرومان الى اقطاع العصور المظلمة وجهلها وفقرها • وعندما كانت سيادة هذا البحر في أيدي المسلمين تدهورت التجارة والصناعة في أوروبا •

ولنلق نظرة سريعة على مصير الامبراطوريات التي أخفقت في احراز السيادة على البحر الابيض المتوسط • ففي القرن السادس عشر كانت الامبراطورية العثمانية أعظم امبراطوريات العالم ، وغزت المجر التي كانت في ذلك العهد تضم جزءا كبيرا مما يعرف الان بتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وألحقتها بأراضيها ، وأوقعت الحصار على فيينا ، وعبر جنودها الى المانيا • وكانت لهذه الامبراطورية السيادة في النصف الشرقي من البحر الابيض المتوسط •

وفي عام ١٥٦٥ أدرك العثمانيون انه اذا كان لهم أن يقوموا بفتوحات جديدة في أوروبا فلا بد لهم قبل ذلك من أن يستكملوا السيادة البحرية على البحر الابيض المتوسط • ولذلك أوقعوا الحصار على مالطا ، مفتاح هذا البحر ، الا انهم فشلوا في الاستيلاء عليها • وفي عام ١٥٧١ مني أسطولهم بالهزيمة في ليبانتو • وهكذا أخفقوا في احراز السيادة على البحر الابيض المتوسط ، وكان ذلك نقطة التحول في عظمة الامبراطورية العثمانية ، اذ بعد موقعة ليبانتو بدأت امبراطوريتهم بالاضمحلال •

وفي عام ١٧٩٨ كان نابليون بونابرت على عتبة أبواب المجد • وكانت أوروبا كلها تقريبا في ذلك الحين معادية لفرنسا ، فجرد نابليون جيشا غزا به مصر • فقد أدرك بفكره الثاقب ان السيطرة على أوروبا تقتضي أولا الاستيلاء على مصر •

بيد انه وقع في خطأ الاستيلاء على مصر قبل أن يضمن السيادة على البحر الابيض المتوسط • فدمر الاسطول البريطاني سفن نابليون في معركة النيل وانتهت الحملة الفرنسية بالفشل • وبعد معركة واترلو وحين كان الامبراطور في منفاه في « سانت هيلانة » يستعرض تاريخه قال ان فشله في الاستيلاء على الشرق الاوسط كان السبب في تغيير مصير امبراطوريته • وقال للسير هدسون لو ، الحاكم البريطاني ، ان مصر هي أعظم قطر في العالم • وقد انتهت سلسلة غير منقطعة من الانتصارات العسكرية الباهرة في أوروبا الى الفشل لان بريطانيا كانت تملك السيادة على البحر الابيض المتوسط •

وخرج الحلفاء الغربيون من الحربين العالميتين الماضيتين بالنصر لان بريطانيا كانت في مصر وتملك السيادة على البحر الابيض المتوسط • ولذلك فان ألمانيا أخفقت ، كما أخفق نابليون من قبلها ، في كسب الحرب على الرغم من كل ما بلغته انتصاراتها البرية •

وعندما كانت بريطانيا مهددة في عام ١٩٤٠ بالغزو أرسل المستر ونستون تشرشل التعزيزات حول رأس الرجاء الصالح الى مصر • فقد أدرك ، كما أدرك نابليون من قبله ، ان النصر النهائي في أوروبا يعتمد على امتلاك مصر والبحر الابيض المتوسط •

ونظرا لهذه العناصر يبدو تخلي بريطانيا أخيرا عن مالطا واحتمال التوصل الى حل وسط بشأن جبل طارق ، من الاعمال المحفوفة بالمخاطر•

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المقام انه عندما بلغت مفاوضات بريطانيا مع مالطا طريقا مسدودا عرضت روسيا على الجزيرة اعانة

« دون قيود » .

وبما ان الشعور المعادي للاستعمار يقض علينا مضاجعنا فاننا نخشى أن يقوم الرئيس عبد الناصر باحتلال عدن . والمهم فعلا هو معرفة ما اذا كانت عدن ستمسي قاعدة بحرية روسية على المحيط الهندي .

روسيا والبحر الابيض المتوسط

منذ مائة وخمسين سنة وروسيا تسعى وراء الحصول على قاعدة بحرية لها في البحر الابيض المتوسط . ووجهت أطماعها بادىء ذي بدء للاستيلاء على القسطنطينية (استانبول) . ولم يكن لديها حلفاء في المتوسط يضعون قواعد بحرية تحت تصرفها .

واليوم تتخلل الشواطىء الجنوبية والشرقية للمتوسط مطارات وقواعد بحرية شيدت معظمها بريطانيا أو فرنسا . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بيروت والاسكندرية وبنزرت في تونس ووهران في الجزائر .

ومن شأن التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي وهذه البلدان العربية أن يضع هذه المرافق في متناول يد روسيا التي كانت تحلم بها منذ ١٥٠ سنة . ولا أعتقد ان هذه البلدان في عجلة من أمرها لمنح هذه المرافق التي من شأنها أن تحول هذه البلدان حتما وبصورة تدريجية الى دول ضالعة في الفلك الروسي . غير ان استمرار التأييد الانكلو – اميركي المتحيز لاسرائيل قد يحمل هذه البلدان العربية على اتخاذ مثل هذا القرار . ولا شك ان هذا هو ما تهدف اليه السياسة الروسية .

ويكفي تدبر هذه العناصر لمعرفة سخافة نعيق الصحافة البريطانية التي تنعي على روسيا « مراهنتها على الجواد الخطأ » . ويمكن القول ان المخطط الروسي صادف حتى الان نجاحا خالصا من كل شائبة .

روسيا واسرائيل

لئن كان العالم العربي بمثل هذا الاتساع والاهمية الاستراتيجية الكبيرة فان العالم الاسلامي لا يزال أكثر منه اتساعا وأهمية . فهو يبدأ من موريتانيا على المحيط الاطلسي ويمتد عبر جنوب الاراضي السوفياتية الى منغوليا . وان نظرة سريعة على الخريطة تظهر ان هذه المنطقة الشاسعة ، اذا ضمت الى روسيا ، طوقت أوروبا تطويقا كاملا باستثناء الساحل الغربي المواجه لاميركا .

واذا قدر لروسيا أن تسود على العالم العربي فان أوروبا على الارجح سترغم على الخضوع للحكم السوفياتي أيضا . وهذه هي رهونات روسيا ويجب أن لا نخدع أنفسنا بصددها .

وقد تمسي الدول العربية مستعمرات روسية ، وهذا كيان لا تطيقه اطلاقا ، غير ان الخوف من غزو اسرائيلي قد يحمل بعضها على اتخاذ خطوات تسرعية تفضي في النهاية الى هذه النتيجة .

وبريطانيا ، من بين جميع الدول الكبرى ، تحتفظ منذ قرن ونصف القرن أو قل منذ قرنين بأوثق الروابط مع العالم الاسلامي ، وتليها في ذلك فرنسا ، وربما كانت الثالثة هولندا . ومع ان جميع هذه البلدان الاسلامية هي الان مستقلة ، فانها مرتبطة ارتباطا وثيقا ببريطانيا في التجارة والمال والملاحة وغير ذلك من أوجه النشاط . ويفد على انكلترا الطلاب المسلمون بأعداد كبيرة طلبا للعلم . ولولا هذه العلائق الودية مع العالم الاسلامي لعانت بريطانيا الامرين .

وفي تلك الايام الخوالي ، أيام الاستعمار البغيض الذي نندد به جميعا ، كان عشرات الالوف من البريطانيين يعيشون بالفة ومحبة مع الشعوب الشرقية ، وغالبا ما كان مجلس الوزراء البريطاني يضم بين أعضائه من له خبرة في المنطقة ، وكذلك كان الحال مع البرلمان

البريطاني • فكانت مشاعر الشعوب الآسيوية وعاداتها ومصالحها معروفة جيدا في انكلترا •

وكان البريطانيون في الشرق متغطرسين أحيانا ولكنهم كانوا أيضا نافعين • ناهيك بألوف البريطانيين الذين أقاموا وشائج محبة وأواصر مودة مع الافراد من العرب والمسلمين الهنود والسيخ والغورخا والملايو وغيرهم • ولا شك في ان انتهاء الامبراطورية خفف من حدة العداء السياسي غير انه في الوقت ذاته فصم الكثير من الروابط الدقيقة المتبادلة للمحبة والتعاطف والتفاهم •

وأدى تحولنا الى أوروبا وأميركا الى نسيان هذه الروابط مع ان معيشتنا نفسها تعتمد على الاحتفاظ بها • أضف الى هذا ان ثمن هذه الروابط ، وهي الروابط الانسانية ، باتت الان معرضة لخطر الانفصام • ويقول خبراؤنا الماليون : « ان العرب مضطرون الى بيعنا نفطهم ، ذلك لانهم بحاجة الى المال » • ولكن هل في الامكان ، يا ترى ، الابقاء على المودة والتعاون على أساس المال فقط ؟ ان المحبة والعطف والتفاهم هي التي تؤلف بين أنحاء العالم ، وهذه أمور لا تحسب كما تحسب الخسائر والارباح المادية • ومع ذلك فان أرباحنا وخسائرنا ، لا بل ان بقاءنا نفسه ، كل هذه تتوقف على هذه الخصال الحميدة ، أي على التسامح المتبادل والتفاهم والتعاطف •

كتبت « الاوبزرفر » مرة في أحد مقالاتها تقول : « نهاية حب بريطانيا لجزيرة العرب » • فهل من الحكمة أن تصفع الصحافة البريطانية وجه أصدقائنا وحلفائنا القدامى ؟ وهل هي الصحافة أم الحكومة التي تختار حلفاءنا ؟

وقليلون هم البريطانيون الذين يدركون ان كل كلمة تنشر في الصحف الانكليزية تعلم في اليوم التالي في العواصم العربية حيث حرية

الصحف الانكليزية غير معروفة • وكم من مرة سمعت العرب يقولون عندما تظهر عبارة معادية أو شائنة في احدى الصحف الانكليزية : « لا تستطيع هذه الصحف أن تكتب ذلك لولا موافقة الحكومة عليه » •

العلائق العامة

ان الكثير من أسباب وجود الثغرة الخطرة المتسعة بين الدول الغربية وآسيا وافريقيا يعود الى العلائق العامة • وللاسرائيليين جهاز فعال بشكل عجيب للعلائق العامة في بريطانيا واميركا ، بالاضافة الى نفوذهم القوي في الصحافة والسينما وغير ذلك من وسائل الاعلام • وليس لدى أي دولة عربية شيء من هذا القبيل •

وفي أثناء الازمة الاخيرة كانت الصحف تظهر وهي مليئة من الغلاف الى الغلاف بأنباء اسرائيلية • ولم أعثر على مقالة واحدة في أي مكان تعرض وجهة نظر أخرى •

ولا يعود ذلك الى التحيز وحده • وخلال حديثي مع الصحفيين والاذاعيين علمت ان الصور والافلام والتسجيلات والمقالات ولمع الاخبار كانت تتدفق على مكاتبهم من مصادر اسرائيلية ، ولم يكونوا يسمعون كلمة واحدة من البلدان العربية •

ولكن في آسيا لا يملك الاسرائيليون جهازا كهذا • وتتلقى البلدان العربية الانباء من وكالات محلية أو من أفواه اللاجئين والنازحين • وهكذا نجد ان الرأي العام في بريطانيا وأميركا من جهة ، وفي آسيا من جهة ثانية ، يثور ويهيج بسبب الروايات المتناقضة عن الاحداث الجارية •

وأنا شخصيا لا أستطيع تفادي القول ان على الاذاعات والصحف المسؤولة في الولايات المتحدة وبريطانيا أن تبذل جهودا مضنية لعرض وجهتي النظر بدلا من نشر ما تتلقاه فقط من جهاز ممتاز للعلائق العامة •

آسيا وافريقيا

ان ردود فعل أزمة الشرق الاوسط لم تقتصر على العالم الاسلامي. فقد أعربت الهند عن تأييدها لقضية العرب . ويشترك قسم كبير من آسيا في الرأي القائل ان اسرائيل هي حصن أمامي « للاستعمار الغربي » .

والطبقة الحاكمة في اسرائيل هي من الاوروبيين الذين غالبا ما يحتقرون العرب ويعتبرونهم « محليين » . وهذا الموقف الذي تخلت عنه بريطانيا منذ ستين عاما ما زال يتخلل الموقف الاسرائيلي . وفيما تعود الحكومة البريطانية لتثبت المساواة بين الاجناس البشرية يميل الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى اتخاذ شكل ثورة المعوزين على الموسرين .

وتجدر الاشارة هنا الى ان ذيوع الرأي القائل ان اسرائيل هي « حصن استعماري » انكلو ـ اميركي مشحون بالخطر الشديد على مستقبل اسرائيل نفسها . ومن شأن كل انتصار عسكري تحرزه بتأييد غربي أن يزيد في تفاقم عداء الجماهير الغفيرة في آسيا وفي شمال افريقيا (ان لم نقل كلها) .

وغالبا ما يقول العرب : « ما كان لنا أن نخاصم اليهود لو انهم أصبحوا مثلنا منصهرين في الشرق الاوسط . ان ترفعهم كأوروبيين هو الذي يجعل من المستحيل التفاهم معهم » .

وهذا الاحتقار الذي لا يقوم على حصافة في الرأي لجيرانهم والذي يزداد مع كل انتصار عسكري ، يبدو معاكسا لمصالح اسرائيل في الوقت الطويل . والآسيويون شعوب ذات انفة واباء وتمقت الاحتقار .

والخصام الذي بدأ في بلاد فلسطين الصغيرة امتد الان الى العالم العربي ، والى العالم الاسلامي أيضا ولكن الى مدى أقصى . وقد

يمتد قريبا الى مناطق أوسع وأوسع في آسيا وافريقيا الى أن يصبح قضية تجربة وامتحان في الصراع القائم بين شعوب الغرب وشعوب آسيا وافريقيا .

ومن سوء الحظ ، وحسب الطبيعة البشرية ، ان أعمال اللطف والانسانية تنسى بسرعة ، أما الشتائم والجراح فتنتقل من جيل الى جيل . فمثلا اسراع الولايات المتحدة لتغذية مناطق المجاعة في الهند ينسى فورا ، في حين ان تلويحها بالقوة دفاعا عن اسرائيل سيبقى ماثلا في الاذهان عشرات السنين .

ولقد استغربت الصحف البريطانية والاميركية التظاهرات الحماسية الصاخبة التي نظمت تأييدا للرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة . وأتساءل أين كان علماء النفس في تلك اللحظة ؟ فلو قيض النصر للرئيس عبد الناصر لكان موضع حسد الكثيرين . أما بعد الهزيمة فقد أصبح شهيد « الاستعمار الغربي » . ولا ندري الى متى سيدوم هذا الاعتبار ، غير ان الشهداء أناس غريبون فعلا .

وليس قصدي القول ان العالم الاسلامي سيتحالف في يوم من الايام مع روسيا . فالالحاد الشيوعي يقف حجر عثرة في هذا السبيل . وفي الاراضي السوفياتية عشرون مليون مسلم ، ولم يخف الحزب الشيوعي اطلاقا احتقاره للدين الاسلامي وعداوته له . في حين ان العالم الاسلامي صديق لنا منذ أمد بعيد ومرتبط معنا بروابط وثيقة . واذا حدثت قطيعة بيننا وبين العالم الاسلامي كان ذلك وبالا على الجهتين . غير ان كل مسلم في العالم كان ضدنا في أزمة الشرق الاوسط هذه .

وليس للولايات المتحدة روابط قديمة كهذه مع المسلمين ، اذ انها تقع ، كما سبق ذكره ، على الجانب الآخر من العالم . ولن تكون عداوة

العالم الاسلامي مؤذية فورا لاميركا بقدر ما هي مؤذية لنا • ولا يخفى ان بريطانيا متحالفة مع أميركا في حلف شمال الاطلسي وبينهما علائق خاصة • ولكن هذا لا يلزمنا بأن نردد صدى كل بيان تصدره أميركا وعلى الاخص فيما يتعلق بأمور تمسنا بطريقة تختلف عن مساسها بالولايات المتحدة بسبب وقائع تاريخية وجغرافية •

وفي هذا الكفاية عن رد فعل هذا الصراع في العالم الخارجي وعن آثاره الضارة المختلفة في بريطانيا نفسها • ومع هذا فمن الخطأ أن نعزو العداوة التي أصبنا بها الى دسائس روسيا وحدها أو الى دعايات اذاعة القاهرة السامة • واذا كان الحق كله الى جانب اسرائيل فلا داعي لان نشعر بوخز الضمير • ولكن اذا كان لعرب فلسطين مظالم حقيقية فان استغلال روسيا ومصر وغيرهما من الاعداء لهذه المظالم هو الذي يترتب عليه خطر شديد • فالعدالة والامانة هما أفضل سياسة • وقد وضعت مؤلفات عديدة عن هذا الموضوع ، ولكن يجدر بنا أن نحاول المرور ببعض نواحي هذه المشكلة العويصة •

موجز لتاريخ القضية الفلسطينية

شرد في عام ١٩٤٨ مليون نسمة من أهالي فلسطين من ديارهم ، وما زال معظمهم بعد مرور ١٩ سنة لاجئين في المخيمات • وبغض النظر عما تنطوي عليه هذه القضية من خطأ وصواب ، فان النقطة التي أود ابرازها هنا هي ان هؤلاء القوم مقتنعون بأنهم مظلومون • ومن الطبيعي أن يخف سخط المظلوم أو يزول اذا ما أتيحت له الفرصة لعرض دعواه أمام محكمة نزيهة • واذا حرم من الاستماع المنصف لدعواه استشاط غضبا ، واذا تعرض بالاضافة الى ظلامته للضرب بالفأس على رأسه تولدت في نفسه عقدة الاضطهاد بشكل لا شفاء له منها •

وعد بلفور

ليس في نيتي أن أتطرق الى البحث في المراحل الاولى للصهيونية في فلسطين ، الا انه يجوز تذكير الشعب البريطاني بوعدين تضمنهما وعد بلفور في عام ١٩١٧ • الاول هو : « تنظر حكومة صاحب الجلالة بعطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وانها ستبذل قصارى جهدها في سبيل تسهيل هذا الهدف » • هذا كان الوعد المقطوع لليهود •

وتضمن القسم الثاني من تصريح بلفور وعدا لعرب فلسطين هو :
« ••• ومن المفهوم بوضوح انه لن يفعل شيء قد يسيء الى الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين » •

أما اليهود الذين كانوا في فلسطين في عام ١٩١٧ فكانوا يعيشون بسلام مع العرب • وكانوا يشكلون ٧ بالمائة من مجموع السكان بينما كانت نسبة العرب ٩٣ بالمائة •

وقبل عام ١٩١٤ عندما كان الفلسطيني العربي يريد أن يؤكد بوجه خاص صدق مقاله يضيف قائلا : « ان ما أقوله صحيح مثل كلمة الانكليزي » • أجل ، ان كلمة الانكليزي قبل الحرب العالمية الاولى كانت صادقة مخلصة وملزمة له • أما اليوم فان الفلسطينيين لم يعودوا يرددون هذه العبارة •

تعهدات الحلفاء

ولم يكن وعد بلفور خلال الحرب العالمية الاولى الوعد الوحيد • فقد وعدت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة جميع الشعوب التي كانت قبل ذلك خاضعة لحكم الاتراك بأن يكون لها الحق في اختيار نوع الحكم الذي تريده لنفسها • وكان هذا التعهد احدى نقاط الرئيس

وودرو ولسون الاربع عشرة التي أثارت حماسة كبرى في أرجاء العالم للمثل النبيلة للشعب الاميركي •

وقد تحققت هذه الوعود لجميع الشعوب التي قطعت لها باستثناء شعب فلسطين • فلم يسمح للفلسطينيين على الاطلاق بأن يختاروا نظام الحكم الذي يريدون •

تدخل الدول العربية الاخرى

وبعد الحرب العالمية الثانية أدرك عرب فلسطين ضعفهم وعجزهم عن عرض قضيتهم لانهم لا يشكلون دولة ذات سيادة ، فطلبوا المساعدة من الدول العربية الاخرى •

وأقول بصراحة انني لا أعلم بأية سابقة قانونية ـ اذا كان ثمة من سابقة ـ قامت فيها دولة مستقلة بتمثيل بلد يختلف عنها اختلافا كليا • ولكن يمكن القول ان الدول العربية التي مثلت عرب فلسطين أمام الامم المتحدة لم تكن طرفا في النزاع ، وفي بعض الحالات لم تكن تعرف الا القليل أو لا تعرف شيئا عن هذا النزاع •

وعلى كل حال فان الدول العربية قررت مقاطعة الجلسة الحيوية التي تم فيها قبول مشروع تقسيم فلسطين • ونتيجة لذلك لم تعرض قضية فلسطين العربية على الجمعية العامة اطلاقا •

ونشب القتال فور انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في شهر أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وسجلت اسرائيل انتصارا عسكريا كاسحا ، وسمح لها بأن تستمتع بثمار نجاحها المسلح • وهكذا لم يذكر الفلسطينيون

الخطأ والصواب في القضية • وكانت القوة المسلحة هي الوسيلة المستخدمة للتسوية •

العدوان

والتبرير الذي يشدد عليه عادة لهذا المسلك هو ان المصريين كانوا معتدين ، لانهم اجتاحوا أرضا خصصتها الامم المتحدة لاسرائيل • غير ان هذه الحجة يشك في صحتها للاسباب التالية :

أولا ـ ان ادخال مئات الالوف من المهاجرين اليهود الى فلسطين تحت حماية الجيش البريطاني خلال عهد الانتداب ، على الرغم من المعارضة المريرة التي كان يبديها ٩٣ بالمائة من سكان البلاد ، يعتبره الفلسطينيون ـ سواء عن خطأ أو صواب ـ عدوانا عسكريا •

ثانيا ـ قد يكون موضع شك ما اذا كانت الامم المتحدة تملك صلاحية شرعية لتأمر بانتزاع نصف أراضي البلاد من سكانها واعطائه لمهاجرين من عرق أجنبي آخر •

ثالثا ـ ان المصريين يختلفون من الناحية العرقية كل الاختلاف عن الفلسطينيين ، كما سنوضح ذلك فيما يلي • فلو فرضنا ان المصريين ارتكبوا مخالفة للقانون الدولي فهل يكون ذلك سببا في طرد الفلسطينيين من ديارهم ؟

وليس هدفي أن أبت في صحة هذه الحجج أو غيرها ، وكل ما بودي الاشارة اليه هو ان الفلسطينيين يعتقدون اعتقادا جازما انهم مظلومون وان الفرصة لم تتح لهم اطلاقا للاستماع اليهم بانصاف •

فالحجة التي تقدم لتبرير استيلاء الاسرائيليين عام ١٩٤٨ على أراض أوسع من الاراضي التي خصصتها لهم الامم المتحدة هي ان المصريين كانوا المعتدين وان « العرب » نالوا جزاء أعمالهم . (وتجدر هنا الملاحظة ان الاردنيين لم يدخلوا الاراضي التي خصصتها الامم المتحدة لاسرائيل ، بل دافعوا عن المنطقة التي خصصت للعرب) .

ولا بد أولا من ملاحظة ان « العرب » ــ حسب مضمون هذه اللفظة الشائعة في الوقت الحاضر ــ ليسوا عرقا واحدا بل هم مجموعة حضارية من أجناس مختلفة . وهذا ليس رأيا سياسيا وانما هو حقيقة علمية يثبتها علماء الاجناس البشرية بوسائل من أمثال شكل الجمجمة ومقاييس الابدان والشعر والعيون وتحاليل الدم الخ ...

ويمكن مقارنة العالم العربي بعالم أميركا اللاتينية الذي هو مجموعة حضارية لغوية تعمل غالبا متجانسة متناغمة مع انها تتكون في عدة دول مستقلة ذات سيادة . وليس ثمة من يوافق على ان تلحق نيكاراغوا بالولايات المتحدة على أساس العداء لكوبا . لم لا ؟ فجميعهم اميركيون لاتينيون ، أليس كذلك ؟

ان علاقة مصر بفلسطين قد تكون كعلاقة ألمانيا أو هولندا ببريطانيا لو كان بحر الشمال رمالا وليس ماء . ويمكن أن تكون القرابة العرقية بين الالمان والهولنديين والبريطانيين كالقرابة بين المصريين والفلسطينيين.

ولكنهم يتكلمون جميعا العربية ، أليس كذلك ؟ نعم ، على الرغم من الفوارق الكبيرة في اللهجة . وهذه شعوب أميركا اللاتينية تتكلم

الاسبانية ولكنها دول مختلفة . وسكان جزر الهند الغربية والشعوب الملونة في الولايات المتحدة تنطق بالانكليزية ، ولكن لا يمكن وصفهم بالانكليز .

والكثير من هذا التقارب اللغوي ناجم عن فتوحات عسكرية منذ مئات السنين ، ولا يدل على أية علاقة عرقية . فلندرك اذن ان مصر دولة مستقلة تفصلها عن فلسطين ٢٠٠ ميل في الرمال ولا صلة عرقية لها بالفلسطينيين . ولذلك لا يجوز طرد الفلسطينيين من ديارهم استنادا الى مسلك المصريين .

صحيح ان الفلسطينيين ، عندما شعروا بضعفهم وعجزهم في مواجهة الدول المعارضة لهم ، توسلوا بالقرابة العرقية مع الشعوب الاخرى الناطقة بالضاد . بيد ان توسلهم هذا لا يغير الوقائع الحسية . والتدخل هذا من جانب الدول العربية الاخرى أساء لهم من الناحية العملية بدلا من أن ينفعهم .

اللاجئون الفلسطينيون

في عام ١٩٤٨ أخرج حوالي مليون فلسطيني من ديارهم بالقوة . وزعم ان بعضهم أو جميعهم غادروا منازلهم بطوع اختيارهم وفقا لتعليمات زعمائهم . بيد ان أحدا لم يذكر من هو ذلك الزعيم الذي أصدر الامر أو في أية مناسبة أو بأية وسيلة . وأنا شخصيا لا أعتقد انه كان هناك أمر كهذا . ولا أقصد بهذا القول الكذب أو المواربة .

غير انني مستعد لان أفترض جدلا صحة هذه الاقوال . فلنسلم بأن الفلسطينيين غادروا منازلهم بناء على أوامر زعمائهم الذين قالوا لهم

انهم سيتمكنون من العودة ٠ (و «زعماؤهم» هم من الساسة الذين كانوا يفرضون أنفسهم فرضا في الزعامة دون أن ينتخبوا انتخابا أو يمثلوا أحدا) ٠ وعندما فر الفلسطينيون من ديارهم تركوا وراءهم متاجرهم ومنازلهم وأعمالهم ومزارعهم ومرتزقاتهم ٠

وحدث عام ١٩٤٠ أن نزح الفرنسيون بأعداد كبيرة من ديارهم أمام الجيوش الالمانية الزاحفة ، وفروا بالثياب التي كانت عليهم ٠ ولم يقل أحد انهم بذلك فقدوا حق العودة الى ديارهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها ٠ أما المليون فلسطيني الذين فروا في عام ١٩٤٨ فلم يسمح لهم بالعودة اطلاقا ٠ وما زال معظمهم يعيشون منذ ١٩ سنة في مخيمات مهلهلة ٠

ومن الضروري جدا تفهم الظروف الفريدة للصراع في فلسطين ٠ لقد شهدنا هذا القرن عدة حروب كانت فيها دولة من الدول تسعى لفرض سيطرتها على الاخرى ٠ ولكن لا أعتقد انه وقعت حرب منذ عدة قرون كانت غايتها اقتلاع شعب من بلاده وجلب شعب مختلف آخر ليعيش في تلك البلاد ويحتل أراضي ذلك الشعب ومنازله ومدنه ٠ وهذه الغرابة تضفي على الصراع الفلسطيني صبغة لا مثيل لها في أية حرب من حروب التاريخ الحديث ٠

لماذا لا تستوعبهم البلدان العربية الاخرى ؟

كلما ذكرت حالة اللاجئين الفلسطينيين التي يرثى لها ، ورد هذا السؤال : ربما ان الفلسطينيين أو « العرب » أجمعين قد كشفوا أنفسهم لهذا الغمز من قناتهم بسبب ادعائهم بأنهم ينتمون جميعا الى عرق واحد٠ وقد سبق أن ذكرنا ان « العرب » — وفقا للفظ المتعارف عليه اليوم —

هم مجموعة حضارية لغوية من عدة أصول مختلفة ٠ فماذا يقال لو استولت الولايات المتحدة على كوبا وطردت جميع الكوبيين من ديارهم وأحلت محلهم عددا مماثلا من الاميركيين ؟ وهل يمكن استيعاب الكوبيين في فنزويلا على اعتبار ان الجميع أميركيون لاتينيون ؟

أو لنأخذ مثلا آخر أقرب الينا ٠ هب ان هتلر كسب الحرب العالمية الثانية وغزا بريطانيا وقرر نقل جميع اليهود من ألمانيا الى انكلترا ٠ واستولى لهذا الغرض على مقاطعات كنت وسواري وساكس ، وأمر باجلاء جميع سكان هذه المقاطعات لاسكان المهاجرين محلهم ، وقيل للذين أخرجوا من ديارهم ان في وسعهم أن يجدوا لانفسهم مستقرا جديدا في أنحاء أخرى من انكلترا ٠ وهب انه قيل عندئذ لهتلر ان الانحاء الاخرى من انكلترا تعاني البطالة منذ زمن ٠٠

اذن ، لماذا لا يرحلون الى كندا وأوستراليا ؟ أليسوا جميعا بريطانيين ؟

هل نستطيع القول مخلصين في هذا القرن العشرين انه يمكن سوق البشر من بلد الى آخر كما تساق بهائم الانعام ؟

ولكن هكذا عامل هتلر اليهود الذين وجد العديد منهم أخيرا مستقرا له في اسرائيل ٠

هذا كله صحيح ٠ غير ان العرب لم يضطهدوا اليهود اطلاقا ٠ ولذلك لا يبدو مبرر للتكفير عن مآسي اليهود المخيفة في أوروبا بانزال مثل هذا العذاب بسكان فلسطين ٠

ان قضية استيعاب البلدان العربية الاخرى للاجئين لها عدة وجوه

لا يمكن حصرها هنا • ولكن نذكر في هذا المقام ان نصف اللاجئين يقيمون في الاردن الذي لم يستقبلهم فحسب بل ومنحهم الجنسية الاردنية وحقوقها الكاملة •

ولم يكن بود اللاجئين أن يغادروا بلادهم • ففي ذلك القسم الذي بقي من فلسطين في الاردن منذ عام ١٩٤٨ كان اللاجئون يشعرون بأنهم ما زالوا في بلدهم وعلى بعد بضعة أميال من ديارهم القديمة • والمتعلمون تعليما حسنا من اللاجئين وجدوا لانفسهم عملا في بلدان أخرى ، وبعضهم في المملكة العربية السعودية • والعديدون لم يغرهم شيء بمغادرة ما يعتبرونه بلدهم الاصيل •

ويقال أحيانا ان ما يعانيه اللاجئون ليس جريرة اسرائيل بقدر ما هو جريرة البلدان العربية الاخرى التي ترفض استيعابهم •

فاذا طرد ملاك المستأجرين في بنايته وتركهم يرتعدون بردا في الشارع ، فان المحكمة لا تلقي اللوم على الجيران لانهم لم يأووا المطرودين ، بل على الملاك الذي طرد المستأجرين • بل ان قضية عرب فلسطين أقوى بكثير من هذه القضية لانهم كانوا مالكي المنازل التي طردوا منها •

قلنا ان الاردن قبل نصف مجموع اللاجئين ومنحهم الجنسية الاردنية ، غير ان اقتصاد الاردن لم يكن قادرا على استيعابهم ولم يتلق مساعدة مالية لاعانته على ذلك الا من بريطانيا والولايات المتحدة المجرمتين المزعومتين في القضية • واكتفت الامم المتحدة بتقديم الاعاشة والعناية الطبية •

ويعادل عدد اللاجئين الذين أدخلهم الاردن واستقبلهم في أراضيه ثلث مجموع سكانه • وهذا السيل من اللاجئين يوازي وصول ١٧ مليون معدم الى بريطانيا أو ٨٠ مليونا الى الولايات المتحدة • وقد أدى وجودهم الى قيام خطر اجتماعي اقتصادي كبير يهدد منذ ذلك الحين وجود الاردن المتواصل • وازاء هذه الظروف يكاد يصح القول ان استمرار وجود اللاجئين هو خطأ « العرب » وليس خطأ اسرائيل •

أقلية في اسرائيل

خلال الازمة الحالية احتل الجيش الاسرائيلي كل فلسطين الى حدود الاردن • وبذلك شمل اللاجئين الذين غادروا ديارهم عام ١٩٤٨ وأولئك الذين كانوا يعيشون في قطاع غزة مدة ١٩ سنة أو في الجزء الاردني من فلسطين • وهناك أيضا مليون فلسطيني آخرون ما زالوا في ديارهم في الجزء العربي من فلسطين الذي احتله الان الجيش الاسرائيلي •

وهكذا يتضح ان هناك مليون ونصف المليون أو مليون وثلاثة أرباع المليون من العرب الفلسطينيين في الاراضي التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي • وعدد الاسرائيليين في سرائيل بلغ مليونين ونصف المليون•

فماذا سيصيب مليون ونصف المليون أو أكثر من العرب الفلسطينيين الذين كان أجدادهم يعيشون في ديارهم في البلاد منذ قرون لا بل منذ ألوف السنين ؟

هل يمكن طردهم الى البلدان المجاورة ليعيشوا عشرين سنة أخرى

في مخيمات اللاجئين على اعاشة الامم المتحدة ؟

ان الوسيلة الاخرى التي اقترحت هي أن يبقوا أقلية في اسرائيل ، وربما في ظل شبه حكم ذاتي محلي في بعض المناطق . ويقال ان الاسرائيليين طائفة ديمقراطية ويمكن أن يكون للعرب حق التصويت فيصبحوا مواطنين اسرائيليين سعداء . فهل هذا حل ممكن ؟

ان نظرة خاطفة على عالمنا اليوم تكفي لتثبت لنا ان بعضا من أعقد مشاكل العالم ناجمة عن الاجناس المختلطة التي تعيش في بلد واحد . وما مشكلة الملونين في الولايات المتحدة ، ومشكلة الاتراك واليونانيين في قبرص ، والبريطانيين في روديسيا ، والهنود والباكستانيين في كشمير ، سوى غيض من فيض . فليس من عداوة مريرة بين كل جنسين في هذه الحالات ، غير ان مجرد وجودهما معا في دولة واحدة يؤدي الى مشاكل لا نهاية لها ، وغالبا ما يفضي الى مضاعفات دولية .

ومشكلة فلسطين أسوأ من هذه كلها بكثير . فالاسرائيليون والعرب تفرق بينهم كراهية شديدة . وقد انخرط جميع جيران فلسطين في هذا النزاع . ومن الواضح تماما أن ينظر الاسرائيليون الى مثل هذه الاقلية الكبيرة (التي تعد مليونا ونصف المليون من أصل ما مجموعه أربعة ملايين نسمة) كخطر على أمنهم . فسيكونون طبعا موضع رقابة شديدة وسيجردون من السلاح ويضغط عليهم ويوضعون تحت السيطرة وينظر اليهم نظرة شعب مكروه محتقر .

ولكن ألا تتجه جميع مثلنا العليا العصرية نحو منع اخضاع شعب لآخر ، فكيف تعارض الحكومة البريطانية بشدة حكم البيض في روديسيا وتغض النظر عن حكم الاسرائيليين على اكثر من مليون ونصف

المليون من عرب فلسطين ؟ وعندما تتأجج نار الكراهية المريرة بين شعبين ، هل يمكن اخضاع مليون ونصف مليون نسمة من أحدهما لحكم الآخر ؟

حق الغزو

حتى العصور الحديثة كانت جميع الامم تعترف بحق الغزو . فكان للامة الغالبة الحق في أن تلحق بأراضيها اقليم الامة الاخرى واخضاع سكانه كشعب مغلوب على أمره . غير ان هذه المشكلة بالذات هي التي تدور حولها معظم مثلنا العليا .

ويقال ان اليهود مواطنون طيبون ورجال أعمال ماهرون ، متحضرون ، مثقفون ، فاتنون ، فنانون ، وموسيقيون بارعون . ومعظم هذا صحيح ، أو على الاقل فيما يتعلق بيهود أوروبا الغربية . غير ان وجه الاعتراض في تحكم شعب بآخر ليس كون الحكام أناسا مبغوضين، بل كونهم من عرق آخر .

وقد حكم الانكليز ايرلندا عدة قرون ، ولكنهم في النهاية تخلوا عن هذه المحاولة ومنحوا الايرلنديين الاستقلال . ومع ذلك فان بعض الانكليز لطفاء ومواطنون متمدنون . ولكن القضية كانت — سواء أكانوا لطفاء أم غير لطفاء — ان الايرلنديين لم يريدوا حكمهم ، وهكذا تقرر ان الحكم البريطاني يجب أن لا يفرض عليهم فرضا .

حجة النشاط

ولكن الاسرائيليين مجتهدون نشيطون ، ويمكنهم تنمية المناطق

العربية ، فيرتفع مستوى معيشة العرب أنفسهم • وهذا نفسه قيل عام ١٩٣٦ عندما غزت ايطاليا الحبشة • كانت تلك البلاد فقيرة ومتخلفة ، وقيل ان الايطاليين سيحسنونها وينشئون فيها الصناعات ويشقون الطرقات المعبدة ، ويكون المستفيد الاول من ذلك الحبشيين أنفسهم • غير ان العالم بأسره رفض هذه الحجة بقوة •

ولليهود ايضا الحق في العيش

لا شك ان لهم الحق • ومثلهم في ذلك مثل المسيحيين والمسلمين والهندوس •

غير ان شدة الديماغوجية المصرية والسورية وتجاهلها الحقائق وتهديداتها الفارغة أساءت الى الفلسطينيين ولم تنفعهم • كما ان التشدقات السقيمة بالقاء الاسرائيليين في البحر كانت أفضل مادة للدعاية الاسرائيلية •

ويجدر ان نذكر مرة أخرى ان « العرب » مجموعة حضارية لغوية من أجناس مختلفة • فليس من العدل اخضاع الفلسطينيين أو طردهم من ديارهم لا لشيء الا لان المصريين تمادوا في الكلام •

وعلى كل حال فقد أثبتت اسرائيل بوضوح انها ليست في خطر القذف بها في البحر • لا بل من المحتمل أكثر انها هي التي ستقذف بالعرب في البحر أو الصحراء • وكل من يعرف المنطقة يعلم ان هذا ما حدث في السنوات التسع عشرة الاخيرة •

سابقة الحروب الصليبية

وأنا لست محاميا ، انما استعرضت بعض وجوه المشكلة منذ وعد بلفور الى هذا اليوم لاوضح الى حد ما الطريقة التي يفكر بها عرب فلسطين • فاذا كانوا يشعرون بعقدة الاضطهاد فلديهم أسباب لهذه الحالة الفكرية • وسواء أكانت معاملتهم عادلة أم ظالمة ، فهذا ما حدث وليس في مقدورنا أن نعيد عقارب الساعة •

وكون اسرائيل اليوم متفوقة ، لا يعني انها ستكون كذلك دائما • ففي القرن الثاني عشر كان الصليبيون يسيطرون على اكثر مما يسيطر عليه الاسرائيليون الآن بثلاث مرات أو أربع • وكان الصليبيون يقهرون كل من يقف في وجههم مدة ٤٥ سنة • أما اسرائيل فلم يمض على قيامها أكثر من ١٩ سنة •

وكان الصليبيون يعتمدون في وجودهم على تأييد الغرب ، كما تعتمد اسرائيل الان على الولايات المتحدة • وبعد ثمانين سنة مل الغرب التبرع فمني الصليبيون بهزيمة نكراء • غير ان الغرب عاد الى مساعدتهم فأعيد قيام دويلاتهم لمدة قرن آخر من الزمن • وبعد ١٩٠ سنة تمت ابادتهم • وخلال فترة المائة والتسعين سنة كلها كان الشرق الاوسط نهبا لحروب متواصلة •

فرض أو تفاوض

يمكن احراز السلام اما عن طريق الفرض أو عن طريق التفاوض • وربما كانت اسرائيل في الوقت الحاضر راغبة في السلام ولكنها تريد

أن تفرضه فرضا • وهذه هي الطبيعة البشرية • فالنصر خمرة تلعب بالرؤوس • وقد ارتكبنا خطأ مماثلا عام ١٩١٨ فكان علينا أن نخوض الحرب من جديد بعد عشرين سنة •

وترتفع منذ زمن أصوات كثيرة تقول : « لا نستطيع ، نحن الدول الكبرى ، تسوية المشكلة ، ومن الافضل لدول الشرق الاوسط أن تسوي شؤونها بنفسها » • غير ان الولايات المتحدة وبريطانيا عندما أعلنت مصر سيطرتها على مضايق تيران ، لم تتخذا هذا الموقف الانعزالي الفلسفي •

خواطر بشأن السلام

لا يتسع المجال للبحث في شروط السلام ، ولكن يمكن الاكتفاء بذكر بعضها هنا :

١ ـ ان كل فرد في المنطقة يحتاج الى الطمأنينة التي تنقذه من عبء التسلح المرهق • ويبدو لي ان الطمأنينة لا يمكن تحقيقها الا اذا ضمنت الدول الكبرى جميع الحدود •

فاذا تضافرت جهود الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا كان الحل كاملا ، ولكن ينبغي أن نذكر ان السياسة الروسية ترمي على ما يظهر الى الايقاع بين الدول الغربية والعالم العربي •

٢ ـ لو كان في وسع الدول الكبرى أن تفرض حلا ما فأقر بأنه ما كان لمصر وسوريا أن تتصرف نيابة عن الفلسطينيين • فتدخلهما أدى الى الضرر ولم يؤد الى الخير •

٣ ـ لا يمكن لدولة ثنائية من الاسرائيليين والعرب أن يكتب لها

النجاح • ولذلك يترتب على اسرائيل أن تعيد ذلك الجزء من فلسطين الذي كان في السابق متحدا مع الاردن ليعيش فيه العرب •

ويجب أن تؤمن الاموال من الخارج لانعاش الاردن ليتمكن جميع اللاجئين من الاستقرار هناك • ولا يمكن سوقهم كما تساق بهائم الانعام الى سوريا والعراق وغيرها من البلدان •

٤ ـ كانت الامم المتحدة في عام ١٩٤٨ قد اتخذت قرارا بتدويل القدس غير انه لم ينفذ اطلاقا • وأعتقد ان من الواجب تدويل المدينة القديمة وبيت لحم ومنطقة صغيرة من الريف المحيط بهما ، ولكن ليس القطاع الاسرائيلي • والقدس القديمة مقدسة للمسيحيين والمسلمين واليهود • واحتفاظ اسرائيل بها من شأنه أن يزيد نقمة العالم الاسلامي كله عليها •

ملخص أساسي

الآن وقد بحثنا في بعض التفاصيل المحلية للمشكلة ينبغي أن لا يغرب عن البال الاساس العالمي الذي تقوم عليه حياة بريطانيا نفسها •

أ ـ يقف المعسكر السوفياتي في وجه الدول الغربية ، غير ان الغالبية العظمى من الجنس البشري تقف موقف الحياد •

ان روسيا لن تثيرها حربا نووية ، غير انها تطمع بغزو العالم عن طريق اكتساب الدول غير المنحازة الى جانبها • وطريقتها في تحقيق هذا الغرض هي الايقاع بين هذه الدول والولايات المتحدة • وأزمة الشرق

الاوسط فرصة مؤاتية لها . وتحاول روسيا كسب الدول العربية ، وحتى العالم الاسلامي ، الى جانبها .

ب ـ الدول العربية ليست مهمة بسبب حجمها أو قوتها بل بسبب سيطرتها على أهم المناطق الاستراتيجية في العالم . فاذا أصبحت ضالعة في الفلك الروسي تدهورت أوروبا ، وفقد العرب أيضا استقلالهم .

ج ـ ان السيطرة على الشرق الاوسط والسيادة على البحر الابيض المتوسط هما الوسيلتان المطلوبتان للسيطرة على أوروبا . وهذه هي الغاية التي تنشدها روسيا .

د ـ ان وجه الخطر في المحنة الفلسطينية هو ان للفلسطينيين قضية لم يتمكنوا اطلاقا من عرضها . فقد غرق صوت الفلسطينيين في خضم الدعاية ، وترك أمر الدفاع عنهم للدول العربية فيما أخرست أسلحتهم أو طردوا من ديارهم بعمليات حربية .

*

لم أكتب ما كتبت على سبيل الدعاية ، بل كتبت لاوضح ، قدر استطاعتي، الحق الصريح « ولاقول الصدق مثل كلمة الرجل الانكليزي » .

الفصل الرابع عشر

أهداف السياسة السوفياتية في الشرق الاوسط

يتبين بوضوح لكل من يقرأ الفصول السابقة قراءة واعية ، ان حرب الايام الستة كانت ، في دوافعها البعيدة ، ونتائجها العاجلة والعتيدة ، مظهرا حادا من مظاهر الصراع بين النفوذين السوفياتي والاميركي على هذه المنطقة الحساسة من العالم ، المسماة الشرق الاوسط في قاموس الغرب والشرق الادنى في قاموس الشرق .

ولعلنا لا نبتعد كثيرا عن حقائق الاشياء ومنطقها ان نحن قلنا انها كانت هذا الصراع أكثر مما كانت معركة جديدة تدور رحاها بين العرب واليهود في حربهم التقليدية الناشبة ، فعلا ، منذ عشرين عاما ولا تزال..

فعندما تحركت قطعات من الجيش المصري ، حوالي منتصف أيار ١٩٦٧ ، واجتازت قناة السويس وأوغلت في شبه جزيرة سيناء لتتخذ مواقعها على خط الحدود مع اسرائيل .. وعندما طلبت حكومة القاهرة الى يوثانت ، الامين العام للامم المتحدة ، سحب « القبعات الزرقاء » من قطاع غزة وشرم الشيخ وسائر نقاط المراقبة الدولية في سيناء ، عندئذ بادر الاتحاد السوفياتي فأيد الخطوة المصرية ، وأشعر تركيا برغبته في ارسال بعض قطعات أسطوله الحربي الى البحر المتوسط الشرقي عبر البوسفور والدردنيل .

وأيقن المراقبون السياسيون ان التصرف الروسي السريع ،

والاستجابة العاجلة لتطور الاحداث ، يعنيان شيئا واحدا : ان موسكو ضالعة في العملية أو انها ، على الاقل ، تستعد لقطف الثمرة التي لاحت لها دانية القطوف ..

وفي خطاب الاستقالة الشهير ، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٧ ، أشار الرئيس المصري جمال عبد الناصر الى احدى حقائق الموقف الكبرى : ان موسكو هي التي أنذرت القاهرة بأن اسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا وانها – أي اسرائيل – تنوي احتلال دمشق ، واسقاط نظام البعث الحاكم .

وكانت موسكو قد أيدت الانباء التي أذاعتها دمشق ، في أعقاب غارة اسرائيل الجوية على العاصمة السورية في ٧ نيسان ١٩٦٧ في أعقاب اشتباك على الحدود ، والقائلة ان اسرائيل تحشد قوات كبيرة استعدادا للهجوم الواسع النطاق على سوريا .

وهكذا نرى ان الاتحاد السوفياتي عمل كل ما في وسعه لتأجيج النار ، والتعجيل بهبوب الحريق في المنطقة . وهذا لتحقيق غرضين رئيسيين من أغراض السياسة السوفياتية في هذه المنطقة من العالم :

١ – التسبب في هزيمة ساحقة للعرب تجبرهم على الالقاء بأنفسهم، بلا قيد ولا شرط ، في أحضان موسكو .

٢ – اجبار الولايات المتحدة على الوقوف بجانب اسرائيل – سياسيا على الاقل – وبذلك تخسر واشنطن ما تبقى لها من صداقات في المنطقة فيخلو الجو تماما أمام موسكو ، فلا يجد العرب أمامهم من صديق أو نصير غير السوفيات فيرتمون في أحضانهم راضين أو مرغمين.

ولنعد الى ما قاله غلوب باشا في كتابه « أزمة الشرق الاوسط » : «وكل من له أي خبرة عسكرية في الشرق الاوسط خلال السنوات العشرين الاخيرة يدرك تماما انه لم يكن للجيش المصري أدنى أمل بالانتصار على الاسرائيليين . وكنت شخصيا أقدر لمعركة سيناء ٤٨ ساعة لكنها استغرقت ، في الواقع ، حوالي ستين ساعة .

« ولا أعتقد ان الروس كانوا يتصورون النصر لمصر . أما كيف أقنعوا الرئيس عبد الناصر بالاقدام على مثل هذه المغامرة ، فهذا لغز محير . غير ان من المهم بمكان كبير ان موسكو هي التي أنذرته بنية اسرائيل المزعومة في مهاجمة سوريا .

« وبعد تدمير الجيش المصري في سيناء راحت الصحف البريطانية تهلل لخيبة الامل التي منيت بها روسيا التي راهنت على الجواد الخاسر. ومن سوء الحظ ان الحكومة السوفياتية ليست على مثل هذه السذاجة . وربما كانت على العكس من ذلك ، موقنة من هزيمة المصريين النكراء وأرادتها لهم .

« وليس من بلد عربي يرغب في أن يمسي تابعا سوفياتيا . وقد تكون البلدان العربية ، في بعض الاحوال ، مستعدة لقبول المساعدات والاسلحة والمعونات الفنية من روسيا ، ولكن الى حد معلوم فقط ، ولكنها ليست مستعدة الى حد التضحية بأي جزء من سيادتها .

« ولو قيض لمصر أن تهزم اسرائيل لتعززت قوتها وهيبتها الى حد جعلها تستغني عن الاعتماد على روسيا . ولكن اذا ذلت – كما حدث فعلا – أدركت هي وحليفاتها انها غير قادرة اطلاقا على الصمود في وجه اسرائيل . وازاء هذه الحالة لا تجد مصر وحليفاتها سبيلا غير

استجداء المساعدة من الروس . ولذا كان من الضروري ، وفقاً للمخطط الروسي ، أن يمنى العرب بالهزيمة وبأقصى ما يمكن من المذلة » .

وهكذا يبدو ان السياسة السوفياتية قد خططت بذكاء ودهاء لتجر العرب الى الهزيمة فتتمكن منهم ، مرة واحدة ، فتخرج الى حيز التنفيذ، مخططها المدروس للسيطرة على المنطقة .

ويحلل غلوب باشا موقف الدولتين الانكلوسكسونيتين من الازمة ، وموقف السوفيات من موقفهما ، فيقول :

« أما البريطانيون والاميركيون ، فقد بلغ من بساطة تفكيرهم انهم قبلوا الاحداث على علاتها دون سؤال أو جواب . ففي زعمهم ان الروس الذين أيدوا مصر ، لا بد لهم من أن يشعروا الآن بالامتعاض لاندحار حليفتهم . بيد ان ممارسة هذا الغش للطرفين شيء في طبيعة سياسة الحكومة السوفياتية .

« صحيح ان المصريين ربما كانوا مستائين من عدم تدخل الروس لانقاذهم من الهزيمة ، غير ان سخطهم هذا ، مهما بلغ ، لا يعفيهم من الاضطرار الى الاعتماد على روسيا وحدها لاعادة بناء أنفسهم .

« وسارت الامور كلها وفق المخطط السوفياتي . فما أن اتخذ موقف الرئيس عبد الناصر وجه التهديد حتى وقعت الولايات المتحدة في الفخ وتبعتها على الاثر بريطانيا . واذا بالعالم العربي ، بداعي السخط وانكشاف الامور ، يقطع العلاقات والنفط ويلوح بكل وسيلة للثأر . واذا كان الزعماء السوفيات قد ضحكوا في حياتهم من صميم أفئدتهم ، ففي تلك الساعة » .

وتبدو براعة المخطط السوفياتي في انه غير قابل للفشل في الحالتين المحتملتين : « فلو افترضنا افتراضا أستبعد تصديقه ان روسيا كانت تقدر انتصار مصر في المعركة فما الذي كان سيحدث ؟ كانت تدخلت الولايات المتحدة (وتبعتها بريطانيا) بصورة أقوى الى جانب اسرائيل ، ولزاد ابتعاد العالمين العربي والاسلامي عن الغرب » (١) ، وهذا كسب لموسكو ، وان كان العرب ، في هذه الحالة ، غير مضطرين الى الارتماء كليا في أحضان روسيا » (٢) .

والنقطة الثانية التي تظهر لنا دراسة الفصول السابقة بما انطوت عليه من وقائع أوردتها مصادر مختلفة ، وذكرت عن خبراء ومراقبين واختصاصيين سياسيين وعسكريين كبار ، ان تصلب الولايات المتحدة في موقفها من القضية ، قبل الحرب وبعدها ، وفي أثناء اشتداد الازمة الدبلوماسية في الامم المتحدة ، وبعد قرار مجلس الامن المؤرخ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، ان هذا التصلب راجع الى تخوف السياسة الاميركية من التغلغل السوفياتي في المنطقة أكثر منه تأييدا لاسرائيل .

وقد تكشفت الاحداث التي تتالت خلال السنة الاولى بعد الحرب العربية ـ الاسرائيلية ان المخاوف الاميركية كانت في محلها . فالتسلل السوفياتي الذي بدأ عمليا الى المنطقة منذ عام ١٩٥٧ ، عبر سوريا ومصر ، لم يعد تسللا بل أصبح اقتحاما .

فبعد أن كان السوفيات يعقدون مع الدول العربية « الثورية » اتفاقات ذات طابع سري الى حد ما ، ويرسلون الى المنطقة « خبراءهم »

---

(١) « ازمة الشرق الاوسط » ـ غلوب باشا .
(٢) المرجع السابق .

بصفات مدنية ، ويشرفون ، سرا ، على أوضاع كثيرة حساسة في تلك الدول ، أصبحوا بعد الحرب يرسلون أساطيلهم البحرية والجوية ، وضباطهم بالالوف ، جهارا نهارا الى العواصم « المتحررة » ، ويرفقون كل ذلك بدعاية صارخة مدوية . كما أخذت الدول « المتحررة » نفسها تباهي وتفاخر ، بوصول كذا قطعة من الاسطول السوفياتي الى موانئها ، وكذا سربا من الطائرات الروسية الى مطاراتها .

ولم يعد بسر ان بور سعيد والاسكندرية واللاذقية والبصرة (الى حد ما) أصبحت « محطات استراحة » دائمة للقطعات البحرية السوفياتية ، وان في مصر وحدها ما يقدر بعدة آلاف « خبير » سوفياتي يمسكون بمفاتيح القيادات الحساسة في الجيش والمرافق الرئيسية . وهذا الواقع اعترف به سفير مصر في باريس ، عبد المنعم النجار ، في أكثر من تصريح صحافي له .

صحيح ان السياسةالسوفياتية تتحاشى ، بعد أزمة كوبا عام ١٩٦٢ ، مجابهة الولايات المتحدة الاميركية مجابهة علنية ، تجنبا لاشعال نار حرب نووية ماحقة ، ولكن هذه السياسة لم تتخل عن طموحها الى السيطرة على العالم ولا سيما مناطقه الحساسة وفي مقدمتها الشرق الاوسط .

فماذا فعلت الولايات المتحدة حيال هذا التحدي السوفياتي ؟

اكتفت بموقف سلبي من القضية رافضة كل الرفض بذل أي جهد للضغط على اسرائيل كي تلين من موقفها أو تتساهل حتى في أبسط القضايا المطروحة أمام بعثة غونار يارينغ ممثل الامم المتحدة المكلف بايجاد حل للمشكلة .

ومن الثابت تماما ان واشنطن هي العاصمة العالمية الكبرى الوحيدة

التي تستطيع أن تمارس ضغطا مثمرا ومجديا — الى حد معقول — على تل أبيب . فقد ثبت ان لا فرنسا الديغولية ولا روسيا السوفياتية ومن لف لفها من دول الكتلة الشيوعية ، بقادرة على زحزحة اسرائيل عن موقفها ، ما دامت تل ابيب واثقة من دعم واشنطن لها .

وفي مقابلة صحافية مع ابا ايبان قال : « اني لا أتوقع من الاتحاد السوفياتي مجابهة واسعة النطاق وشاملة . فالاتحاد السوفياتي ، على رغم موقفه المعادي منا ، يظهر بعض الحذر وهو لا يشجع التصلب العربي لدرجة المخاطرة بحرب جديدة في المنطقة » (١) .

والمعروف ان الولايات المتحدة هي التي أرغمت اسرائيل ، عام ١٩٥٦ ، على الانسحاب من سيناء وغزة .

ويروي موشي دايان ان بن غوريون — رئيس الوزارة الاسرائيلية في ذلك الحين — استدعاه وقال له ، ذات يوم من ربيع ١٩٥٧ : « علينا أن ننسحب من جميع الاراضي التي تم لنا احتلالها في حملة سيناء . هكذا تريد واشنطن ويريد ايزنهاور . ماذا تريد .. لقد ربحنا الحرب وخسرنا السلم ! » (٢) .

وسياسة الولايات المتحدة بعد الحرب تلخص بكلمات : « الانتظار السلبي من موقف القوة » . فهي تعرف ان القضية لن تحل بالطرق والاساليب المتبعة حتى الان . وهي تكتفي بتشجيع اسرائيل على الصمود وعدم الانسحاب والاصرار على شرط المفاوضات المباشرة الذي يرفضه

---

(١) جريدة « لوموند » — العدد ٧٢٤٢ تاريخ ٣ — ٥ — ١٩٦٨ —
(٢) « حملة سيناء » — موشي دايان — ص ١٢٥

العرب . تاركة الاتحاد السوفياتي يستنفد جميع وسائله ويقدم كل ما يستطيع من تأييد للعرب فتتعلق جميع آمالهم به . وواشنطن واثقة كل الثقة انه سوف يأتي يوم ، ربما لم يعد بعيدا جدا ، يتبين فيه العرب ان موسكو التي قدمت اليهم السلاح والمساعدات لم تستطع ان تقدم اليهم الحل المنشود ، بل انها كانت هي الكاسبة الحقيقية من كل هذه اللعبة الخطرة ، وانها قد اعطتهم سلاحا لقاء نفوذ وتغلغل وسيطرة .. سلاحا لم يجدهم نفعا في الماضي ولا ينتظر ان يجديهم في المستقبل لسبب بسيط وجيه هو ان موسكو نفسها ، فضلا عن واشنطن وسائر العواصم ، لا تريدهم ان يستعملوه !

والسياسة الاميركية الحالية تتصف بطول النفس والانتظار . انتظار ان يتبين العرب بانفسهم انهم ساروا في الاتجاه المعكوس عندما راحوا يبحثون عن الحل في موسكو والحل الحقيقي غير موجود الا في واشنطن !

وانه لمن القصور في الادراك السياسي للدبلوماسية العربية ان تترك نفسها ، بعد كل تجارب السنوات السابقة ، تنزلق انزلاقا في مهاوي الصراع العالمي حول المنطقة فتصبح العوبة بين ايدي العواصم الكبرى .

ان القضية لم تسجل تقدما طوال اثني عشر شهرا انقضت على وقوع الحرب ولا ينتظر ان تتقدم في مقبلات الايام ما لم يطرأ عنصر جديد ينحرف بسير الاحداث ويعيد الوضع الى مجرى واقعي بحيث يعود زمام القضية الى ايدي اصحابها الحقيقيين .

طبع على مطابع دار الغد
بيروت ــ هاتف : ٢٣٠٥١٢